أعظم قوة

عن فلسفة اللا عنف

المهاتما غاندي

- المؤلف: المهاتما غاندي
- العنوان : أعظم قوة عن فلسفة اللا عنف
- ترجمة: جورج نبيل
- الطبعة الأولى 2021
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ

رقم الإيداع:
٢٠٢١ / ٩١٢٥
الترقيم الدولي : ISBN
978 - 977-765 - 298 - 8

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

المهاتما غاندي

أعظم قوة

عن فلسفة اللا عنف

ترجمة

جورج نبيل

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

المهاتما غاندي.
أعظم قوة.. عن فلسفة اللا عنف - ترجمة: جورج نبيل.
ط1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2021
200 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 9125 / 2021
الترقيم الدولي 978 - 977 - 765 - 298 - 8
1 - المقالات
2 - غاندي

مقدمة

عندما يُذكر اللا عنف، نتذكر على الفور «غاندي»، وعلى الرغم من أنه لم يكن مُنشئ مبدأ اللا عنف- الذي كان موجودًا في الفكر الديني الهندي (الأهيمسا) منذ تاريخ طويل، كأعلى قيمة أخلاقية - إلا أنه كان أول مَن طبقه في المجال السياسي.

لقد كرَّس غاندي حياته لأجل اكتشاف الحقيقة حتى أنه عندما كتب سيرته الذاتية، أسماها «قصة تجاربي مع الحقيقة» وقد وصل في النهاية إلى استنتاج مفاده أن «الحقيقة هي الله» وقد أطلق على حركته اسم «الساتياجراها» والتي تعني «الإصرار على الحق» أو «مناشدة الحقيقة»، وقد أطلق هذه الحركة أولًا أثناء إقامته في جنوب أفريقيا ونضاله في الدفاع عن حقوق الهنود هناك، ثم أطلق الحركة في الهند بشكل رسمي كحركة سياسية ومبدأ في عام ١٩٢٠م، وقد قدمها للكونجرس كـ«قرار بشأن عدم التعاون». كان اللا عنف من المقومات الأساسية لهذه الحركة، والتي استند فيها غاندي إلى التقاليد الهندوسية والبوذية والجاينية.

من المواقف الغريبة في حياة غاندي- والتي سيأتي ذكرها في هذه المقالات- هو مشاركته في الحرب العالمية الأولى بجانب بريطانيا، وحثه الهنود على التطوع في الخدمة العسكرية، وقد أثار هذا العمل علامات استفهام كثيرة لدى محبي السلام ونابذي العنف في العالم في ذلك الوقت. راسله الكثيرون بشأن هذا الأمر، وقد تحدث أيضًا عن ذلك في سيرته الذاتية. دافع غاندي عن هذا الفعل بأسباب مختلفة، ربما لا تكون كلها مُقنعة بالنسبة للداعين إلى اللا عنف، ولكن من الواضح أن فكر غاندي قد تطور بشكل كبير، وأيضًا اختلفت نظرته للإمبراطورية البريطانية بمرور الوقت.

هل اللا عنف يمكن أن يكون أسلوبًا لحياة الفرد الشخصية؟! تُترك للقارئ الإجابة عن هذا التساؤل. هذا ما يُنادي به غاندي: «إذا تحقق اللا عنف في الحقل المنزلي بشكل كامل، سنرى بالتأكيد عودة اللا عنف ضد السلطة في شكله الخالص، وسيكون أمرًا لا يُقاوم».

يعتقد غاندي أنه لا يمكن تبني نهج اللا عنف على المستوى السياسي إلا إذا كان نهجًا شخصيًّا مُطبَّقًا في حياة الفرد، قائمًا على أساس روحي عميق.

في حين أن الساتياجرها جذبت أتباعًا على نطاق واسع بين الهنود، إلا أن الدعم لم يكن عالميًّا، وقد سخر منه البعض وتعرض لانتقاد شديد في بريطانيا عندما تعرضت لهجوم من النازية الألمانية، ووجَّه كلامه للشعب البريطاني مناشدًا إياه أن يلقي سلاحه ويواجه

الألمان بتبني نهج اللا عنف في عام ١٩٤٠ م: «أود منكم أن تلقوا السلاح الذي بحوزتكم لأنه لا فائدة منه لإنقاذكم أو إنقاذ البشرية. ستدعون هير هتلر وسينيور موسوليني لأخذ ما يريدان من البلدان التي تسمونها ممتلكاتكم...».

هذا الكتاب هو تجميع لبعض المقالات التي كتبها غاندي حول موضوع اللا عنف في جريدتين، كان قد أصدرهما في الهند «جريدة Young India، وجريدة هاريجان» وقد تم مراعاة الترتيب التاريخي لهذه المقالات، وهي بحق رؤية عن كثب لمدى تطور هذا المفهوم لديه، مع الحروب التي عاصرها ومدى قابلية تطبيق هذا المبدأ في الحياة العملية على كلا المستويين؛ الشخصي والسياسي.

المترجم

عقيدة السيف:

إني أؤمن بذلك حقًّا: حينما لا يكون أمام خيار سوى الجبن أو العنف، فإنني أنصح بالعنف. عندما سألني ابني الأكبر عما كان يجب أن يفعله لو كان حاضرًا عندما تعرضت لاعتداء مميت في عام ١٩٠٨؛ إذا ما كان يجب أن يهرب ويراني قتيلًا، أو ما إذا كان يجب أن يستخدم قوته الجسدية التي كان يمكنه ويريد أن يستخدمها، ويدافع عني، أخبرته أن من واجبه الدفاع عني حتى باستخدام العنف.

لكنني أعتقد أن اللا عنف أسمى من العنف بما لا يُقاس، والتسامح أكثر شجاعة من العقاب. تزين المغفرةُ الجنديَّ. لكن التعفف عن ذلك لا يعتبر مغفرة، إلا عندما تكون هناك قوة للعقاب. إنه يصبح بلا معنى عندما يظهر أنه يُنفَّذ من قِبل مخلوق عاجز. بالكاد يغفر الفأر لقطة عندما يسمح لها بتمزيقه إلى قطع. لذا فإنني أُقدِّر مشاعر أولئك الذين يصرخون منادين بالعقاب الملائم للجنرال داير[1] ومَن على شاكلته. لو كان الأمر بمقدورهم، لمزقوه إربًا. لكنني لا أصدق أن تكون الهند عاجزة. لا أعتقد أني مخلوق عاجز. أنا فقط أريد استخدام قوة الهند وقوتي لغرض أفضل.

---

(١) يقصد غاندي هنا الكولونيل «ريجنالد إدوارد هاري داير»؛ كان ضابطًا في الجيش البنغالي، ثم بعد ذلك في الجيش الهندي المشكل حديثًا. بدأ حياته في الخدمة لفترة وجيزة في الجيش البريطاني النظامي قبل أن ينتقل للخدمة مع جيوش الرئاسة في الهند. بصفته قائد لواء مؤقت، كان مسؤولًا عن مذبحة جالينزالا باغ في أمريتسار (في مقاطعة البنجاب)، وقد أُطلق عليه لقب «جزار أمريتسار» بسبب أمره بإطلاق النار على حشد مسالم، وذكر التقرير الرسمي أن ذلك أدى إلى مقتل ما لا يقل عن ٣٧٩ شخصًا وإصابة أكثر من ألف آخرين.

أود ألا يُساء فهمي. إن القوة لا تنبع من القدرة الجسدية، بل من إرادة لا تقهر. إن الشخص العادي الذي ينتمي لقبيلة الزولو، بأي حال من الأحوال، أكثر قدرة جسدية من الرجل الإنجليزي العادي. لكنه يفر من صبي إنجليزي؛ لأنه يخاف من مسدس الصبي أو مَن يستخدمونه دفاعًا عن الصبي. إنه يخاف الموت ويفتقر إلى القوة على الرغم من بنيته القوية. قد ندرك في الهند في لحظة أن مائة ألف رجل إنجليزي لا حاجة بهم إلى تخويف ثلاثمائة مليون إنسان. وبالتالي، فإن الغفران الحاسم يعني الاعتراف الواضح بقوتنا. يجب أن تأتي مع التسامح المستنير موجة قوية من القوة بداخلنا، قد تجعل من المستحيل على داير وفرانك جونسون توجيه الإهانة إلى زعيم الهند المخلص. لست مهتمًّا الآن بشدة بإقناع الآخرين بحجتي. عندما لا نغضب وننتقم نشعر بأننا نُداس بالأقدام. لكن يجب ألا أحجم عن القول بأن الهند يمكنها أن تربح أكثر من خلال التخلي عن حق العقوبة. لدينا عمل أفضل للقيام به ومهمة أفضل لتقديمها للعالم.

أنا لست شخصًا حالمًا. إنني أدَّعي أنني مثالي عملي. لا يتوجه دين اللا عنف للريشيين[٢] والقديسين فقط، بل إلى عامة الناس أيضًا. اللا عنف هو قانون جنسنا البشري، كما أن العنف هو قانون الحيوان. تكمن الروح هامدة في الغاشم، وهو لا يعرف قانونًا سوى قانون القوة

(٢) الريشي: هو مصطلح فيدي للشخص الكامل المستنير، وقد قام الريش بتأليف ترانيم الفيدا. يعتبر التقليد الهندوسي لما بعد الفيدية أن الريش قد أدركوا الحقيقة الأسمى والمعرفة الأبدية.

الجسدية. تتطلب كرامة الإنسان طاعة لقانون أسمى؛ قوة الروح.

لذا فقد غامرت بأن أضع أمام الهند القانون القديم للتضحية بالنفس. ليست الساتياجراها[٣] وتفرعاتها، وعدم التعاون والمقاومة المدنية، سوى أسماء جديدة لقانون المعاناة. كان الريشيون، الذين اكتشفوا قانون اللا عنف في خضم العنف، أكثر عبقرية من نيوتن نفسه. لقد كانوا هم أنفسهم محاربين أعظم من ولنجتون[٤]. لقد أدركوا عدم جدوى السلاح بعد أن عرفوا استخدامه هم أنفسهم، وعلّموا العالم المنهك أن خلاصه لا يكمن من خلال العنف، ولكن من خلال اللا عنف.

يعني اللا عنف- في حالته الديناميكية- المعاناة الواعية. إنه لا يعني الخضوع الخانع لإرادة الفاعل الشرير، بل وضع كل روح المرء ضد إرادة الطاغية. من خلال العمل في ظل قانون كياننا هذا، من الممكن لفرد واحد أن يتحدى القوة الكلية لإمبراطورية ظالمة لإنقاذ شرفه ودينه وروحه ووضع الأساس لسقوط لتلك الإمبراطورية أو إحيائها من جديد.

---

(٣) تتكون الكلمة من مقطعين بالسنسكريتية "Satya"؛ أي «الحقيقة» أو «الحق»، "agraha"؛ أي «الإصرار» أو «التمسك بصرامة بـ» ومن هنا تعني الكلمة «الإصرار على الحق» أو «قوة الحق». وهي فلسفة ترتكز على المقاومة اللا عنفية. ابتكر المهاتما غاندي هذا المصطلح وطبَّق مبادئه في نضاله المبكر أثناء تواجده في جنوب أفريقيا لأجل حقوق الهنود، ثم في الهند نفسها من أجل استقلالها، وقد أثرت مبادئ الساتياجراها على الكثير من حركات الحقوق المدنية في العالم. يقول غاندي إن هدف الساتياجرها هو تغيير عقلية المسيء وليس إجباره.

(٤) هو آرثر ويلزي، الذي لُقِّبَ بالدوق ويلنجتون (١ مايو ١٧٦٩- ١٤ سبتمبر ١٨٥٢م)، قائد عسكري وسياسي بريطاني من أصل إيرلندي، اشتهر بتحقيقه النصر على نابليون بونابرت في معركة واترلو عام ١٨١٥م.

لذا أنا لا ألتمس من الهند أن تمارس اللا عنف لأنها ضعيفة. أريدها أن تمارس اللا عنف وهي مدركة لقوتها وقدرتها. لا حاجة إلى تدريب على استخدام الأسلحة لإدراك قوتها. يبدو أننا في حاجة إليها لأننا على ما يبدو نعتقد أننا مجرد كتلة من الجسد. أريد من الهند أن تدرك أن لديها روحًا لا يمكن أن تموت، وأن هذه الروح يمكنها أن تحلق منتصرة فوق كل ضعف جسدي، متحدية كل الاتحاد المادي للعالم بأسره. ما معنى راما[٥]؟ هل هو مجرد كائن بشري مع حشد من القرود يحفر لنفسه قبالة القوة المتعجرفة لرافانا[٦] ذي الرؤوس العشرة محاطًا بأمان مفترض من خلال المياه الهائجة من جميع جوانب لانكا؟ ألا يعني هذا انتزاع القوة الجسدية بالقوة الروحية؟ ومع ذلك، ولكوني رجلًا عمليًّا، أنا لا أنتظر أن تدرك الهند جدوى الحياة الروحية في العالم السياسي. تعتبر الهند نفسها عاجزة ومشلولة أمام المدافع الرشاشة والدبابات والطائرات الإنجليزية، وتتبنى اللا تعاون نتيجة لضعفها. يجب أن يخدم ذلك نفس الغرض؛ أي إخراجها من العبء الساحق للظلم البريطاني، إذا مارسه عدد كافٍ من الناس.

من جريدة Young India ١١-٨-١٩٢٠

---

(٥) راما: هو إله هندوسي وبطل شجاع، وتنسب إليه الملحمة الهندية المشهورة الرامايانا، وهو زوج سيتا ،وقد استطاع إنقاذها بمساعدة الإله القرد هانومان من الشرير راون، وله قصص كثيرة يقدِّسُها الهندوس، ولا تزال مشهورة حتى زمننا هذا في الهند.

(٦) رافانا: يوصف بأنه ملك لانكا الملعون في الملحمة السنسكريتية القديمة رامايانا، وأيضًا في النصوص الهندوسية القديمة الأخرى. يُعتبر رافانا هو رمزًا للشر.

خطوة واحدة كافية لي:

إن السيد ستوكس[٧] مسيحي يريد أن يتبع النور الذي يمنحه الله له. لقد اتخذ من الهند موطنًا له. إنه يراقب حركة عدم التعاون من تلال كوتاغيري، حيث يعيش في عزلة عن الهند في السهول، ويخدم سكان التلال. لقد ساهم بثلاث مقالات حول عدم التعاون في أعمدة جريدة الخادم في كلكتا وفي صحف أخرى. كان من دواعي سروري أن أقرأها خلال جولتي في البنغال. يؤيد السيد ستوكس عدم التعاون، لكنه يخشى العواقب التي قد تتبع النجاح الكامل؛ أي إخلاء البريطانيين للهند. إنه يستحضر أمام عقله صورة للهند وقد غزاها الأفغان من الشمال الغربي، ونهبها الجوركاس[٨] من التلال. بالنسبة لي أقول مع الكاردينال نيومان[٩]: «إنني لا أبغي رؤية المشهد البعيد. خطوة واحدة كافية بالنسبة لي». إن الحركة دينية بشكل أساسي. إن عمل كل إنسان يتقي الله هو أن ينأى بنفسه عن الشر، متجاهلًا العواقب تمامًا.

---

(٧) السيد ستوكس (١٨٨٢- ١٩٤٦م) من فيلادلفيا، وصل إلى الهند في عام ١٩٠٤م كمبشر ويعمل في المجال الاجتماعي وبدأ يعيش حياة بسيطة كهندي وتزوج من مسيحية في عام ١٩١٢م. بعد الحرب العالمية الأولى، قاد حملة ناجحة ضد ما يعرف بـ(العمل القسري). التقى غاندي في عام ١٩٢١م ودعم قيادته لحركة عدم التعاون، على الرغم من بعض الاختلافات في الرأي. تم سجنه في عام ١٩٢١م لمدة ستة أشهر. تحول هو وعائلته إلى الهندوسية في عام ١٩٣٢م. لقد شعر أنه بصفته هندوسيًّا، يمكنه توصيل رسالة يسوع إلى الهندوس بشكل أفضل.

(٨) هم هندوس ينتمون إلى مجموعة راجبوت العرقية التي تعيش في نيبال.

(٩) هنري نيومان (١٨٠١- ١٨٩٠م): كان شاعرًا ولاهوتيًّا وفيلسوفًا وكاهنًا إنجليكانيًّا، تحول فيما بعد ليصبح كاردينالًا كاثوليكيًّا.

عليه أن يؤمن بالعمل الصالح الذي يُنتج نتيجة جيدة وحسب، وهذه في رأيي هي عقيدة الجيتا[١٠] للعمل دون ارتباط. لا يسمح له الله أن يتطلع بحذر إلى المستقبل. إنه يتبع الحقيقة على الرغم من أن اتباعه لها قد يعرض حياته للخطر تمامًا. إنه يعلم أنه من الأفضل أن يموت في سبيل الله عن أن يحيا في طريق الشيطان. لذا، فمَن اقتنع بأن هذه الحكومة تؤدي نشاط الشيطان، ليس أمامه خيار سوى أن ينأى بنفسه عنها.

مع ذلك ، دعونا نفكر في أسوأ ما يمكن أن يحدث للهند عند الإخلاء المفاجئ للهند من قِبَل البريطانيين. ماذا يهم أن يهاجمنا الجوركاس والباثانس[١١]؟ بالتأكيد سنتمكن من التعامل مع عنفهم بشكل أفضل مما نحن عليه مع استمرار العنف، الأخلاقي والجسدي، الذي ترتكبه الحكومة الحالية. لا يبدو أن السيد ستوكس يتحاشى استخدام القوة الجسدية. من المؤكد أن العمل المشترك لمحاربي راجبوت والسيخ والمسلمين في الهند الموحدة يمكن الوثوق به للتعامل مع الناهبين من أي أو كل الأطراف. تخيل مع ذلك الأسوأ: أن تقهرنا اليابان من ناحية خليج البنغال والجوركاس من التلال والباثانس من الشمال الغربي. إذا لم ننجح في طردهم، سنصل إلى اتفاق معهم ونطردهم في أول فرصة. سيكون هذا مسارًا أكثر رجولة

(١٠) الجيتا: «أغنية الإله»؛ ملحمة شعرية هندوسية، تم تأليفها في عام ٣٠٠ ق.م، تتألف من ٧٠٠ بيت شعري، وهي إحدى ملاحم المهابهاراتا.

(١١) الباثانس: يعرفون تاريخيًّا بالأفغان، وهم مجموعة عرقية إيرانية، موطنهم وسط وجنوب آسيا.

من الخضوع اليائس لدولة غير شرعية معترف بها.

لكني أرفض التفكير في التوقعات الكئيبة. إذا نجحت الحركة من خلال عدم التعاون اللا عنفي -وهذا هو الافتراض الذي بدأ به السيد ستوكس- فإن الإنجليز -سواء بقوا أو غادروا- سوف يفعلون ذلك كأصدقاء وبموجب اتفاق منظم بين الشركاء. لم أزل أؤمن بصلاح الطبيعة البشرية، سواء كانت من الإنجليز أو غيرها. وبناء عليه لا أعتقد أن الإنجليز سيغادرون في «ليلة وضحاها».

وهل أعتبر الجوركا والأفغان لصوصًا، لا سبيل إلى تقويمهم وناهبين لا قدرة لهم على الاستجابة للتأثيرات المطهرة؟ لا أوافق على ذلك. لو عادت الهند إلى روحانيتها، سوف تؤثر في القبائل المجاورة. ستهتم بنفسها بخير هؤلاء الأشخاص الجسورين والمساكين في الآن ذاته، بل وستدعمهم، إذا لزم الأمر، ليس بدافع الخوف ولكن بدافع واجب الجيرة. كانت لتتعامل مع اليابانيين والبريطانيين في الآن ذاته. لن ترغب اليابان في اجتياح الهند إذا تعلمت الهند اعتبار ذلك الأمر خطيئة؛ أقصد أن تستخدم سلعة أجنبية واحدة يمكنها تصنيعها داخل حدودها. إنها تنتج ما يكفي من الطعام ويمكن لرجالها ونسائها، دون صعوبة، أن يصنعوا ما يكفي من القماش لتغطية عريهم وحماية أنفسهم من الحرارة والبرودة. إننا نصبح فريسة للغزو عندما نثير جشع الدول الأجنبية بالتعامل معها في ظل شعور بالاعتماد عليها. يجب أن نتعلم أن نكون مستقلين عن كلٍّ منها.

لذا ففي النهاية، سواء نجحنا من خلال العنف أو من خلال اللا عنف، أعتقد أن الأفق ليس قاتمًا على الإطلاق، كما تخيل السيد ستوكس. أي احتمال يمكن تصوره هو في رأيي أقل سوادًا من الوضع الحالي العاجز، غير الرجولي. ولا يسعنا أن نفعل أفضل من أن نتبع، بلا خوف وبثقة، المنهاج المشرف المنفتح للا عنف والتضحية الذي رسمناه لأنفسنا.

من جريدة Young India ٢٩-١٢-١٩٢٠

طريقي:

من حسن حظي ومن سوئه في الآن ذاته أن أتلقى الاهتمام في أوروبا وأمريكا في الوقت الحاضر. من حسن حظي أن رسالتي تُدرس وتُفهم في الغرب. من سوء حظي أنها تُضخَّم بشكل غير واعٍ أو تُحرَّف بشكل مُتَعمّد. كل حقيقةٍ ذاتية الفعل ولديها قوة متأصلة فيها. لذا أظل غير منزعج حتى عندما يتم فهمي بطريقة مُحرَّفة بشكل صارخ. أرسل إليَّ صديق أوروبي لطيف تحذيرًا يُظهر فيه- إذا كانت المعلومات التي أُعطيت له صحيحة- أنه قد أُسيء فهمي عمدًا أو مصادفًة في روسيا. ها هي الرسالة:

«سيطلب وزير الخارجية من الممثل الروسي في برلين، السيد كريستنسكي، الترحيب رسميًّا بغاندي (؟) و«الاستفادة من الموقف لمباشرة الأنشطة الدعائية البلشفية بين أتباعه». علاوة على هذا، سيتم منح كريستنسكي مهمة دعوة غاندي للقدوم إلى روسيا، ومن المخول

له أن يمنح إعانة لنشر الأدب الدعائي بين شعوب آسيا المقهورة، وعليه أن يُنشئ صندوقًا باسم غاندي لأغراض نادى الأورينتال[١٢] وسكرتارية للطلبة الذين يؤمنون بأفكاره (أفكار غاندي أو أفكار موسكو؟). أخيرًا سيتم تجنيد ثلاثة هندوس لأجل هذا العمل. كل هذا تم نشره في الصحف الروسية مثل جريدة المقود في الثامن عشر من أكتوبر».

تقدم الرسالة دليلًا على التقارير التي تفيد بأنه من المحتمل أن تتم دعوتي لزيارة ألمانيا وروسيا. لست بحاجة إلى القول إنني لم أتلقَّ مثل هذه الدعوة على الإطلاق، وليست لديَّ أدنى رغبة في زيارة هذه البلدان العظيمة. إنني مدرك لواقع أن الحقيقة التي أقف عليها لم تقبلها الهند بالكامل بعد. لم تَحْمِ نفسها بالكامل بعد. لم يزل عملي في الهند في مرحلة التجريب. في مثل هذه الظروف، فإن أي مغامرة أجنبية من جانبي ستكون سابقة لأوانها تمامًا. سأكون راضيًا تمامًا إذا نجحت التجربة بشكل واضح في الهند.

طريقي واضح. أي محاولة لاستخدامي لأغراض عنيفة محكوم عليها بالفشل. ليست لديَّ طرق سرية. لا أعرف دبلوماسية إلا الحقيقة. ليس لديَّ سلاح إلا اللا عنف. قد أضل عن غير وعي لفترة من الوقت، ولكن ليس إلى الأبد. لذلك لديَّ حدود واضحة المعالم، والتي يمكن بداخلها فقط أن يتم استخدامي. لقد بذلوا محاولات من

---

(١٢) **Oriental club**: هو نادي للنبلاء تأسس في عام ١٩٢٤م.

قبل لاستخدامي بشكل غير قانوني أكثر من مرة، وقد فشلوا في كل مرة على حد علمي.

لا أزال أجهل ماهية البلشفية بالضبط. لم أتمكن من دراستها بعد. لا أدري ما إذا كان ذلك لصالح روسيا على المدى الطويل أم لا. لكنني أعلم أنه بقدر ما يقوم الأمر على العنف وإنكار الله، فإنه ينفرني. لا أؤمن بنجاح طرق مختصرة للعنف. يجب على هؤلاء الأصدقاء البلاشفة الذين يولون اهتمامًا بي أن يدركوا أنه مهما تعاطفت مع الدوافع الجديرة وأعجبت بها، فأنا معارض عنيد للأساليب العنيفة حتى ولو لخدمة أنبل القضايا. لذلك، ليست هناك حقًّا أرضية لقاء بين مدرسة العنف وبيني. لكنَّ عقيدتي في اللا عنف لا تمنعني فحسب، بل تُجبرني حتى على الارتباط بالفوضويين وجميع أولئك الذين يؤمنون بالعنف. لكن الهدف الوحيد من هذا الارتباط هو فطامهم عما يبدو لي أنه خطؤهم؛ لأن التجربة تقنعني أن الخير الدائم لا يمكن أبدًا أن يكون نتيجة الكذب والعنف. حتى لو كان اعتقادي وهمًا أثيرًا، فسيتم الاعتراف بأنه وهم رائع.

من جريدة Young India ١١-١٢-١٩٢٤

ماذا عن الغرب؟

يكتب صديق أوروبي:

«ما الذي يمكن فعله، ما الذي تقترحه كشيء يمكن تجربته من أجل جوع الملايين في الغرب؟ إنني أعني بجوع الملايين جماهير طبقة

العمال الأوروبية والأمريكية التي يتم دفعها إلى الهاوية، ومَن يعيشون حياة لا تستحق الذكر، مليئة بالحرمان الأليم؛ أولئك الذين لا يستطيعون أن يحلموا بالراحة في المستقبل بأي شكل مستقل، والذين ربما حالتهم ميؤوس منها أكثر من ملايين الهنود؛ لأن الإيمان بالله وعزاء الدين قد فارقاهم، ولم يتبقَّ لهم بدلًا منهما شيء سوى الكراهية.

إن الأيدي الحديدية التي تضغط على الأمة الهندية تعمل هناك أيضًا. هذا النظام الشيطاني معمول به في كل من هذه الدول المستقلة، وليس للسياسة هنا أهمية بسبب حدة الشره والطمع. تدمر الرذيلة هذه الجماهير التي تحاول تلقائيًّا أن تهرب من جحيم حياتها بأي ثمن، لحساب جحيم أعظم، ولم يعد لديها منفذ للآمال الدينية، وذلك لوقوف المسيحية في صف القوى والجشِع لقرون، ومن ثم فقدت كل مصداقيتها.

بالطبع أتوقع أن يجيب المهاتما بأن الطريقة الوحيدة لخلاص هذه الجماهير- إن كان هناك ثمة خلاص باقٍ، وإذا لم يكن العالم الغربي بأكمله محكوم عليه بالفناء بالفعل- يكمن في تطبيق مقاومة غير عنيفة منضبطة مستمرة، على نطاق واسع. لكن بذور تقاليد الأهيمسا[١٣] غائبة عن التربة والعقل الأوروبيين. حتى انتشار العقيدة سيواجه صعوبات هائلة، فماذا عن فهمها وتطبيقها الصحيحين؟».

---

(١٣) الأهيمسا "Ahimsa": تعبير باللغة السنسكريتية القديمة ومعناها: «عدم الإصابة» و«الرحمة» وهي من الفضائل الأخلاقية الرئيسة في الجاينية، وتُقدر أيضًا بقوة في البوذية والهندوسية، وهي المعيار الذي يحكم على كل الأفعال في الجاينية وتشير إلى استخدام اللا عنف وتطبيق ذلك على جميع الكائنات الحية. وسَّع «غاندي» استخدامها لتشمل السياسة أيضًا.

إن المشكلة الكامنة وراء السؤال، الذي طرحه الصديق بإخلاص، خارج نطاقي. لذلك أحاول الإجابة فقط من خلال التقدير اللطيف للصداقة بيني وبين السائل. أعترف أنه لا توجد قيمة مرتبطة بإجابتي، باستثناء ما نعلقه على كل حجة مدروسة. لا أعرف تشخيص المرض الأوروبي ولا العلاج بنفس المعنى الذي أدَّعي بأنني أعرفهما معًا في حالة الهند.

مع ذلك أشعر، بشكل أساسي، أن المرض في أوروبا هو نفسه في الهند، على الرغم من حقيقة أن الناس في أوروبا يتمتعون بالحكم الذاتي السياسي. لن يُرضي طموحي مجرد نقل السلطة السياسية في الهند على الرغم من أنني أعتبر مثل هذا الانتقال ضرورة حيوية للحياة القومية الهندية. لا شك أن شعوب أوروبا تتمتع بسلطة سياسية، لكنها لا تتمتع باستقلال ذاتي. تُستغل الأجناس الآسيوية والأفريقية لمصلحتها جزئيًّا، ومن جانب آخر، يتم استغلال هذه الشعوب الأوروبية من قِبل الطبقة أو الفئة الحاكمة بدعوى الاسم المقدس للديموقراطية. لذلك يبدو أن المرض الجذري هو نفس المرض الموجود في الهند. لذا من المحتمل أن يكون نفس العلاج قابلًا للتطبيق. إن تجريد الخداع والاستغلال الذين تتعرض لهما جماهير أوروبا مُعزز بالعنف.

إن عنف الجماهير لن يزيل المرض أبدًا. على أي حال، حتى الآن تُظهر التجربة أن نجاح العنف لم يدم طويلًا. لقد أدى إلى مزيد من العنف. ما تم تجربته حتى الآن كان عبارة عن مجموعة متنوعة من أعمال العنف وضوابط مصطنعة تعتمد بشكل أساسي على إرادة

العنف. انهارت هذه الضوابط بشكل طبيعي في اللحظة الحاسمة. لذلك يبدو لي أنه سيتعين على الجماهير الأوروبية عاجلًا أم آجلًا أن تتجه نحو اللا عنف، إذا أرادوا أن يجدوا خلاصهم. وحقيقة أنه ليس هناك أمل في أن يتبعوا جميعًا هذا الطريق على الفور لا تحيرني. إن بضعة آلاف من السنين ليست سوى نقطة في الدائرة الزمنية الواسعة. على المرء أن يبدأ بإيمان لا يُقهر. لا أشك في أن الجماهير، حتى في أوروبا، ستستجيب، لكن ما هو أكثر إلحاحًا من منظور الزمن ليست تجربة كبيرة في اللا عنف بقدر ما هو فهم دقيق لمعنى الخلاص.

مما ستخلص الجماهير؟ لن يكون هناك تعميم غامض والإجابة هي: «من الاستغلال والانحلال». أليس الجواب هو أنهم يريدون احتلال مكانة رأس المال التي يشغلها اليوم؟ إذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن تحقيقها إلا بالعنف. لكن إذا أرادوا تجنب شرور رأس المال، بعبارة أخرى، إذا كانوا سيعدلون من وجهة نظرهم تجاه رأس المال، حينئذ سوف يناضلون لتحقيق توزيع عادل لنتاج العمل. يأخذنا هذا على الفور إلى القناعة والبساطة، المتبناة طوعًا. في ظل النظرة الجديدة، لن يكون تعدد الحاجات المادية هو هدف الحياة، بل سيكون الهدف بالأحرى هو تقييدها باستمرار مع الراحة. سوف نتوقف عن التفكير في الحصول على ما نستطيع، لكننا سنرفض الحصول على ما لا يستطيع الجميع الحصول عليه. أظن إذَنْ أنه لا ينبغي أن يكون من الصعب أن نحقق نجاحًا في التوجه بذلك إلى الجماهير في أوروبا، من حيث الاقتصاد وعمل ناجح لإجراء مثل هذه التجربة، بل يجب أن

يؤدي ذلك إلى نتائج روحية هائلة غير مقصودة. لا أعتقد أن القانون الروحي يعمل في مجال خاص به. على العكس من ذلك، فإنه يعبر عن نفسه فقط من خلال أنشطة الحياة العادية، وبالتالي فهو يؤثر على المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. إذا أمكن إقناع جماهير أوروبا بتبني وجهة النظر التي اقترحتها، سيتبين أن العنف لن يكون ضروريًّا تمامًا لتحقيق الهدف، وأن بإمكانهم بسهولة الوصول إلى أهدافهم من خلال اتباع النتائج الطبيعية الواضحة للا عنف. قد يتبين حتى أن ما يبدو لي طبيعيًّا وممكنًا جدًّا للهند قد يستغرق وقتًا أطول للتغلغل في نفوس الجماهير الهندية الخاملة مقارنة بالجماهير الأوروبية النشطة. لكن يجب أن أكرر اعترافي بأن كل حجتي تستند إلى ظنون وافتراضات، وبالتالي يتوجب عدم المبالغة في قيمتها.

من جريدة Young India ٣-٩-١٩٢٥

من أوروبا:

عندما أفكر في ضعفي وعجزي من ناحية والتوقعات التي أثيرت حولي من ناحية أخرى، يصيبني الذهول في الوقت الراهن، لكنني أعود إلى رشدي بمجرد أن أدرك أن هذه التوقعات هي ثناء ليس لي، إن ذلك بمثابة مزيج غريب من جيكل وهايد[١٤]، ولكن الثناء لصالح تجسد القيمتين الثمينتين للحقيقة واللا عنف بداخلي، على الرغم

(١٤) جيكل وهايد: رواية كتبها الكاتب الإسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون عن الطبيب الخير جيكل الذي قام بتجربة على نفسه والتي تحوله بشكل دوري إلى شخصية السيد هايد السادي. تمثل القصة الخير والشر داخل الإنسان.

من أنه تجسد غير كامل، لكنه كبير نسبيًّا. لذلك عليَّ ألا أتنصل من مسؤولية تقديم المساعدة التي يمكنني تقديمها لزملائي الباحثين عن الحقيقة في الغرب.

لقد تعاملت بالفعل مع رسالة وصلتني من أمريكا. لديَّ واحدة من ألمانيا. إنها رسالة متعقلة إلى حد بعيد. لقد بقيت معي لمدة شهر تقريبًا. في البداية ظننت أنني سأرسل ردًّا خاصًّا وأسمح بنشره في ألمانيا إذا رغب المراسل في ذلك. لكني بعد إعادة قراءة الرسالة، توصلت إلى استنتاج مفاده أنه يجب عليَّ التعامل معها في هذه الأعمدة. ها هي الرسالة بالكامل:

«ليست فقط الهند مَن سمعت رسالتك عن الساتياجراها وتشجيع الصناعة المحلية ومقاطعة السلع الأجنبية، في إطار السعي لنيل الاستقلال. ولكن بقية الأرض. يؤمن عدد كبير من الشباب في أوروبا بمذهبك. إنهم يرون فيها موقفًا جديدًا تجاه الأمور السياسية، موضوعًا محل التنفيذ، والذي لم يكن سوى حلمٍ بالنسبة لهم حتى الآن.

ولكن هناك أيضًا الكثير من بين الشباب الذين اقتنعوا بصدق الرسالة، يعارضون بعض التفاصيل المتعلقة بمطالبكم من الرجال، والتي تبدو خاطئة بالنسبة لهم. لقد كتبتُ هذه الرسالة باسمهم.

ردًّا على سؤال لك، صرَّحت في الحادي والعشرين من مارس عام ١٩٢١، أن الساتياجراها تتطلب اللاعنف المطلق، وأنه حتى المرأة التي تتعرض لخطر الانتهاك يجب ألا تدافع عن نفسها بالعنف. من

ناحية أخرى، من المعروف أنك أيَّدت عقوبة الجنرال داير من قبل الحكومة الإنجليزية، مما يدل على أنك ترى ضرورة القانون مكفولًا من خلال العنف. من هذا لا يسعني إلا أن أستنتج أنك لا تعترض على عقوبة الإعدام، وبالتالي لا تدين القتل بشكل عام. إنك تعطي للحياة قيمة دنيئة جدًّا لدرجة أنك تسمح لآلاف الهنود بأن يفقدوا حياتهم من أجل الساتياجراها، ومما لا شك فيه أنك تعلم أن أقل تدخل في حياة الرجال -وليكن السجن- يقوم أساسًا على نفس مبدأ الأقوى؛ أي القتل، ففي كل الحالات تتسبب قوة خارجية في انحراف الناس عن الدارما[١٥] الخاصة بهم. إن الإنسان الذي يفكر منطقيًّا يعرف أن نفس المبدأ هو الذي يتسبب في سجنه لبضعة أيام أو إعدامه، وأن الاختلاف هو فقط في حجم التدخل وليس نوعه. إنه يعلم أيضًا أن الشخص الذي يؤيد العقوبة بشكل عام يجب ألا يتجنب القتل.

إنك لا ترى في عدم التعاون طريقةً مثالية فحسب، ولكنه أيضًا طريقة آمنة وسريعة للحرية في الهند؛ طريقة ممكنة فقط حيثما يتعين على جميع السكان التمرد ضد حكومة لديها قوة السلاح. ولكن عندما ترغب دولة بأكملها في الحصول على حقوقها من دولة أخرى، فإن مبدأ عدم التعاون يكون عاجزًا؛ لأن هذه الدولة الأخرى قد تحصل على عدد من الدول الأخرى لتشكيل تحالف معها، حتى عندما تكون

(١٥) «Dharma» الدارما: في الهندوسية هي القانون الديني والأخلاقي الذي يحكم سلوك الفرد والجماعة.

بعض الدول الأخرى على موقف محايد. لا توجد عصبة أمم حقيقية، تنتمي إليها كل دولة، يمكن أن يصبح عدم التعاون من خلالها قوة حقيقية، حيث لا يمكن لأي دولة أن تتحمل العزلة عن جميع الدول الأخرى. لهذا السبب نناضل من أجل عصبة الأمم، ولكن هذا أيضًا هو السبب الذي يجعلنا نحاول الاحتفاظ بقوة شرطة قوية، حتى لا تؤدي الثورات الداخلية والخلافات إلى جعل كل سياسة خارجية مستحيلة. لهذا السبب نفهم أن الحكومات الأخرى تفعل ما منعونا من القيام به، وهو تسليح نفسها في حالة هجوم من قِبل أعدائها. إنهم، في الوقت الحالي، ملزمون بفعل ذلك وعلينا بالفعل أن نقوم بالشيء نفسه إذا كنا لا نريد أن نُنتهك باستمرار. نأمل أن تتفهم وجهة نظرنا. يجب أن نكون ممنونين لك بالكثير إذا قمت بالرد على هذه الرسالة؛ لأنه من الضروري أن يعرف شباب أوروبا موقفك الحقيقي من هذه الأسئلة. لكن من فضلك لا تعتقد أننا نريدك أن تنكر شيئًا يمثل إحدى النقاط الرئيسة في عقيدتك؛ الساتياجراها.

لكننا لا نرى الساتياجراها في اللا عنف المطلق الذي لم يتم تنفيذه حقًّا في أي مكان، حتى من قِبلك أو حتى من قِبل المسيح نفسه الذي طرد المرابين من الهيكل[١٦]. فيما يتصل بنا، الساتياجراها هي الاستعداد غير المتحفظ للأُخوَّة والتضحية التين تظهرهما لنا بشكل رائع مع الشعب الهندي ونأمل أن ننمو في نفس الحالة الذهنية، من

(١٦) يشير الكلام هنا إلى حادثة طرد المسيح للمرابين والباعة عندما دخل الهيكل في أورشليم.

منطلق فهم أن النظام قد يكون شريرًا، ولكن ليست فئة كاملة أو شعبًا بأكمله (لقد كتبت عن هذا في ١٣ يوليو ١٩٢١)، وعلى المرء أن يشعر بالشفقة ولكن لا يشعر بالكراهية تجاه العميان المدافعين عن الشر. إن البشر الذين يفهمون هذا يتخذون خطواتهم الأولى في الطريق الجديد للتآخي بين جميع البشر وهذا الطريق سيؤدي إلى الهدف؛ إلى انتصار الحقيقة، إلى الساتياجراها.

لا نطلب منك في إجابتك أن تنصحنا فقط بالنضال من أجل بلدنا بالطريقة التي نعتقد أنها صحيحة، ولكن نود كثيرًا معرفة ما تعتقد أنه صائب، خاصة تبريرك للا عنف التام الذي نراه بمثابة انسحاب من كل نضال حقيقي ضد الشر، وهذا السبب شرير في حد ذاته كما ندعو الشرطي شريرًا إذا ترك مجرمًا يفلت من العقاب.

إن قناعتنا هي أنه ينبغي علينا أن نتبع الدارما الخاصة بنا أولًا، وقبل كل شيء يجب أن نعيش الحياة التي صممها لنا الله، لكننا نُعطي الحق والواجب للتدخل في حياة إخواننا البشر عندما يطلبون منا القيام بذلك أو عندما نرى في مثل هذا التدخل طريقة لمحاربة شر يُهدِّد العالم بأسره. نحن نؤمن أنه بخلاف ذلك لا يكون للمرء الحق في التدخل؛ لأن الله وحده يستطيع أن يرى تمامًا نفوس البشر ويحكم على الطريق الصحيح للبشر، ونعتقد أنه ليس ثمة تجديف أعظم من وضع المرء نفسه مكان الله، ونعتقد أن الشعب الإنجليزي مذنب بذلك التجديف، فهم يعتقدون أن مهمتهم هى التدخل في حياة الناس في جميع أنحاء العالم.

لهذا السبب لا نفهم كيف يمكنك أن توصي المتزوجين بحرمان بعضهم من بعض دون اتفاق متبادل؛ لأن مثل هذا التدخل في الحقوق التي يمنحها الزواج يمكن أن يدفع الإنسان إلى ارتكاب الجرائم. يجب أن تنصح بالطلاق في هذه الحالات.

نرجو أن تجيب عن هذه الأسئلة التي لدينا. يسعدنا جدًّا أن نقدم النموذج الذي قدمته؛ لأننا نريد كثيرًا أن نعرف بوضوح تام الطريقة الصحيحة للحياة بحسب معيارك».

لم يكن لديَّ، أثناء أسفاري، ملف جريدة **Young India** أمامي ولكن لا توجد صعوبة في مصادقتي على عبارة: «الساتياجراها تتطلب اللا عنف المطلق، وأنه حتى المرأة التي تتعرض لخطر الانتهاك يجب ألا تدافع عن نفسها بالعنف». هذان التصريحان يتعلقان بحالة مثالية، وبالتالي فهما يُنفَّذان من قِبل الرجال والنساء الذين طهَّروا أنفسهم إلى هذا الحد، حتى لا يكون لديهم حقد أو غضب أو عنف بداخلهم. وهذا لا يعني أن المرأة في الحالة المُتخيلة ستسمح لنفسها بهدوء بالانتهاك. أولًا: يجب على هذه المرأة أن تكون في منأى عن خطر العنف. وثانيًا، إن تعرضت لذلك، دون أن تمارس العنف على الهمج، ستتمكن تمامًا من الدفاع عن شرفها.

لكن يجب ألا أخوض في التفاصيل. حتى النساء اللاتي يستطعن الدفاع عن أنفسهن بالعنف لسن كثيرات. مع ذلك، لحسن الحظ، فإن حالات الاعتداء غير اللائق ليست كثيرة جدًّا أيضًا. مهما كان الأمر،

فأنا أؤمن ضمنيًّا في الافتراض بأن النقاء التام يحوي بداخله دفاعًا عن نفسه. في الوقت الحالي، يصبح أشد المتوحشين ترويضًا في حضور نقاء براقٍ.

لم يتم إبلاغ الكاتب بشكل صحيح بموقفي تجاه الجنرال داير. سيكون من دواعي سروره أن يعرف أنني لم أوصِ فقط بأي عقوبة للجنرال داير، ولكن حتى رفاقي، بدافع احترامهم السخي لي، تنازلوا عن مطالب العقوبة. مع ذلك فإن ما طلبته بالفعل، وأنا أضغط بالمطالبة به حتى الآن، هو إيقاف المعاش للجنرال داير. ليس جزءًا من خطة اللا عنف دفع المال للفاعل المخطئ مقابل الخطأ الذي يرتكبه، وهو ما سيكون عمليًّا هكذا إذا أصبحت طرفًا راغبًا في استمرار المعاش للجنرال داير. لكن أرجو ألا يُساء فهمي. أنا قادر تمامًا على التوصية بعقوبة حتى للمخطئين في ظل ظروف يمكن تصورها؛ على سبيل المثال لن أتردد في ظل الوضع الحالي للمجتمع في حبس اللصوص والسارقين، وهذا في حد ذاته نوع من العقاب. لكن سأعترف أيضًا بأن هذا ليس من الساتياجراها، وأنه تَدَنٍّ عن العقيدة النقية. لن يكون هذا اعترافًا بضعف العقيدة بل بضعف نفسي. ليس لديَّ علاج آخر لاقتراحه في مثل هذه الحالات في الوضع الراهن للمجتمع. لذلك أنا راضٍ عن تأييد استخدام السجون كإصلاحيات أكثر منها كأماكن للعقاب.

لكنني أود التفرقة بين القتل والاحتجاز أو حتى العقاب البدني. أعتقد أن هناك فارقًا ليس فقط في الكمية، ولكن أيضًا في الجودة.

أستطيع سحب عقوبة الاحتجاز. يمكنني أن أعوِّض الشخص الذي أُنزلت عليه عقوبة بدنية. ولكن بمجرد مقتل شخص، تكون العقوبة غير قابلة للاسترداد أو التعويض. يمكن لله وحده أن يأخذ الحياة؛ لأنه هو وحده مَن يمنحها.

آمل ألا يكون هناك ارتباك في ذهن الكاتب عندما يقرن التضحية بالنفس للساتياجراهي بالعقاب المفروض من الخارج. ولكن من أجل تجنب حتى إمكانية حدوث ذلك، اسمحوا لي أن أوضح أن عقيدة العنف تشير فقط إلى فعل الأذى من قبل شخص لآخر. إن معاناة الشخص من الأذى، على العكس من ذلك، هي جوهر اللا عنف وهي البديل المختار للعنف ضد الآخرين. ذلك ليس لأنني أعطي للحياة قيمة حقيرة، حتى أنه يمكنني أن أؤيد بفرح الآلاف الذين يفقدون حياتهم طوعًا من أجل الساتياجراها، ولكن لأنني أعلم أنها تؤدي على المدى الطويل إلى أقل خسارة في الأرواح وإلى ما هو أكثر؛ إنها تمجد أولئك الذين يفقدون حياتهم وتُثري العالم أخلاقيًّا لتضحياتهم. أعتقد أن الكاتب محق في قوله إن عدم التعاون ليس مجرد فكرة مثالية ولكنه أيضًا «طريقة آمنة وسريعة لحرية الهند». أفترض أن العقيدة صالحة أيضًا بين الدول وبعضها. أعلم أنني أسير على أرضية رقيقة، بالإحالة إلى الحرب الأخيرة. لكني أخشى أنه يجب عليَّ فعل ذلك، من أجل توضيح الموقف. لقد كانت حربًا للتوسع، كما فهمت، من كلا الجانبين. لقد كانت حربًا لتقسيم غنائم استغلال الأجناس

الأضعف؛ أو كيفما تسميها التجارة العالمية بشكل أرقَّ. لو غيرت ألمانيا سياستها اليوم وعقدت العزم على استخدام حريتها ليس لتقسيم تجارة العالم ولكن لحماية أعراق الأرض الأضعف من خلال تفوقها الأخلاقي، بإمكانها بالتأكيد على أن تفعل ذلك دون تسليح. قد يتبين أنه قبل أن يبدأ نزع السلاح العام في أوروبا، كما يجب أن يحدث في يوم من الأيام ما لم تنتحر أوروبا، سوف تضطر بعض الدول إلى التجرؤ على نزع سلاحها والقيام بمجازفات كبيرة. إن مستوى اللا عنف في تلك الأمة -إذا كان الحظ حسنًا وحدث هذا- سيكون من الطبيعي أن يرتفع إلى درجة تستحوذ على الاحترام العالمي. ستكون أحكامها غير خاطئة وقراراتها حازمة وقدرتها البطولية على التضحية بالنفس، عظيمة وستريد أن تعيش من أجل الأمم الأخرى بقدر ما تعيش لنفسها. قد لا أطرح هذا الموضوع الدقيق أكثر من ذلك. أعلم أنني أكتب بطريقة نظرية على سؤال عملي دون معرفة كل الاحتمالات. عذري الوحيد- إذا فهمتُ ذلك بشكل صحيح- أن هذا هو ما أرادني الكاتب أن أفعله.

إنني أبرر اللا عنف التام، وأعتبره ممكنًا في العلاقة بين إنسان وآخر، والأمم وبعضها، ولكنه ليس "تخليًا عن كل نضال حقيقي ضد الشر". على العكس من ذلك؛ إن اللا عنف -بحسب تصوري- هو نضال أكثر فاعلية وواقعية، ضد الشر، من الانتقام الذي من طبيعته أن يزيد الشر. إنني أعتزم على معارضة الفساد عقليًّا وبالتالي أخلاقيًّا.

إنني أسعى تمامًا إلى ثلم حد سيف الطاغية، ليس من خلال وضع سلاح أكثر حدة قبالته، ولكن من خلال خيبة أمله في توقعه بأنني سأسعى إلى المقاومة الجسدية. بدلًا من ذلك، ستراوغه مقاومة الروح التي يجب أن أعرضها. ستبهره في البداية، وفي النهاية ستضطره إلى التسليم، وهذا التسليم لن يخزيه بل سيرتقي به. قد نثير الأمر مرة أخرى ونقول إن هذه حالة مثالية وهذا هو الحال. إن الافتراضات التي استخلصت منها حججي صحيحة مثل تعريفات إقليدس والتي لا تقل أي منها صحة؛ لأننا في الممارسة العملية غير قادرين حتى على رسم خط إقليدس على السبورة. يجد حتى الاختصاصي بعلم الهندسة أنه من المستحيل المضي قدمًا دون أن يضع في اعتباره تعريفات إقليدس. ولا يجوز لنا وللصديق الألماني وزملائه وأنا، الاستغناء عن الافتراضات الأساسية التي تقوم عليها عقيدة الساتياجراها.

لا يزال لديَّ الآن سؤال واحد فقط حساس للإجابة عليه. شبَّه الكاتب، بطريقة بارعة، الادعاء الإنجليزي لحق أن يصبح معلمًا للعالم بأسره مع آرائي حول العلاقات بين المتزوجين. لكن المقارنة ليست صحيحة. ينطوي رباط الزواج على رؤية بعضنا فقط من خلال الاتفاق المتبادل. لكن من المؤكد أن الامتناع عن الجنس لا يتطلب الموافقة. ستكون الحياة الزوجية غير محتملة كما يحدث فعلًا عندما يخترق أحد الشركاء جميع قيود ضبط النفس. يؤكد الزواج على حق الاتحاد بين شريكين، استبعاد جميع الآخرين عندما يرى في رأيهما

المشترك أن هذا الارتباط مرغوب فيه. لكنه لا يمنح أي شريك الحق في المطالبة بطاعة الطرف الآخر له لرغبة المرء في الاتحاد. ما يجب فعله عندما يتعذر على أحد الشركاء لأسباب أخلاقية أو غيرها الامتثال لرغبات الطرف الآخر هو طلب الانفصال. إنني لا أتردد شخصيًّا في قبول الطلاق، إذا كان هو البديل الوحيد. هذا أفضل من إعاقة تقدمي الأخلاقي، على افتراض أنني أريد تقييد نفسي على أسس أخلاقية محضة.

من جريدة Young India ١٠-٨-١٩٢٥

الحضارة الأوروبية:

أرسل لي صديق دانماركي ترجمة مقتطفات من مقالة مطبوعة في مجلة **Gads danske**. العنوان الذي أعطاه لهذه المقتطفات هو «الحضارة الأوروبية وغاندي». بتبني عنوانه لـ **Young India**، حذفت اسمي، مثلما حذفت الإشارات إلى آرائي في المقتطفات. ليست آرائي بالشيء الجديد على قراء **Young India**. ها هي الترجمة الواردة:

«تفتخر أوروبا بحضارتها؛ حضارتها المسيحية.

التقدم الظافر للعرق الأبيض في جميع أنحاء الأرض هو شعار العصر.

التقدم الظافر للعرق... هذا صحيح. لكن هل هو تقدم في الحضارة والإنسانية والمسيحية؟ تدير العدالة وجهها بعيدًا وتبكي.

هل تود أن تكتشف جحيم من الكراهية العنصرية والوحشية؟ إذَنْ، اذهب إلى أوروبا.

انظر إلى السياسة العامة الجماعية للقوى المسيحية في الصين. الفعل الأول: السلب المخزي الذي يمارسه الأوروبيون المستفيدون على مر العصور. الفعل الثاني: رد فعل المواطنين الغاضبين من خلال قتل السفير الألماني. الفعل الثالث: تباشر أوروبا «حملتها البربرية» تحت قيادة ألمانية، وبروح ذلك الشعار الذي أُطلِق بشكل ساخر من قِبل الصحيفة الساخرة simplicissimus في خطاب مُتَخيل للضابط الألماني: «الآن أقترح نخبًا للانتشار القوي للإنجيل والاجتياز الظافر على الخنازير الصينية (شفاينهوند[١٧])!».

لقد أطلق علينا الصينيون بحق «الهمج ذوو الشعر الأحمر» أو «الشياطين ذوو الشعر الأحمر».

دعونا الآن نلقي نظرة على بعض أنواع الإنسان العاقل الأوروبي.

قد يستحق الإيطاليون ذكرًا مشرفًا؛ لأن المسيحية دفعتهم للتخلي عن اضطهادهم الوحشي للبهائم الوحشية بعد ٤٠٠ سنة تقريبًا بعد الميلاد. تكشف لنا طرفة غريبة عن كيف تخلى الرومان القدامى عن عروضهم تلك كرهًا. لقد وجد رجل دين صعوبة في أن يجعل مسار ذلك التحول يظل بعيدًا عن حلبة العروض. قال: «أعزائي المسيحيين! عليكم أن تتجنبوا هذه العروض الوثنية الدموية. حينئذٍ، كمكافأة، قد

(١٧) كلمة ألمانية تعني الخنزير.

تأملون في السماء وجود ثقب يمكنكم من خلاله النظر إلى المذنبين المدانين في نار الجحيم الأبدية!»، «إنها في الواقع، فكرة «مسيحية» رائعة ونبيلة!».

لوصف معيار «أكثر الأمم مسيحية» بالنسبة للإسبان، يكفي أن نذكر حقيقة أن اللعبة المفضلة للأمة حتى يومنا هذا هي قتال الثور. البطل القومي هو الـ«مصارع الثيران العظيم[١٨]»؛ الجلاد القاسي للحيوانات.

اختلقت فرنسا الصيد «القسري»[١٩].

تلتزم إنجلترا بنفس الرياضة النبيلة. انظر إلى الصحف المزخرفة المنشورة تكريمًا لعيد الميلاد؛ عيد المسيحيين للسلام وعمل الخير! والشيء بالشيء يُذكر، أثناء عشاء في الدنمارك، أخبر رجل دانماركي سيدة إنجليزية أنه أطلق النار على ثعلب. صرخت على الفور: «يا إلهي! لا تقل ذلك! أطلقت النار على الثعلب؟»، ممسكة إياه من ذراعه. ثم أدارت ظهرها بازدراء؛ لأنه من غير الجدير بسيد مهذب أن يعذب الحيوان المسكين حتى الموت! شَهِد رجل دين دانماركي، ذات مرة وهو يبحر في البحر الأحمر، السكان الأصليين وهم يندفعون من الباخرة لأجل عملات معدنية. لكن السيدات الإنجليزيات لم يَكُنَّ راضيات عن رؤيتهم يقفزون من على ظهر الباخرة. أمروهم

(١٨) كُتبت الكلمة بالإسباني Grantoreador.

(١٩) كُتبت الكلمة بالفرنسية.

بالقفز من أعلى السواري ليصبح الأمر أكثر إثارة! حرب الأفيون ومعاملة الإيرلنديين في القرون الماضية هي أدلة أخرى على الأخلاق الإنجليزية. بسبب مقاومة الأمة الإنجليزية للتجنيد الإجباري، تجنبت إنجلترا، لحسن الحظ، استخدام عتاد المدافع القسري. ولكن ما هي المكافأة السخية الموعودة للمتطوعين الهنود في الحرب العظمى؟ يكفي ذكر أمريتسار[٢٠].

اختلقت ألمانيا «أخلاقيات السادة» الأكثر وحشية قبل البلشفية والقمع الأكثر منهجية للأمم «ذات القيمة الثانوية» (السفلية)[٢١]. يمنح البرنامج الجرماني لعام ١٨٩٥ امتيازًا لـ«عموم الألمان» للتصويت وأن يُنتَخبوا في البرلمانات والوزارات كما يمنحهم حق شراء ملكيات الأرض. إنهم يتسامحون عن طيب خاطر مع الأجانب في الدولة باعتبارهم متمرنين على «العمل الجسدي الأدنى». شَهد ذات مرة جراح دانماركي -كزائر في مستشفى ألماني- نقل الأنسجة الحية من جسم إلى آخر. وبينما كان يتساءل كيف سيكون من الممكن الحصول على مقدار كافٍ من الأنسجة، أجاب البروفيسور الألماني: لدينا ما يكفي من البولنديين. مكّن قانون دلبرك، لعام ١٩١٢، المهاجرين الألمان من أن يظلوا مواطنين في الإمبراطورية الألمانية، سرًّا، بعد أن حصلوا رسميًّا على جنسية الدول الأجنبية

(٢٠) راجع الحاشية رقم ١.

(٢١) كُتبت هذه الكلمة بالألمانية من قِبل كاتب الرسالة.

الساذجة، وهي وسائل لطيفة ونبيلة لخلق آلاف العملاء السريين من العموم المناصرين الألمانيين. أدى التجنيد الإلزامي الذي ألزم به الألمان الملايين من أبناء الأمم «السفلية»، أن يصبحوا بمثابة عتاد للأسلحة في حروبهم، بينما كان أقرباء الضحايا يُضطهدون في الوطن بأكثر الطرق وحشية. هكذا تم قتل ٦٠٠٠ دانماركي في الحرب العظمى من شمال شيلسفيغ، من أجل قضية غريبة عنهم وكريهة لهم. استعبد الألمان آلاف البلجيكيين من خلال «التجنيد الإلزامي المدني». في بعض الأحيان أجبروا حتى هؤلاء البؤساء على العمل داخل خط النار.

تدين البلشفية لعظماء الطاقم الألماني بأساس حكمها الناجح. إنها تمارس أساليب الكذب والوحشية الألمانية للأسف، بل وقد تجاوزتها. نحن نلاحظ عنصرًا من عناصر التعصب اليهودي الذي يتسبب في جنون محض. قد نشير هنا إلى محتويات القصيدة البلشفية التي نشرها أ. سابرودني عام ١٩٢٢: «إنك تفضل أن تغني على الحب. سأعلمك أغانيَ أخرى عن الدم والإعدام والموت. كفانا من العبير اللطيف لليلك[٢٢]! أفضل زهور القتل. إنه لمن أكثر دواعي السرور أن يُضطهد الإنسان الذي يحب قريبه. يا لها من متعة أن تمزق إنسانًا إربًا! انظرْ، كيف يرتجف خوفًا. انظر إلى تشنجاته بينما يخنقه الجلاد ببطء. يا لها من متعة؛ إلحاق الجروح

(٢٢) الليلك: زهرة عطرة.

بأحد. استمع إلى حكم الإعدام: حبل المشنقة. إطلاق النار! حائط! أطلق النار!.. والقبر هو قدرك».

لقد تم التأكيد على ثلاث نقاط للأخلاق الأوروبية: أخلاق السادة، وسياسة الكذب، وسياسة القتل. من أجل توضيح المعيار الأوروبي، أقتبس خطابًا ألقاه البروفيسور اللاهوتي باومجارتين[٢٣] في جامعة كيلفي عام ١٩١٥م (طُبع في جريدة Norddentsche[٢٤] Allgemeine Zeitung في الخامس عشر من مايو، ١٩١٥م).

يذكر الأستاذ الورع أن العظة على الجبل، ببساطة، تستثني الحرب. لكن هذا القانون مخصص فقط لغير المتزوجين. «يمثل النظام الأخلاقي للعظة على الجبل جزءًا آخر من حياتنا الأخلاقية غير معيارنا الوطني. لا يتم انتهاك قواعدها للنفس الواحدة؛ لأننا ندرك أنها ليست، في نفس الوقت، قانونًا لحياتنا الوطنية والاجتماعية». إن الدولة، كما يقول البروفيسور باومجارتين، قد خلقها الله ويجب الدفاع عنها بكل ما لدينا من قوة. «إنها إحدى سمات الأمة العظيمة التي تستخدم أكثر الوسائل تطرفًا وحتى حرب العدوان من أجل تنفيذ أهدافها العظيمة». «إننا معشر الألمان نشعر بالالتزام ليس فقط بالموافقة على الحرب، ولكن أيضًا بقيادتها بأقصى قدر من التهور. إن مَن لم يتخذ قراره في هذه الأيام

(٢٣) مايكل باومجارتن (١٨١٢ – ١٨٨٩م): هو لاهوتي بروتستانتي ألماني.
(٢٤) جريدة ألمانية ظهرت ما بين عامي ١٨٦١م، ١٩٤٥م.

بالترحيب بتدمير لوسيتينيا[٢٥] بتصفيق مبتهج، وبالفرح بالقوة الهائلة للأسلحة الألمانية، ليس حقًّا بألماني».

تقدم هذه المقتطفات صورة شديدة الوضوح ، لكن من المحتمل أنها صحيحة من حيث الفحوى. إن مجموع نشاطات الدول الأوروبية هو إنكار لتعاليم العظة على الجبل، أعتقد أن ذلك أمر لا يُنكر. لقد عرضت هذه المقتطفات فقط للتوكيد على الحذر اللازم من الانسياق خلف الانبهار ببريق ولمعان الجيوش الأوروبية. إذا كانت الصورة المذكورة سابقًا هي أوروبا بأكملها، سيكون ذلك محزنًا لأوروبا أيضًا كما هو للعالم. لحسن الحظ، هناك مجموعة، جديرة بالاعتبار، من الرجال والنساء في أوروبا الذين يكرسون جلّ طاقاتهم لمكافحة حمى الحرب والسعي اللاهث وراء الثروة المادية والمتعة. هناك أسباب تدعو للأمل؛ تزداد هذه المجموعة يوميًّا من حيث العدد والتأثير. قد يكون امتيازًا للهند أن تشارك في الصحوة الجديدة وأن تدفعها، بدلًا من إعاقتها التي يمكن أن تحدث بالخضوع للتجاوزات الأوروبية التي تشجبها أفضل عقول أوروبا باعتراضات لا حصر لها؛ تلك العقول التي تكافح ببسالة من أجل تحقيق التحكم الفعال.

من جريدة Youmg India ١٥- ١٠- ١٩٢٥م

(٢٥) كانت سفينةً بريطانيةً عابرةً للمحيطات، غرقت في السابع من مايو من عام ١٩١٥ بواسطة غواصة ألمانية على بعد ١١ ميلًا من الساحل الجنوبي لإيرلندا، الأمر الذي أسفر عن مقتل ١١٩٨ شخصًا من الركاب وطاقم السفينة. تنبأ غرق السفينة بإعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ألمانيا.

سؤال:

«ألم تكن تساعد في تأييد الحرب عندما قمت، أثناء وجودك في أفريقيا وهنا، بحث الرجال على الخدمة الميدانية؟ كيف يتوافق هذا مع مبدأ الأهيمسا الذي تتبناه؟».

بتجنيد الرجال للعمل في سيارات الإسعاف في جنوب إفريقيا وإنجلترا، والتجنيد للخدمة الميدانية في الهند، لم أساعد في تأييد الحرب، لكنني ساعدت المؤسسة المدعوة: الإمبراطورية البريطانية والتي كنت أؤمن حينها بخيريتها تمامًا. كان اشمئزازي من الحرب قويًّا كما هو اليوم ولم يكن بإمكاني أن أحمل بندقية، ولن أمتلكها. لكن حياة المرء ليست خطًّا مستقيمًا. إنها حزمة من الواجبات، غالبًا ما تتعارض. والمطلوب من المرء أن يختار باستمرار بين واجب وآخر. كمواطن- ليس في ذلك الوقت، ولا حتى الآن- ولكن كمصلح يقود التحريض ضد إقامة حربٍ، كان عليَّ أن أنصح وأقود الرجال الذين يؤمنون بالحرب، ولكنهم امتنعوا عن التجنيد بسبب الجبن أو دوافع دنيئة أو الغضب ضد الحكومة البريطانية. لم أتردد في نصحهم بأنهم طالما كانوا يؤمنون بالحرب ويعلنون ولاءَهم للدستور البريطاني، فإنهم ملزمون بدعمها بالتجنيد. على الرغم من أنني لا أؤمن باستخدام السلاح، وعلى الرغم من أنه مخالف لدين الأهيمسا الذي أصرح به، لا يجب أن أتردد في الانضمام إلى التحريض من أجل إلغاء قانون الأسلحة المهين الذي اعتبرته من بين أكثر الجرائم سوادًا

للحكومة البريطانية ضد الهند. أنا لا أؤمن بالانتقام، لكنني لم أتردد في إخبار القرويين، بالقرب من بيتي، منذ أربع سنوات، والذين لم يعرفوا شيئًا عن الأهيمسا، أنهم كانوا مذنبين بالجبن في الفشل في الدفاع عن شرف نساء قومهم وممتلكاتهم بقوة السلاح. ولم أتردد، كما ينبغي أن يعلم المراسل، إلا مؤخرًا بإخبار الهندوس بأنهم إذا لم يؤمنوا تمامًا بالأهيمسا بالخارج ولا يمكنهم ممارستها، فسيكونون مذنبين بارتكاب جريمة ضد دينهم وإنسانيتهم، لو فشلوا في الدفاع بقوة السلاح عن شرف نسائهم ضد أي مختطف يختار سلب نسائهم. لا يتوقف الأمر على أني أعتقد أن هذه النصيحة وممارستي السابقة، تتفق فقط مع اعتقادي بدين الأهيمسا تمامًا، بل إنها كذلك نتيجة مباشرة لها. إن القول بأن العقيدة النبيلة بسيطة بما يكفي؛ أي معرفتها وممارستها في وسط عالم مليء بالصراعات والاضطراب والأهواء، هي مهمة أدرك صعوبتها أكثر فأكثر يومًا بعد يوم. ومع ذلك، فإن القناعة أيضًا بأن الحياة من دونها لا تستحق العيش، تزداد يوميًّا بشكل أعمق.

من جريدة Young India ٥-١١-١٩٢٥

عن تخفيف حدة التوتر:

يسعدني أن أنشر ما وصلني من صديق ألماني:

«نشرتَ في العام الماضي، في جريدة **Young India** عدة مقالات أو رسائل من ألمانيا لا بد أنها تكشف عن انطباعات خاطئة عن الوضع

في بلدنا. أعتزم تصحيح أي معلومات خاطئة عن بلدنا، على الرغم من أنني على قناعة بأنك لن تحوز رأيًا يُحقِّر من الأمة الألمانية. آمل أن تقرأ بيانًا كتبه ت. ف. أندروز[٢٦] إليَّ في العاشر من تموز (يوليو) ١٩٢٥: «أعتقد أن الهند وألمانيا لديهما فرصة اللقاء على أساس المثالية الخالصة أقرب من دول العالم الأخرى». وبكل التواضع أود أن أدلي لك ببعض الملاحظات على المقالات السابق ذكرها.

دعني أبدأ بواحد من أعمق اعترافاتك: «ملجئي» ((Young India ٩-١٠-٢٤: يجب على كل كلمة انتقاد أن تلتزم الصمت قبالة هذه الصلاة. لا يتوجب حتى فعل أي شيء خاطئ، بلا وعي، للقيصر. إنه لم يَسْعَ أبدًا إلى التتويج على عرش أوروبا. اقتصرت فكرته على إحداث دعاية باهرة للحرب. لم يكن القيصر مسخًا ولا إمبراطورًا. كان ممثلًا هزيلًا، أحمق ومسكينًا، نتاج تعليم خاطئ وبيئة متملقة. لا نعذره ولكننا لن نقول إنه مذنب بسبب أهداف لم يقصدها أبدًا.

بالنسبة لمقالة «من أوروبا» (Young India,1925, No.41) لا يوجد فيها ما يستدعي الاعتراض. أشعر أن الرسالة كتبها عضو من حركة الشباب الألماني. ربما تملؤك حركة تجديد النفس والروح- بين الشباب من كل الأمم؛ من أوروبا إلى الصين، ومن الهند إلى أمريكا- بثقة أكثر في المستقبل. آمل أن يدرك الجيل الأصغر، يومًا ما، ما فشل

(٢٦) هو تشارلز فرير أندروز (١٨٧١- ١٩٤٠م): كان كاهنًا إنجليزيًّا ومبشرًا ومصلحًا اجتماعيًّا في الهند. أصبح صديقًا مقربًا للشاعر الهندي الشهير طاغور ولغاندي. ساهم في حركة الاستقلال الهندية وقد أطلق عليه لقب «صديق الفقراء».

الجيل الأكبر في تحقيقه. معظمهم معاد للإمبريالية، يدافعون عن العدالة والحرية بين جميع الأمم واستقلال ما يُسمَّى بالمستعمرات. يحاولون نبذ التقليد القديم للرأسمالية والمادية. سأرسل بعض الكتيبات التي تحتوي على تقارير من حركة الشباب الإنجليزي. على الرغم من أنها لا تزال صغيرة، إلا أنها تكشف عن أمل عظيم وجديد للسنوات القادمة. بعض الكتيبات هي مجرد براهين، لكنك ستهتم بمشاركتها مع الشباب الهندي.

إن مقالة «الحضارة الأوروبية» في العدد ٤٢ صحيحة في غايتها ووجهة نظرها المتشككة. لكني أخشى أن شيئًا من كراهية الدانمارك لألمانيا ربما يكون قد بالغ في المعلومات. إن أخلاق السادة كمفهوم رومانسي لفلسفة نيتشه عن الحياة لا علاقة لها بالأخلاق العسكرية للجنرالات البروسيين الذين نسوا المعايير. كانت الدعاية القومية الألمانية نشاطًا لا معنى له لعصابة صغيرة- وإن كانت خطيرة- ولم يكن لها أبدًا تأثير حاسم على القرارات الرسمية لحكومتنا، ربما باستثناء الأشهر الأخيرة من الحرب (لودندورف[٢٧]!). كان البروفيسور بومغارتن نفسه، كعالم لاهوت ليبرالي في السنوات الأخيرة من الحرب، إحدى الشخصيات البارزة في الكفاح ضد النزعة العسكرية ومن أجل التوصل إلى اتفاق سلمي بين الأمم.

(٢٧) يقصد «إريك فريدريش فيلهلم لودندورف»: الجنرال السياسي والمنظر العسكري الألماني. حقق شهرة عالمية خلال الحرب العالمية الأولى. ساهم بشكل كبير في صعود النازيين إلى السلطة.

قد تكون حكاية الأنسجة الحية المنقولة («لدينا ما يكفي من البولنديين من أجل ذلك») صحيحة، لكنها مبالغ فيها. لا يمكن تعميمها بأي حال من الأحوال. ربما كانت مزحة صادقة. نظرًا لأن الجراح غالبًا ما يظهر جانبًا غير إنساني للغاية؛ لأن الأطباء يحاولون إخفاء مشاعرهم الداخلية وإلا ستسحقهم الشفقة. تذكر أن ألمانيا، التي كانت بالفعل موجودة في زمن الحرب قبل هزيمتها الخطيرة، أنشأت دولة حرة للبولنديين.

إن مسألة شيلسفيغ[٢٨] معقدة للغاية. لقد ارتكبنا أخطاءً بما يكفي في الحرب، وكان أعظمها غزو بلجيكا، لكننا لم نأمر بقتل ٦٠٠٠ دنماركي من شيلسفيغ. كان سكان شيلسفيغ والآلزاس[٢٩] من رعايا الحكومة الألمانية مثلهم مثل الإيرلنديين الإنجليز. كانت ألمانيا قاسية في دفاعها، لكن من كان من خصومنا السابقين أقل وحشية وأكثر مسالمة؟

أعتقد أننا لن نخطو إلى الأمام إلا بتنحية الماضي خلف ظهورنا، وليس عن طريق إثارة هذه الانطباعات السوداء والمأساوية، مرارًا وتكرارًا، عن الانهيار الأوروبي وإسناد المسؤولية الأخلاقية إلى دولة أو أخرى. نحن جميعًا كنا أيضًا، كدانماركيين، في الطريق الخاطئ. يجب علينا جميعًا- الألمان والدانماركيين جنبًا إلى جنب- أن نبحث عن إحياء الروح والثقافة الحقيقيين والإيمان.

(٢٨) مدينة وميناء بحري في شمال ألمانيا.

(٢٩) منطقة في فرنسا.

أخيرًا في العدد رقم ٤٧: «صرخة من ألمانيا». نتفق تمامًا مع إجابتك. الكاتب هو أحد الأنواع الوجدانية السلبية لشعور غريب نجده غالبًا في أوقات المحنة. ليس الفساد هنا أسوأ من أي مكان آخر. هناك علاج واحد فقط: العمل! افعل... افعل شيئًا! هناك العديد من المهام في أمةٍ تُبعث وفي دستور شاب. لا بد أنك ستتلقى المزيد من هذه الرسائل من المعجبين الألمان المتحمسين، بل وحتى الهستيريين. نحن نتفهم مشاعرهم ونأسف عليهم، لكنهم لا يمثلون ألمانيا».

إن الكاتب محق في شعوره بالاطمئنان من أني لن أُكِنَّ شعورًا بالاحتقار صوب الألمان أو ألمانيا. مَن يجرؤ على هذا؟ الألمان شعب عظيم وشجاع. إن صناعتهم وعلمهم وشجاعتهم، تستدعي إعجاب العالم. يأمل المرء أن يقودوا حركة السلام. لقد هُزموا في الحرب الأخيرة ولم يُقهروا. كل ما هو مطلوب هو تحويل طاقاتهم الرائعة من أجل تعزيز تقدم العالم ككل، بدلًا من تطبيقها عليهم فقط ضد العالم بأسره. هناك إشارات على هذا التغيير المرغوب الذي سيأتيهم كما يحدث مع شعوب الأرض الأخرى.

من جريدة young India ٢٥-٢-١٩٢٦

حرب أم سلام:

لم أُعِد نسخ الأجزاء الرئيسة للمنشور البارع جدًّا للسيد كيربي على الحرب العالمية عبثًا. آمل أن يتابعها القارئ بالاهتمام والانتباه الذي تستحقه. لقد أثبت السيد بيدج تمامًا أن كلا الطرفين يستحق

اللوم على حد سواء وأن كليهما لجأ إلى ممارسات همجية وغير إنسانية. لا نحتاج إلى مساعدة السيد بيدج لنعلم أنه على مدار التاريخ لم يحدث أن قضت حرب جرى ذكرها في التاريخ على حياة الكثير من الأحياء مثلما فعلت هذه الحرب. اكتملت القوة المحطمة السامة للروح (الكذب والخداع) بقدر ما كانت محطمة للجسد. إن العواقب الأخلاقية مروعة تمامًا كالعواقب كالجسدية. لا يزال الوقت مبكرًا جدًّا على تقدير التأثير على الجنس البشري من خلال انهيار الأخلاق الجنسية التي حدثت بسبب الحرب. لقد احتلت الرذيلة عرش الفضيلة. بمرور الوقت، اكتسبت الوحشية السيادة في الإنسان.

ربما تكون التأثيرات اللاحقة أكثر ترويعًا من التأثيرات الفعلية والحالية. لا يوجد استقرار لأي حكومة لأي دولة في أوروبا. لا توجد طبقة راضية عن حالتها. يود كل فرد أن يكون أفضل على حساب البقية. أصبحت الحرب بين الدول الآن، حربًا داخل كل دولة.

على الهند أن تختار. ربما تجرب -إن رغبت- طريق الحرب وتتدنى إلى حال أدنى ما هي عليه الآن. يبدو أنها تنال درسها الأول في فن الحرب في الخصومة الهندوسية الإسلامية. لو كان من الممكن أن تنال الهند حريتها من خلال الحرب، لن تتحسن حالتها ومن المحتمل أن يصبح حالها أسوأ من فرنسا أو إنجلترا. لقد أصبحت أمثلة الماضي مهملة ولا حتى يمكن لتقدم اليابان النسبي أن يكون مرشدًا. لقد أحرز «علم» الحرب «تقدمًا» عظيمًا منذ الحرب الروسية اليابانية. يُمكن أن

تُدرس نتائجها في ضوء الحالة الراهنة لأوروبا. يمكننا بأمان أن نقول إنه لو تخلصت الهند من النير الإنجليزي بطريق الحرب، سيتوجب عليها أن تمر بالحالة التي وصفها السيد بيدج بشكل مفعم بالحيوية.

لكن طريق السلام مفتوح أمامها. إن حريتها مضمونة إن تحلت بالصبر. سيكون ذلك أقصر الطرق حتى لو بدا أنه الأطول بالنسبة لطبيعتنا غير الصبورة. يضمن طريق السلام النمو الداخلي والاستقرار. إننا نرفضه؛ لأننا نتصور أنه يتضمن خضوعًا لإرادة الحاكم الذي فرض نفسه علينا. لكن في اللحظة التي ندرك فيها أن هذا الفرض محض زعم وأنه من خلال عدم رغبتنا في المعاناة من جراء فقد الحياة أو الملكية نصبح جزءًا من هذه الفرضية ويكون كل ما نحتاج إليه هو أن نغير ذلك التوجه السلبي للقبول غير المقاوم. إن تكبد المعاناة من جراء التغيير سيكون لا شيء مقارنة بالمعاناة الجسدية والضياع الأخلاقي الذين سنتجشمهما في تجريب طريق الحرب. تضر معاناة الحرب كلا الطرفين. يتوجب أن تفيد المعاناة الناجمة عن اتباع طريق السلام كلا الطرفين. ستكون حالتهما مثل المخاض المبهج لميلاد جديد.

دعونا لا ننخدع بتعميم متسرع لأحداث ١٩٢٠-١٩٢١ . إن عظمة الإنجاز في هذه الفترة الباهية لم يكن شيئًا بالمقارنة بما كان يمكن أن يتحقق من جراء الحقيقة والإيمان. كان العنف في صدور الكثيرين منا، بينما شفاهنا تشيد باللا عنف. وهكذا فعلى الرغم من أننا كنا زائفين في تعاملنا تجاه عقيدتنا، لمناها وفقدنا الإيمان عوضًا عن لوم وتصحيح

أنفسنا. كانت تشوري تشورا[٣٠] عرضًا للمرض الذي كان يسممنا. زعمنا أن طريقنا مسالم وغير عنيف. لم يمكننا أن نواصل هذا الإدعاء إلى أقصاه. لا حاجة بنا إلى أن نتنبه إلى سخرية العدو. لقد رأوا العنف حتى عندما لم يكن واضحًا. لكن لم يمكننا أن نتجاهل إدانة «الصوت الداخلي الهادئ». لقد أدرك العنف الذي بداخلنا.

طريق السلام هو طريق الحقيقة. الصدق أكثر أهمية حتى من السلمية. في الحقيقة، الكذب هو أم العنف. الإنسان الصادق لا يمكنه أن يظل عنيفًا لمدة طويلة. سيدرك خلال بحثه أن لا حاجة له إلى أن يكون عنيفًا، علاوة على ذلك سيكتشف أنه طالما هناك أثر ضئيل للعنف بداخله، سيفشل في إيجاد الحقيقة التي يبحث عنها.

لا يوجد طريق وسط بين الحقيقة واللا عنف. إنهما في كفة، والباطل والعنف في الكفة الأخرى. ربما لا نكون أقوياء بالدرجة الكافية كي نكون لا عنيفين تمامًا، فكرًا وقولًا وعملًا. ولكن يجب أن نستمر في اللا عنف كهدف لنا ونقوم بعمل تقدم ثابت فيه. إن بلوغ الحرية، سواء لإنسان أو لأمة أو للعالم، يجب أن يتناسب مع بلوغ اللا عنف لكل منهم. من ثم، فلندع أولئك الذين يؤمنون بأن اللا عنف هو

(٣٠) تشوري تشورا: هي مدينة في الهند، ويتكلم هنا غاندي عن أحداث ٤ فبراير ١٩٢٢؛ عندما اشتبكت مجموعة كبيرة من المتظاهرين، المشاركة في حركة عدم التعاون، مع الشرطة التي فتحت النار عليهم وردًّا على ذلك، هاجم المتظاهرون مركزًا للشرطة وأضرموا فيه النيران وقتلوا جميع من فيه. أدى الحادث إلى مقتل ثلاثة مدنيين و٢٢ شرطيًّا. أوقف غاندي حركة عدم التعاون على المستوى الوطني في ١٢ فبراير ١٩٢٢م كنتيجة مباشرة لهذا الحادث.

الطريقة الوحيدة لتحقيق الحرية الحقيقية، يحتفظون بمصباحه مضيئًا وسط تلك الظلمة الحالكة. إن الحقيقة التى بحوزة القليلين، ستغلب الباطل الذي بحوزة الملايين، وسيختفي الأخير مثل قش أمام هبة ريح.

من جريدة Young India ٢٠-٥-١٩٢٦

هل توجد حدود للا عنف:

إليكم مقتطف من خطاب مسهب من مراسل كشف عن اسمه كاملًا وعنوانه:

ربما تعرف ما يحدث للعاملين بالبرلمان في مادراس[٣١]. خلال اليومين الماضيين، برع رجال حزب العدالة بشكل استثنائي في عملهم البغيض. السيد[٣٢]... برفقة السيد... كان يتصيد أصوات الناخبين لصالح السيد... مرشح البرلمان. ظلت مجموعة من رجال حزب العدالة يتابعون السيد ... وآخرون عندما اقتربوا فجأة من منزل مرشح العدالة وحاصروا العاملين بالبرلمان وبصقوا على وجوه... و... إنك تعرف، أفضل من أي شخص آخر، ماذا تعني إهانة أن يُبصق على وجهك؟ هل استطاعت الطائفية أن تُفسد الحياة العامة والعمل بهذا العمق؟ الهدف من توجيه هذه الكلمات القليلة إليك هو مطالبتك بإعلان نظريتك عن اللا عنف بالإشارة إلى ما يجب أن يفعله عضو

(٣١) مادراس: ميناء بحري وعاصمة مدينة تاميل نادو (ولاية جنوب شرق الهند).

(٣٢) الكلمة المكتوبة هنا هي (Shri)، وهي لقب هندي للاحترام يُستخدم قبل اسم شخص أو إله أو كتاب مقدس وقد ترجمتها هنا بـ "سيد".

البرلمان في ظل ظروف هذه الإهانة الخطيرة والمسبة. كانت هناك اعتداءات أيضًا.

... وبقدر ما يتعلق الأمر بموقفنا من الحكومة، فإننا نعترف أنه من المناسب أن نكون غير عنيفين في السلوك. ولكن هل يجب أن يستمر هذا الموقف فيما يتعلق بأبناء بلدنا المضللين والقاسين الذين يستمرون في الاعتداء والبصق ورمي الفضلات البشرية على العاملين المسالمين بالبرلمان؟ اسمح لي أيضا أن أنبهك إلى أن المتعاطفين مع البرلمان كثيرين، في حين أن الهمج المدفوعين يُحسبون على أصابع المرء. لذلك إذا أردنا فقط وضع حد لأعمال الشغب، هل يمكننا القيام بذلك بشكل فعال من خلال اللجوء إلى الأساليب العنيفة؟ لكن تصادف أننا كنا أعضاء في منظمة ملتزمة باللا عنف. يتزايد الاستفزاز كل يوم وقد لا يكون من الممكن للعاملين في البرلمان كبح جماح الأتباع الشباب من تنفيذ القانون بالقوة. لذلك، هل لي أن أطلب منك أن توضح ما إذا كان الدفاع الشخصي متوافقًا مع اللا عنف وما هي الشروط الضرورية التي يجب أن تتوفر؟ إن تكتيكات الهمجيين في حزب العدالة تختبر بشدة إيماننا باللا عنف. لذا، نحن في مدراس سنستفيد بشكل كبير من نصيحتك في هذه اللحظة الحرجة. هناك سبب واحد لأجله طلبت منك نشر رأيك في أقرب وقت ممكن وهو أننا قد أُخبرنا بأن حزب العدالة يجري تجارب بتكتيكات الهمجيين لمعرفة ما إذا كانت ستنجح أم لا، وربما ينظموها لتصبح فنًّا منتظمًا

للصراع السياسي ضد البرلمان في انتخابات المجلس القادمة في نوفمبر».

لقد محوت أسماء الرجال والأماكن عمدًا؛ لأني لا أقصد إلى الكشف عنهم. لقد انتهى وقت اللا عنف النفعي منذ زمن بعيد. أولئك الذين لا يمكنهم أن يتسموا باللا عنف في قلوبهم، ليسوا ملزمين باللاعنف في ظل الظروف التي ذكرها المراسل. على الرغم من أن اللا عنف هو عقيدة البرلمان، فلا أحد الآن يشير إلى أن العقيدة غير عنيفة أو أنها ستظل هكذا. كل عضو في البرلمان غير عنيف، هو كذلك لأنه لا يمكن أن يكون غير ذلك. لذلك فإن نصيحتي بشكل قاطع هي أنه لا يحتاج أي شخص إلى الرجوع إليَّ أو إلى أي عضو آخر في البرلمان للحصول على المشورة بشأن مسألة اللا عنف. يجب على كل شخص أن يسلك على مسؤوليته الخاصة وأن يُفسِّر عقيدة البرلمان بأفضل ما لديه من قدرة وإيمان. لقد لاحظت في كثير من الأحيان أن الأشخاص الضعفاء قد لجأوا إلى عقيدة البرلمان أو بموجب نصيحتي، عندما كانوا ببساطة، بسبب جبنهم، غير قادرين على الدفاع عن شرفهم أو شرف أولئك الذين عهدوا إليهم برعايتهم. أتذكر الحادثة التي وقعت بالقرب من بيتياه[٣٣] عندما كان عدم التعاون في أوجه. تعرض بعض القرويين للنهب. فروا تاركين زوجاتهم وأطفالهم وممتلكاتهم تحت رحمة السالبين. عندما وبَّختهم على

(٣٣) بيتياه مدينة تقع على الحدود الهندية النيبالية.

جبنهم في تجاهلهم لمسؤوليتهم. دافعوا بلا خجل عن اللا عنف. استنكرت سلوكهم علنًا وقلت إن اللاعنف الذي لديَّ قد استوعب تمامًا العنف الذي يقدمه أولئك الذين لم يدركوا اللا عنف ولأولئك الذين تشرفوا بعناية نسائهم وأطفالهم الصغار. ليس اللا عنف غطاءً للجبن، لكنه فضيلة الشجعان الأسمى. تتطلب ممارسة اللا عنف شجاعة أكبر بكثير من شجاعة المبارزة. يتعارض الجبن كليًّا مع اللا عنف. إن الانتقال من المبارزة إلى اللا عنف ممكن، بل وحتى مرحلة سهلة في بعض الأحيان. يفترض اللا عنف القدرة على الهجوم. إنه قيد واعٍ متعمد، يُفرض على المرء قبالة الانتقام. ولكن تحت أي ظرف، يتفوق الانتقام على الخضوع العاجز، المتخنث السلبي ومع ذلك فإن التسامح أسمى. الانتقام أيضًا ضعف. تأتي الرغبة في الانتقام من الخوف من الأذى؛ سواء كان خيالًا أم حقيقيًّا. ينبح الكلب ويعض عندما يخاف. الإنسان الذي لا يخشى أحدًا على وجه الأرض سيشعر بالانزعاج من مجرد أن يستثير الغضب داخل نفسه ضد شخص يحاول إيذائه بلا جدوى. لا تضرب الشمس الأطفال الصغار الذين يرمونها بالغبار. عندما يفعلون ذلك لا يؤذون سوى أنفسهم.

لا أعرف ما إذا كانت أقوال المراسل حول الأعمال الشريرة لرجال حزب العدالة صحيحة أم لا. ربما هناك جانب آخر للقصة. لكن بافتراض صحة الكلام، لا يسعني إلا أن أهنئ أولئك الذين تعرضوا للبصق أو الاعتداء أو ألقيت عليهم الفضلات البشرية. لن

يلحق بهم أي أذى، لو كانت لديهم الشجاعة لتحمل الإهانة دون حتى انتقام عقلي. لكن سيكون من الخطأ تمامًا من جانبهم أن يعانوا من كل ذلك، لو أنهم شعروا بالغضب لكن امتنعوا عن الانتقام. يحتقر الشعور باحترام الذات كل نفعية. لكني أتساءل ما هو نوع العقوبة التي كان يمكن تنفيذها من قِبل أعضاء البرلمان البارزين الذين، كما ذكر المراسل، كان عددهم كثيرًا جدًّا بالنسبة للعدد القليل من الهمجيين في حزب العدالة؟ هل كان عليهم أن يردوا على إلقاء الفضلات البشرية، بإلقاء الفضلات البشرية، والبصق بالبصق، والإساءة بالإساءة؟ أم أنه كان من الأفضل مراجعة احترام الذات من قِبل هذه المجموعة الكثيرة من خلال تجاهل هذا العدد القليل من الهمجيين؟ أعرف ما تم فعله للمشاغبين الذين حاولوا إزعاج الاجتماعات، عندما كان عدم التعاون هو النمط السائد. قبض عليهم المتطوعون الذين لم يسببوا لهم أي أذى، غير أنهم استمروا في العواء وتم تجاهل عوائهم. أعلم أنه حتى في هذه الأيام، في العديد من الحالات، تم انتهاك قانون اللا عنف، وأي شخص تجرأ على تشويش الاجتماعات أو عكّر الصفو بكلمة معارضة، أوقفته الأغلبية العنيفة عن الكلام أو في بعض الأحيان تم التعامل معه حتى بفظاظة لدرجة تشويه سمعته من قِبل الأغلبية والحركة المضلَلين والمنحرفين عن الحقيقة بطيش. أقترح أيضًا بالنسبة لمثل هؤلاء الأعضاء ولأولئك الذين قد يمثلوهم، أنه إذا كان الهدف هو إقناع حزب العدالة أو أي حزب آخر في البرلمان، فيجب معاملتهم بلطف حتى لو تصرفوا بقسوة. إذا كان ذلك لقمع جميع المعارضين،

فإن الانتقام المضاعف أو الدايرسم[٣٤] هو العلاج المفضل. أما أي من الاثنين يمكن أن يجعلنا نقترب من استقلال الهند، فهذه مسألة أخرى بالطبع.

لكن كل مشورتي غير مجدية عندما تكون القناعة مفقودة. لذا، دع كل عضو في البرلمان يوازن بين جميع الإيجابيات والسلبيات، ويتخذ قراره المحدد ويتصرف وفقًا لذلك، بغض النظر عن العواقب. من خلال ذلك سيتصرف بشكل صحيح على الرغم من أن التصرف قد يكون خاطئًا. ينجح ألف خطأ، عن غير وعي، أفضل من السلوك بشكل صحيح وتدقيق دون دون قناعة تدعمه. الأمر يشبه قبرًا مطليًّا باللون الأبيض. وفوق كل شيء يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا، إذا كنا صادقين مع البلد وقدناها إلى هدفها المرغوب. دعنا لا نحيد عن اللا عنف. إنه ليس مثل الثوب الذي نرتديه ونخلعه حسب الرغبة. إن مقره في القلب، ويجب أن يكون جزءًا لا يتجزأ من كياننا.

جريدة Young India ١٢-٨-١٩٢٦

عدم المقاومة .. بين الصواب والخطأ:

أمريكا هي مثوى الصراعات العرقية على نطاق واسع. ثمة رجال ونساء مخلصون في شجاعتهم، في تلك الأرض، يسعون إلى حل المشكلة الصعبة باتجاه عدم المقاومة. أرسل إليَّ أحد هؤلاء

(٣٤) دايرسم: كلمة ليس لها معنى ابتكرها غاندي من اسم الجنرال «ريجنالد إدوارد هاري داير». راجع الحاشية رقم ١.

الأصدقاء الأمريكيين صحيفة تُدعى «التحقيق» تتضمن مناقشة شيقة حول عقيدة عدم المقاومة. إنها تتألف من أمثلة يمكن تصنيفها تحت مسمى «عدم المقاومة». أختار منها ثلاث عينات:

«روى طالب صيني تجربته في جامعة الولاية التي كان على وشك التخرج منها. لم يجد في استقباله شيئًا سوى الود في معظم الأحيان وقد بذل بعض الرجال قصارى جهدهم لمصادقته، حتى أن أحدهم دعا الصيني إلى منزله لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. من ناحية أخرى، فإن زميلًا له، طالبًا، شغل غرفة بجواره، كان بغيضًا بشكل خاص، يرمي الأحذية قبالة بابه ويسمح لنفسه بالاستمتاع بمزحات أخرى. سمع الصيني مصادفة هذا الطالب وهو يُعبِّر عن رعبه عندما اكتشف أن أمريكيًّا قد أخذه إلى المنزل ليقدمه لوالدته وشقيقته، وعلى الفور قرَّر أن يُعلِّم هذا الطالب كيفية احترامه، ليس لأجل مصلحته الشخصية ولكن من أجل وطنه الغالي.

لذلك بذل قصارى جهده ليكون ودودًا مع جاره. منحه كل يوم صباحًا سعيدًا، حيث يلتقيه بالابتسامة، رغم أنه لم يتلقَّ أي رد في البداية. تجاهل كل إهانة، لكنه حاول أن يجعل نفسه لطيفًا ومفيدًا. عندما عرف أن جاره محروم جدًّا، دعاه عَرَضًا للذهاب لمشاهدة أحد الأفلام معه. تدريجيًّا، تحدثا معًا كثيرًا ووجدا أن لديهم العديد من الاهتمامات المشتركة. بعد فترة دعاه هذا الطالب إلى منزله.

اختتم الصيني حديثه قائلًا: «أصبحنا صديقين حميمين». «أمضيت منذ ذلك الحين العديد من الإجازات وعطلات نهاية الأسبوع في منزله وعند خروجي من الجامعة، سأعلم أن أحد زملائي الطلاب – على الأقل – سيفتقدني بأسف»».

«أحضر سكرتير جمعية الشبان المسيحيين للسكك الحديدية ذات مساء اثني عشر دانماركيًّا إلى المبنى، يعملون في السكك الحديدية ولم يكن لديهم مكان للنوم. تحت هيمنة الكراهية العرقية بدأ الرجال الناطقون باللغة الإنجليزية يعترضون ويحتجون على الأجانب الذين تم جلبهم. مع ذلك، كان من بين هؤلاء القادمين الجدد موسيقيٌّ ماهر، بينما كان الأمريكيون يقدمون اعتراضاتهم للسكرتير، بدأ بالعزف على الأكورديون. عزف موسيقى جميلة سرعان ما أحدثت تأثيرًا. بدا أن الغضب المرتسم على وجوه المولودين في نفس الوطن قد يتلاشى سريعًا. تلاشى استنكارهم. لانت قلوبهم. وفي تلك الليلة جلسوا يستمعون إلى عزف الأجنبي حتى وقت متأخر. «بيتر روبرتس، الهجرة الجديدة. شركة ماكميلان، ١٩٢٢ ، ص. ٣٠٠»».

«هناك مستعمرة لليابانيين في X بكاليفورنيا. قبل عدة سنوات سعى بعض وكلاء العقارات إلى بيع مساحة كبيرة من الأراضي إلى يابانيين آخرين، وانزعج البيض بشدة من فكرة التدفق الكبير لهؤلاء الأشخاص. عقدوا اجتماعات ووضعوا لافتة كبيرة على الشارع الرئيس تقول: «غير مرحب باليابانيين هنا».

«ذهب المسنون اليابانيون المقيمين في X، الذين عاشوا في علاقة جيدة مع البيض، وكانوا أعضاء في جمعية مزارعيهم، إلى البيض وبعد المداولة معهم، اتفقوا معهم أخيرًا على أن استقدام المزيد من السكان اليابانيين لن يكون أمرًا جيدًا. تم تغيير اللافتة لتصبح: "غير مرحب بمزيد من اليابانيين هنا».

«يؤكد الشخص الذي يروي هذه القصة على أن هذا العمل قد عزز تضامن المجتمع وحسن العلاقات بين البيض واليابانيين في ذلك المكان، كما يشهد على ما يلي:

«علم اليابانيين من X أن الكنيسة الأمريكية كانت تعاني من صعوبات مالية. عرضوا تقديم مبلغ محدد سنويًا لدعمها، بالإضافة إلى القيام بأعمال الكنيسة اليابانية الخاصة بهم».

الآن.. يندرج المثال الأول بلا ريب تحت مسمى عدم المقاومة الحقيقية. الثاني هو بالأكثر مثال على حضور الذهن أكثر من عدم المقاومة. الثالث -مما تم ذكره من الحقائق- هو مثال، ليس على الجبن كما يدعي بعض المتحاورين، لكنه قطعًا على الأنانية. وافق السكان اليابانيون المقيمون، من أجل الاحتفاظ بممتلكاتهم الأرضية، على حظر المزيد من الهجرة اليابانية. ربما كانت سياسة عاقلة. ربما كانت السياسة الوحيدة المستحسنة. لكنها لم تكن غير مقاومة.

عدم المقاومة هو ضبط النفس طواعية لصالح المجتمع. بالتالي، فهي فعالة للغاية ومُنقية وقوة باطنية. غالبًا ما تكون معادية للمصلحة

المادية لغير المقاوم. قد تعني ذلك حتى، خرابه المادي المطلق. إنها متجذرة في القوة الداخلية، وليس في الضعف أبدًا. يجب أن تُمارس بوعي. وبالتالي فإنه يُفترض توفر القدرة على إبداء مقاومة جسدية. وبالتالي، في الحالة الأخيرة، كان اليابانيون سيبدون غير مقاومين لو تركوا كل ممتلكاتهم بدلًا من التنازل عن حقوق المهاجرين المحتملين. ربما كانوا سيعانون أيضًا من الموت أو الإعدام من دون محاكمة، دون حتى انتقام في مخيلتهم، وبالتالي يذيبون قلوب مضطهديهم. لم يكن هذا انتصارًا للحقيقة؛ ذاك الذي حدث دون أي مضايقة لهم حيث كانوا قادرين على الاحتفاظ بممتلكاتهم. من حيث عدم المقاومة، كانت مساهماتهم في الكنيسة الأمريكية في عسرها هي رشوة، وليست بأي حال من الأحوال رمزًا لحسن النية أو هدية مجانية.

إن اكتساب روح عدم المقاومة هي مسألة تدريب طويل على إنكار الذات وتقدير القوى الخفية داخل أنفسنا. إنه يغير نظرة المرء إلى الحياة. إنها تضع قيمًا مختلفة للأشياء وتُفسد الحسابات السابقة وعندما تصبح مكثفة بدرجة كافية يمكنها تجاوز الكون بأسره. إنها أعظم قوة؛ لأنها أسمى تعبير عن الروح. لا يحتاج الجميع إلى امتلاك نفس معيار عدم المقاومة الواعية من أجل القيام بعملها التام. يكفي أن يمتلكها شخص واحد فقط، كما هو الحال لجنرال واحدا فقط يكفي لتنظيم وترتيب نشاط ملايين الجنود الذين يخدمون تحت رايته، على الرغم من أنهم لا يعرفون سبب ترتيباته. كانت قرود راما واحد كافية

لإرباك عدد لا يُحصى من المضيفين المسلحين من الرأس إلى القدم من رافانا ذي الرؤوس العشرة[٣٥].

من جريدة Young India ٢٣-٩-١٩٢٦

الدفاع عن اللا عنف:

أرسل إليَّ أحد الأصدقاء المقطع التالي من مجلة The Nation بنيويورك:

«منذ وقت مضى (إما في الجزء الأخير من عام ١٩٢٤ أو أوائل عام ١٩٢٥) وجَّهت مجموعة مؤلفة من خمسة وعشرين مبشرًا أمريكيًّا في الصين النداء التالي إلى السفير الأمريكي في بكين:

«المبشرون الأمريكيون الموقعون أدناه، موجودون في الصين كرسل لإنجيل الأخوة والسلام. مهمتنا هي أن نقود الرجال والنساء إلى حياة جديدة في المسيح، تنمِّي الأخوة وتزيل كل فرص الحرب. لذلك نعرب عن رغبتنا الجادة في عدم ممارسة أي شكل من أشكال الضغط العسكري، ولا سيما عدم وجود قوة عسكرية أجنبية، لحمايتنا أو لحماية ممتلكاتنا، وأنه في حالة القبض علينا من قِبل أشخاص خارجين على القانون أو موتنا على أيديهم، لا نود أن يتم دفع أي أموال مقابل إطلاق سراحنا ولا أن يتم إرسال أي حملة عقابية أو انتزاع أي تعويضات. نحن نتخذ هذا الموقف، مؤمنين أن الطريق إلى تأسيس

(٣٥) راجع الحاشية رقم ٥.

الاستقامة والسلام يتم عبر جلب روح الرغبة الحسنة الشخصية لتؤثر على جميع الأشخاص في جميع الظروف، حتى إلى درجة المعاناة من الخطأ من دون انتقام».

«ومع ذلك، ردت المفوضية الأمريكية بأن هذا الالتماس يتعارض مع الضرورة الموجودة لحماية الأمريكيين في الصين وبالتالي لا يمكن أو لن يكون هناك استثناء في الإجراء في حالة الطوارئ فيما يتعلق بالموقعين على الالتماس».

هذه واحدة من تلك الحالات التي يكون فيها موقفان متناقضان ظاهريًّا صحيحين في الوقت ذاته. بالنسبة للمبشرين الشجعان، لم يكن هناك موقف آخر ممكن، على الرغم من أن قلة قليلة منهم يتبنونه الآن. ألم يكن الأمر يتعلق بالصين عندما انتظر وفدًا تبشيريًّا قبل نحو ثلاثين عامًا الراحل اللورد سالزبوري وطلب حماية الزوارق الحربية البريطانية لنقل رسالتهم إلى الصينيين الرافضين؟ بعد ذلك، كان على المركيز النبيل الراحل أن يخبر المبشرين بأنهم إذا طلبوا حماية الأسلحة البريطانية، عليهم الخضوع للالتزامات الدولية والحد من حماستهم التبشيرية. وذكرهم أن المسيحيين القدامى إذا توغلوا في أبعد مناطق الأرض لا يجب عليهم أن يتوقعوا أي حماية إلا من الله وأنهم بذلك يُعرِّضون حياتهم لخطر دائم. في الحالة التي نقلتها مجلة The Nation بنيويورك، عاد المبشرون، وفقًا للتقرير، إلى الممارسة القديمة.

ومع ذلك، فإن الحكومة الأمريكية، طالما أنها تحتفظ بطابعها الحالي، لا يمكنها إلا أن تقدم الإجابة التي قلت بأنها قدمتها. أما حقيقة أن الجواب يفشي شر النظام الحديث، فهذه مسألة أخرى. لا تعتمد الهيبة الأمريكية على مقدرتها الأخلاقية بل على القوة. ولكن لماذا يجب حشد كل القوة المسلحة لأمريكا من أجل ما يُسمَّى بالدفاع عن شرفها أو اسمها؟ ما الضرر الذي يمكن أن يلحق بشرف أمريكا إذا اختار خمسة وعشرون مبشرًا الذهاب إلى الصين دون دعوة من أجل إيصال رسالتهم وقُتلوا أثناء قيامهم بعملهم؟ من المحتمل أن يكون هذا هو أفضل شيء لمهمتهم. لم تستطع الحكومة الأمريكية، من خلال تدخلها، إلا أن توقف العمل الكامل لقانون المعاناة. غير أن ضبط النفس في أمريكا سيعني تغييرا كاملًا في المظهر الخارجي. إن الدفاع اليوم عن المواطنة هو دفاع عن التجارة الوطنية؛ أي الاستغلال. يستلزم هذا الاستغلال استخدام القوة لفرض التجارة على شعب غير راغب فيها. لذا، أصبحت الأمم تقريبًا، بمعنى ما، عصابات من اللصوص، في حين ينبغي أن تكون اتحادًا سلميًّا من الرجال والنساء المتحدين من أجل الصالح العام للبشرية. في الحالة الأخيرة لن تكمن قوتهم في المهارة في استخدام البارود، بل في تمتعهم بأسمى مستوى من الأخلاق. إن عمل الخمسة وعشرين مبشرًا هو ظل باهت للمجتمع المعاد بناؤه من جديد أو حتى الأمم التي أُعيد بناؤها. لا أعرف ما إذا كانوا قد وضعوا مبدأهم موضع التنفيذ فعلًا في كافة دوائر الحياة أم لا. إنني بالكاد أحتاج إلى الإشارة إلى أنه على الرغم

من تهديد الحكومة الأمريكية لحمايتهم، يمكنهم تحييد، بل وحتى إحباط، أي جهد انتقامي. لكن هذا يعني محو الذات كاملًا، وإذا كان على المرء أن يحارب صنم القوة، فسيكون الأمر مختلفًا تمامًا عن أولئك المشاهير بين العابدين الخالصين للقوة الوحشية.

في نهاية المطاف، علينا ألا ننسى أنه هناك فلسفة تكمن خلف العبادة الحديثة للقوة الغاشمة بتاريخ يدعمها. إن الأقلية، البالغة الصغر، غير المقاتلة ليس لديها ما تخاف منه حقًّا، لو كان لديها حقًّا إيمان راسخ وراء ذلك. يبدو أنه بشكل ما ثمة افتقار إلى الإيمان بإمكانية تماسك المجتمع دون استخدام القوة الغاشمة. ومع ذلك، إذا كان بإمكان شخص أن يضع نفسه في مواجهة العالم كله، فلماذا لا يستطيع شخصان أو أكثر أن يفعلوا الشيء نفسه معًا؟ أنا أعرف الإجابة التي قيلت. يمكن للزمن وحده أن يظهر احتمالات الثورة التي تزحف علينا بصمت. يكون التفكير بمثابة إهدار للجهود حيث يكون العمل بالفعل على قدم وساق. أولئك الذين لديهم إيمان سينضمون إلى ذلك الجهد الأولي الذي لا يمكن في ظله أن تتضح النتائج.

من جريدة Young India ٢١-١٠-١٩٢٦

حرب ضد حرب:

يكتب مراسل:

«إن مبرري لكتابة هذا هو أن فصل السيرة الذاتية الذي تناول موقفك من الحرب- كمريد للحقيقة والأهيمسا- قد أثار على ما يبدو أفكارًا كثيرة

لدى الكثيرين، وسيكتب لك الأشخاص الأكثر قدرة عن ذلك. لكني أود أن أعرض بعض الجوانب التي صدمتني. ألا تُعتبر عقيدة أساسية بالنسبة للانضباط الحقيقي للحقيقة والأهيمسا، ألا ينخرط المرء في فعل أي أشياء سيئة حتى إن لم يكن قادرًا على مقاومتها؟ الحرب شر لا بد منه كما يقول البعض، ولكن هذا ليس عذرًا لدعمها على أمل أن يأتي بعدها إلى العالم إدراك لمدى شر شن الحرب. لا يمكن ذلك. على العكس من ذلك، تزداد قسوة الإنسان بشكل أكبر ويتحطم الشعور بقدسية الحياة. يمكن للفوضوي أن يجادل كما تفعل ويقول: «لا يمكننا وقف العدوان الأوروبي والإرهاب. لا يمكننا أن نقاوم الإرهاب بقوة الجماهير، لكن إن استطعنا أن نظهر لهم شر هذه الأساليب باستخدامها ضدهم، حينها فقط سوف يرون حماقة موقفهم وسنصبح أحرارًا وسننقذ العالم أيضًا من الإرهاب. وطالما أن حكامنا يلجأون إلى الأهيمسا وطالما أننا نكره الإرهاب، فما هو ضرر استخدام هذه الأسلحة بشرط ألا نسمح لهم بالاستحواذ علينا؟»، هل أسدت الحرب العظمى فعلًا أي خير للأمم، وبشكل خاص للمنتصرين؟ لقد خسروا الكثير جدًّا، ماديًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا نتيجة لهذا الانتصار. اختلت كافة معاييرهم الأخلاقية ويصبح الصراع في الحياة وتجاهل الحقيقة والصدق في التعاملات الدولية أكثر وضوحًا كل يوم. هل يمكن أن ينتج أي خير عن الحرب، مهما كان من الممكن أن يكون «مبررًا أخلاقيًّا»؟ ألسنا ملزمين بمعارضته وأن ندعو إلى المعاناة من أجل القضية بدلًا من الإذعان لها بأي شكل من الأشكال سواء بشكل سلبي أو فعال؟ ألا تعتقد أن دعاة السلام خدموا القضية أفضل من

أولئك الذين شاركوا بنشاط في الحرب؟ ما تقوله قد يمثل حالة ذهنك في عام ١٩١٤ عندما كنت تعتقد أن هناك إحساسًا بالعدالة في العقلية البريطانية. هل تشعر الآن أنك كنت على حق؟ إذا تم إعلان حرب أخرى غدًا، فهل ستتطوع بمساعدتك لإنجلترا على أمل أن تجعل الأمور أفضل بعد الحرب؟ أعلم أنني لم أعرض القضية بأفضل طريقة، لكن يمكنك أن تفهم ما الذي أحاول إخبارك به وسأكون سعيدًا بتلقي ردك».

أتفق مع المراسل في أنه لم يعرض قضيته «بأفضل طريقة»، لكنه يمثل تمامًا نوعًا من القراء الذين لن يقرأوا بعناية حتى الكتابات التي يُقصد منها أن تكون جادة، لمجرد أن تصادف أنها موجودة في مجلة أسبوعية. إذا أعاد قراء مثل المراسل قراءة الفصل المعني، سيكونون قادرين على استنتاج الأمور الآتية:

١- لم أعرض خدماتي لأنني كنت أؤمن بالحرب. عرضت عليهم ذلك لأنني لم أستطع تجنب المشاركة فيها بشكل غير مباشر على الأقل.

٢- لم أتمتع بمنزلة عالية لأقاوم المشاركة.

٣- لا أعتقد أنه يمكن تجنب الحرب بالاشتراك فيها، وفي الوقت نفسه لا أعتقد أنه يمكن تجنب الشر بالمشاركة فيه. مع ذلك، هناك حاجة إلى تمييز ذلك عن المشاركة، التي لا حول لها ولا قوة، بإخلاص في الكثير من الأشياء التي نعتبرها شريرة أو غير مرغوب فيها.

٤- إن برهان الفوضوي ليس ذا صلة؛ لأن مشاركته في الإرهاب متعمدة وطوعية ومُتوقعة مسبقًا.

٥- لم تنفع الحرب بالتأكيد مَن يُسمون: المنتصرين.

٦- بالتأكيد خدم دعاة السلام المقاومون، الذين عانوا من السجن، قضية السلام.

٧- إذا تم إعلان حرب أخرى غدًا، فلن أستطيع، بآرائي الحالية حول الحكومة القائمة، مساعدتها بأي شكل. على العكس من ذلك، يجب أن أبذل قصارى جهدي لحث الآخرين على حجب مساعدتهم والقيام بكل ما هو ممكن ومتسق مع الأهيمسا للتسبب في هزيمتها.

من جريدة Young India ٨-٣-١٩٢٨

لا نزال في القضية ذاتها:

لا يزال فصل السيرة الذاتية الذي يتعامل مع وجودي في الحرب الأخيرة، يُحيِّر الأصدقاء والنقاد. ها هي رسالة أخرى:

«في الفصل ٣٨، الجزء الرابع من سيرتك الذاتية، تطرقت لأول مرة لمسألة مشاركتك في حرب ١٩١٤-١٩١٨.

أزعجتني بعض النقاط، لكنني انتظرت بتلهف آملًا أن أرى الموضوع بمزيد من التفاصيل في الفصل التالي، كما يمكن كذلك للأمر أن يتضح بالمراسلة.

لقد حدث هذا إلى حد ما. لكن لا تزال هناك نقطتان لم يتم توضيحهما بالقدر الذي كنت أتمناه.

أنا لا أكتب إليك بفكرة أنك مخطئ، لكنني مقتنع بأنني لم أتمكن من فهم معناك كاملًا، ولأنه من المؤكد أن كثيرين في نفس حالتي، أتشجع لأن أسألك التوضيح الذي أتوق إليه.

النقطة الأولى هي: ما الذي دفعك فعلًا للمشاركة في الحرب؟ أنت تقول «كانت هناك ثلاث مسارات أمامي: يمكنني إعلان المقاومة الصريحة ضد الحرب وأقاطع الإمبراطورية وفقًا لقانون الساتياجراها، حتى تغير سياستها العسكرية. أو يمكنني أن أطلب عقوبة السجن بسبب العصيان المدني لقوانين الإمبراطورية التي أرى وجوب عصيانها. أو يمكنني أن أشارك في الحرب إلى جانب الإمبراطورية، وبالتالي أكتسب القدرة والكفاءة لمقاومة عنف الحرب. كنت أفتقر إلى هذه القدرة والكفاءة. لذلك اعتقدت أنه لا يوجد أمامي سوى الخدمة في الحرب». ما هي القدرة والكفاءة اللازمتين لمقاومة عنف الحرب التي كنت تأمل في اكتسابها من خلال مشاركتك في الحرب؟

أستطيع أن أرى أن قضيتك كانت فردية وذات طابع خاص عن السكان الأصليين لمختلف البلدان المتحاربة. لم تكن عرضة للتجنيد في الخدمة العسكرية المنتظمة كما كانوا، وبالتالي لم تكن المقاومة السلبية متاحة لك بشكل طبيعي. لو كنت قد أعلنت احتجاجًا علنيًّا إذَنْ ضد الحرب، بينما لم تكن في منزلة تسمح لك بمقاومتها، لكان

ذلك أسوأ من عدم فعل شيء. ولكن لماذا أقدمت ولو بمثقال ذرة على هذه المشاركة غير الفعالة في الحرب وظننت أنها كانت ضرورية تمامًا؟

على الرغم من أن المرء يستنتج من الاقتباس السابق أنك انضممت إلى الحرب من أجل اكتساب القدرة على مقاومة عنف الحرب، لكنك في مواضع أخرى تؤكد بوضوح على أنك تأمل من خلال أفعالك أن تنال وضعًا شرعيًّا لنفسك ولبلدك وليس فقط من أجل مقاومة الحرب.

ومن هنا يأتي السؤال الثاني: هل كان من الصواب الانضمام إلى الحرب على أمل الحصول على أي شيء؟

لا أعرف كيف توّفق ذلك مع تعاليم الجيتا التي تقول إنه لا ينبغي لنا أبدًا أن نتصرف من منظور ثمار عملنا.

خلال الفصل استخدمت حجة مساعدة أو عدم مساعدة الإمبراطورية البريطانية وأنا أدرك أن المسألة فردية، كما تم طرحها في الأصل. لكن هذا يقودنا حتمًا إلى السؤال: هل يجب علينا أن نشارك في الحرب كحرب أم لا؟».

لا شك أن ما دفعني إلى المشاركة في الحرب كان دافعًا مختلطًا. يمكنني تذكر شيئين. على الرغم من أنني كنت أعارض الحرب كفرد، إلا أنه لم أكن أتمتع بوضع يسمح لي بتقديم مقاومة فعالة غير عنيفة. لا يمكن للمقاومة غير العنيفة إلا أن تتبع خدمة حقيقية غير مبالية؛

تعبير قلبي ما عن الحب. على سبيل المثال، لن يكون لديَّ أي اعتبار لمقاومة تقدمة همجية لأضحية حيوانية حتى يتمكن ذلك الشخص من التعرف عليَّ كصديق له من خلال فعل حب ما أو بوسائل أخرى من قبلي. أنا لا أحكم على العالم بسبب آثامه العديدة. نظرًا لكوني شخصًا غير كامل، أحتاج إلى التسامح والإحسان، فأنا أتسامح مع عدم كمال العالم إلى أن أجد أو أخلق فرصة لطرح مثمر. لقد شعرت أنه إذا تمكنت من خلال الخدمة الكافية أن أحصل على القوة والثقة لمقاومة حروب الإمبراطوريات واستعداداتها الحربية، فسيكون ذلك أمرًا جيدًا بالنسبة لي- كشخص كان يسعى إلى فرض اللا عنف في حياته الخاصة- لاختبار إلى أي مدى كان ذلك ممكنًا بين الجماهير.

الدافع الآخر كان التأهل لاستقلال الهند من خلال المساعي الحميدة لرجال الدولة في الإمبراطورية. لم أستطع بالتالي تأهيل نفسي إلا من خلال خدمة الإمبراطورية في صراعها بين الحياة والموت. يجب أن يكون مفهوما أنني أكتب عن عقليتي في عام ١٩١٤ عندما كنت مؤمنًا بالإمبراطورية وقدرتها على مساعدة الهند في معركتها من أجل الحرية. لو كنت أنا المتمرّد اللا عنفي الذي أنا عليه اليوم، لما كنت سأساعدها بالتأكيد، بل إني كنت سأحاول إعاقتها عن تحقيق هدفها خلال كل جهد منفتح على اللا عنف.

كانت معارضتي للحرب وعدم إيماني بها قويًّا آنذاك كما هو الأمر اليوم. لكن علينا أن ندرك أن هناك أشياء كثيرة في العالم نقوم

بها على الرغم من أننا قد نعارض القيام بها. إنني أعارض بشدة قتل حياة أدنى المخلوقات كما هو الحال بالنسبة للحرب، لكنني أستمر في ذلك على أمل، يومًا ما، أن تكون لديَّ القدرة على فعل ذلك دون قتل الأخوة. إن قلت بأني قد نذرت نفسي للا عنف، على الرغم من كل ذلك، فيجب إذن أن تكون محاولتي صادقة ونشيطة، ولا تتوقف. إن مفهوم الـ **moksha**[٣٦]؛ أن تكون متحررًا من واجب الحاجة إلى الوجود المتجسد، يقوم على ضرورة أن يكون الرجال والنساء المثاليون غير عنيفين تمامًا. إن حيازة الجسم مثل أي ملكية أخرى تتطلب عنفًا ما، حتى لو كان قليلًا جدًّا. الحقيقة هي أن طريق الخدمة، لا يسهل فيه دائمًا أن تميز بين الادعاءات التي تبدو أنها تتعارض مع بعضها البعض.

أخيرًا، إن الآية المشار إليها من الجيتا لها معنى مزدوج. الأول، هو أنه لا ينبغي أن يكون هناك هدف أناني وراء أفعالنا. إن الحصول على استقلال الهند ليس هدفًا أنانيًّا. ثانيًا، الانفصال عن ثمار الأفعال لا يعني تجاهلها أو إهمالها أو التبرؤ منها. أن تكون منفصلًا لا يعني أبدًا التخلي عن أي إجراء؛ لأن النتيجة المتوخاة منه قد لا تحدث. على العكس من ذلك، فهو دليل على الإيمان الراسخ في يقين الوصول إلى النتيجة المرجوة تبعًا للمسار المناسب.

من جريدة **Young India** ١٥-٣-١٩٢٨

---

(٣٦) موكشا: هو مصطلح يُستخدم في الديانات والفلسفة الهندية، يعني الانعتاق أو التحرر أو الإطلاق

موقفي تجاه الحرب:

كتب القس بارت دي ليخت[٣٧] رسالة طويلة مفتوحة لي في صحيفة فرنسية تُسمَّى **Evolution**. تفضل بإرسال ترجمة لها إليَّ. تنتقد الرسالة المفتوحة بشدة، مشاركتي في حرب البوير ثم الحرب العظمى في عام ١٩١٤، ويدعوني لتفسير سلوكي في ضوء الأهيمسا. طرح أصدقاء آخرون أيضًا المسألة ذاتها. حاولت تقديم تفسير لذلك أكثر من مرة في هذه الأعمدة.

ليس هناك دفاع عن سلوكي يزن شيئًا بالنسبة لموازين الأهيمسا. لا أجد فارقًا بين أولئك الذين يستخدمون أسلحة الدمار وأولئك الذين يعملون في الصليب الأحمر. كلاهما يشارك في الحرب ويدعم قضيتها. كلاهما مذنب بارتكاب جريمة حرب. ولكن حتى بعد فحص نفسي خلال كل هذه السنوات، أشعر أنه في الظروف التي وجدت نفسي فيها، كنت ملزَمًا بتبني المسار الذي قمت به أثناء حرب البوير والحرب الأوروبية العظمى، وفي هذه الحالة، في ما يُسمَّى بالزولو؛ «تمرد» ناتال عام ١٩٠٦.

---

(٣٧) ناشط سلام وداعٍ للا عنف ومناهض للعسكرة، هولندي، وقسٌّ أيضًا (١٨٨٣ - ١٩٣٨م). في عام ١٩١٤م انضم مع زملاء له قساوسة لكتابة كتاب «ذنوب الكنيسة»، متهمين المؤسسة المسيحية بأنها كانت متواطئة مع الأحداث التي نتجت عنها الحرب العالمية الأولى. بعد فترة، أصبحت كل كتاباته ممنوعة عن القوات المسلحة الهولندية. في عام ١٩١٨ استقال من وظيفته (قسيسًا) معلنًا أنه، بسبب نهجه الشامل المتزايد في الدين، لم يعد يعتبر نفسه مسيحيًّا على وجه التحديد.

تحكم الحياة قوى متعددة. سيكون الإبحار سلسًا إذا كان بإمكان المرء تحديد مسار أفعاله من خلال مبدأ عام واحد فقط، كان تطبيقه في لحظة معينة واضحًا جدًّا بحيث لا يحتاج حتى إلى التفكير للحظة. لكن لا يمكنني تذكر فعل واحد يمكن تحديده بسهولة.

لكوني مقاومًا صادقًا للحرب، لم أقم بتدريب نفسي أبدًا على استخدام الأسلحة المدمرة على الرغم من الفرص المتاحة لأخذ مثل هذا التدريب. ربما كان ذلك هو ما جعلني أفلت من التدمير المباشر للحياة البشرية. ولكن طالما كنت أعيش في كنف نظام حكم قائم على القوة وشاركت طواعية في العديد من التسهيلات والامتيازات التي أوجدتها لي، كنت ملزمًا بمساعدة تلك الحكومة في حدود قدرتي عند مشاركتها في الحرب، ما لم أتعاون مع تلك الحكومة وأتخلى بأقصى قدرتي عن المميزات التي قُدمت إليَّ.

اسمحوا لي أن أوضح المزيد. أنا عضو في مؤسسة تمتلك بضعة أفدنة من الأراضي التي تتعرض محاصيلها لخطر وشيك من القرود. أنا أؤمن بقدسية حياة كافة الكائنات، ومن ثم أعتبر أن توجيه أي أذى للقرود هو خرقٌ للأهيمسا. لكني لا أتردد في التحريض وتوجيه الهجوم على القردة من أجل إنقاذ المحاصيل. أود أن أتجنب هذا الشر. يمكنني تجنبه بترك المؤسسة أو تفكيكها. لا أفعل ذلك لأنني لا أتوقع أن أكون قادرًا على إيجاد مجتمع لا توجد فيه زراعة، وبالتالي لا يوجد فيه تدمير لحياة ما. لذا فإنني أشارك في الإصابة التي ألمت

بالقرود بخوف ورعدة وفي تواضع وتوبة، على أمل أن أجد يومًا ما مخرجًا لتلك الإشكالية.

مع ذلك شاركت في أعمال الحرب الثلاثة. لم أستطع أن أقطع اتصالي بالمجتمع الذي أنتمي إليه؛ سيكون هذا جنونًا بالنسبة لي. في تلك المناسبات الثلاثة لم أفكر في عدم التعاون مع الحكومة البريطانية. إن موقفي بشأن تلك الحكومة مختلف تمامًا اليوم، وبالتالي لا ينبغي أن أشارك طواعية في حربها، ويجب أن أخاطر بالسجن حتى المشنقة، إذا كنت مجبرًا على إشهار السلاح وفوق ذلك المشاركة في عملياتها العسكرية.

لكن ذلك لا يزال غير قادر على حل اللغز. إذا كانت هناك حكومة وطنية، بينما لا ينبغي عليَّ أن أشارك بشكل مباشر في أي حرب، يمكنني أن أتصور أنه ستأتي بعض الأوقات سيكون فيها من واجبي التصويت على التدريب العسكري لأولئك الذين يرغبون في خوضه لأني أعلم أن جميع أعضائها لا يؤمنون باللا عنف بالقدر الذي أؤمن به. ليس من الممكن جعل شخص أو مجتمع غير عنيف بالإكراه.

يعمل اللا عنف بطريقة غامضة. غالبًا ما تتحدى أفعال الإنسان التحليل، فيما يخص اللا عنف وبنفس القدر، في كثير من الأحيان، قد ترتدي أفعاله مظهر العنف عندما يكون غير عنيف تمامًا بالمعنى الأسمى للمصطلح ويتبين لاحقًا أنه كذلك. كل ما يمكنني ادعاؤه بعد ذلك عن سلوكي هو أنه ، في السياقات المذكورة، تم تفعيله لصالح

اللا عنف. لم يكن هناك تفكير في الوطنية الدنيئة أو أي مصلحة أخرى. لا أؤمن بتعزيز الوطنية أو أي مصلحة على حساب الأخرى.

قد لا أواصل عرض حجتي أكثر من ذلك. ليست اللغة، في أحسن الأحوال، سوى وسيلة ضعيفة للتعبير عن أفكار المرء بالكامل. ليس اللا عنف، بالنسبة لي، مجرد مبدأ فلسفي. إنه دستور ونسمة حياتي. أعلم أنني أفشل كثيرًا، أحيانًا بوعي، وفي أكثر الأحيان من دون وعي. إنها ليست مسألة عقل بل القلب. يأتي التوجيه الحقيقي من خلال انتظار الله المستمر وبتواضع شديد ونكران للذات وبواسطة الاستعداد الدائم للتضحية بالنفس. تتطلب ممارسته الجرأة والشجاعة إلى أعلى مستوى. إنني أعي إخفاقاتي متألمًا.

لكن النور بداخلي ثابت وواضح. لا مفر لأي منا ليُنقذ إلا من خلال الحقيقة واللا عنف. أنا أعلم أن الحرب خاطئة. إنها شر مطلق. أعلم أيضًا أنها يجب أن تنتهي. أعتقد اعتقادًا راسخًا أن الحرية المكتسبة من خلال إراقة الدماء أو الاحتيال ليست حرية. هل كل الأفعال التي زعموا أنني فعلتها، وجد أنه لا يمكن الدفاع عنها كلية، أكثر من أي فعل من أفعال اللا عنف التي قمت بها والذي اعتُبر حلًّا وسطًا، أو أنهم اعتقدوا أنني كنت أميل إلى العنف أو الكذب بأي شكل من الأشكال؟ لا العنف ولا الكذب، بل اللا عنف والحقيقة هما قانونُنا وجودنا.

من جريدة Young India ١٣-٩-١٩٢٨

ماذا علينا أن نفعل؟

قبل أسبوعين كتبت في نافاجيفان[٣٨] رسالة موجزة عن المأساة في جودهرا[٣٩]، حيث لقي شري بوروشوتام شاه حتفه بشجاعة على يد مهاجميه، وأعطيت للرسالة عنوان «قتال المسلمين والهندوس في جودهرا». لم يُعجب العنوان الكثير من الهندوس، ووجهوا رسائل غاضبة يطلبون مني تصحيحه. لقد وجدت أنه من المستحيل موافقة مطلبهم. سواء كانت هناك ضحية واحدة أو أكثر، أو إذا كان أحدهم يفترض الهجوم والآخر يعاني ببساطة، ينبغي أن أصف الحدث بأنه قتال، إذا كانت سلسلة الأحداث بأكملها نتيجة لحالة حرب بين المجتمعين. توجد اليوم حالة حرب بين المجتمعين، سواء في جودهرا أو في أماكن أخرى. لحسن الحظ، لا يزال الريف خاليًا من حمى الحرب التي تنحصر بشكل أساسي في البلدان والمدن، حيث يستمر القتال بشكل أو بآخر. حتى المراسلون الذين كتبوا إليَّ عن جودهرا لا يبدو أنهم ينكرون حقيقة أن الأحداث نشأت عن العداوات المجتمعية التي كانت موجودة هناك.

لو كان المراسلون قد انتبهوا ببساطة إلى العنوان، لكان علي أن أكون راضيًا عن نفسي بالكتابة إليهم على انفراد وألا أكتب أي شيء في نافاجيفان عن ذلك. لكن هناك رسائل أخرى عبَّر فيها المراسلون

(٣٨) نافاجيفان هي صحيفة أسبوعية أصدرها غاندي من عام ١٩١٩م إلى ١٩٣١م في أحمدآباد.
(٣٩) كان المسلمون في جودهرا، يرتكبون أعمال عنف كثيرة ضد الهندوس.

عن غضبهم بشأن أمور مختلفة. كتب متطوع من أحمد آباد كان في جودهرا ما يلي:

« تقول إنه يجب الصمت حيال هذه المنازعات. لماذا لم تصمت على حركة الخلافة[٤٠] ولماذا حثتنا على الانضمام إلى المسلمين؟ لماذا لا تصمت عن مبادئك في الأهيمسا؟ كيف يمكنك تبرير صمتك في الوقت الذي تحاول فيه كل مجموعة أن تذبح الثانية ويتم سحق الهندوس إلى ذرات؟ كيف تبلغ الأهيمسا إلى هنالك؟ أوجه انتباهك إلى حالتين:

هكذا اشتكى لي صاحب متجر هندوسي: يشتري المسلمون أكياس أرز من متجري ولا يدفعون ثمنها في كثير من الأحيان. لا أستطيع أن أصر على الدفع خوفًا من نهبهم لممتلكاتي. لذا يتوجب عليَّ أن أقدم هدية إلزامية من ٥٠ إلى ٧٥ ماوند[٤١] من الأرز كل شهر.

اشتكى آخرون: يغزو المسلمون أحياءنا ويهينون نساءنا في

(٤٠) حركة الخلافة، المعروفة أيضًا باسم الحركة الإسلامية الهندية (١٩١٩- ١٩٢٤م)؛ عبارة عن حملة احتجاج سياسي إسلامي عام أطلقها مسلمو الهند البريطانية لإعادة خلافة الدولة العثمانية كسلطة سياسية فاعلة على المسلمين السنيين. كانت الحركة احتجاجًا على العقوبات التي فُرضت على الخليفة والإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. تم تشكيل تحالف بين قادة الخلافة وحزب المؤتمر الهندي الوطني الذي يرأسه غاندي، وقد تعاهد زعماء الحزبين بالعمل والنضال معًا من أجل قضايا الخلافة واستقلال الهند وقد أصبحت حركة الخلافة جزءًا رئيسًا من حركة عدم التعاون.

(٤١) الماوند: وحدة للكتلة كانت تُستخدم في الهند البريطانية.

وجودنا، وعلينا أن نتحمل خاضعين. إذا تجرأنا على رفع احتجاج، تكون نهايتنا. نحن لا نجرؤ حتى على تقديم شكوى ضدهم.

بماذا تنصح في مثل هذه الحالات؟ كيف ستجلب أهيمستك في هذا المشهد؟ أو أنك تفضل حتى هنا أن تظل صامتًا؟».

لقد أجبت عن هذه الأسئلة وما شابهها في هذه الصفحات مرارًا وتكرارًا، ولكن نظرًا لأنها لا تزال مُثارة، كان من الأفضل أن أشرح آرائي مرة أخرى مخاطرًا بالتكرار.

ليست الأهيمسا طريق الخائفين أو الجبناء. إنها طريق الشجعان المستعدين لمجابهة الموت. مَن يهلك والسيف في يده هو بلا شك شجاع، لكن مَن يواجه الموت دون أن يرفع إصبعه الصغير ودون تقهقر أشجع من الأول. لكن مَن يسلم أكياس الأرز خوفًا من الضرب جبان وغير مناصر للأهيمسا. إنه لا يعي الأهيمسا. إن الذي يعاني من إهانة نساء أهل بيته، خوفًا من التعرض للضرب، لا يتمتع بصفات الرجل الحق بل على العكس. إنه لا يصلح لأن يكون زوجًا ولا أبًا ولا أخًا. مثل هؤلاء الناس ليس لديهم حق الشكوى.

لا علاقة لهذه الحالات بالعداء المتأصل بين الهندوس والمسلمين. وحيث يوجد حمقى لا بد أن يكون هناك محتالون، حيث يوجد جبناء لا بد أن يكون هناك متنمرون، سواء كانوا هندوسًا أو مسلمين. كان من المعتاد حدوث مثل هذه الحالات حتى قبل انفجار هذه الأعمال العدائية الطائفية وبالتالي، فإن المسألة هنا لا تتعلق بكيفية

تلقين إحدى المجموعتين درسًا أو كيفية إضفاء الطابع الإنساني عليه، ولكن بكيفية تعليم الجبان أن يكون شجاعًا.

إذا أدركتْ شرائح المفكرين في كلا المجموعتين الجبن والحماقة الكامنين خلف الأعمال العدائية، ستتمكن من إنهائها بسهولة. كلاهما يجب أن يكون شجاعًا وحكيمًا. إذا كان كلاهما أو أحدهما حكيمًا عن عمد، سيكون هذا هو طريقهما صوب اللا عنف. إذا تقاتلا ولم يتعلما الحكمة إلا من خلال التجربة المريرة، سيكون الطريق هو العنف. في كلتا الحالتين لا يوجد مكان للجبناء في مجتمع من الرجال، أي في مجتمع يحب الحرية. استقلال الهند ليس للجبناء.

لذا فإن استنكار الأهيمسا أو الغضب مني بناء على الحالات المذكورة هو نوع من الكسل. منذ تجربتي في تشويه الأهيمسا في بيتيا في عام ١٩٢١، كررت مرارًا وتكرارًا أن الشخص الذي لا يستطيع حماية نفسه أو أقرب وأعز الناس إليه أو شرفهم من خلال مواجهة الموت دون عنف، قد يفعل بل ويجب أن يفعل ذلك عن طريق التعامل بعنف مع الظالم. مَن لا يستطيع فعل أي من الأمرين هو عالة لم يجد مخرجًا من أن يصبح ربًّا لأسرة. عليه أحد الأمرين؛ إما أن يختبئ، وإما أن يقنع بالعيش إلى الأبد في عجز، وأن يكون مستعدًّا للزحف مثل دودة عندما يأمر المتنمر.

إنني أعرف طريقًا واحدًا؛ طريق الأهيمسا. يتعارض طريق الأهيمسا مع طبعي. لا أريد أن أتعهد بالرعاية قوة الهيمسا[٤٢] في نفسي. بما أن الأهيمسا ليس لها مكان في أجواء الجبن السائدة اليوم، يجب أن أكون متحفظًا بشأن أعمال الشغب التي نسمع عنها يوميًّا. هذا العرض لعجزي لا يمكن أن أكون ولعًا به. لكن الله لا يأمر أبدًا بأن تحدث الأمور التي نحبها وحسب، ولا تحدث الأمور التي لا نحبها. على الرغم من العجز، يعززني الإيمان بأنه عون من لا عون له، وأنه لا يعين المرء إلا عندما يلقي بنفسه في رحمته. بسبب هذا الإيمان أتعلق بالأمل في أن يريني الله يومًا ما طريقًا قد أوصيت به الناس بثقة. لديَّ قناعة قوية، كما كانت دائمًا، بأنه لا مفر من أن يكون الهندوس والمسلمون أصدقاء يومًا ما. لا أحد يستطيع أن يقول كيف ومتى سيحدث ذلك. المستقبل بيد الله تمامًا لكنه منحنا سفينة الإيمان التي تستطيع وحدها عبور محيط الشك.

من جريدة Young India ١١-١٠-١٩٢٨

«موقفي تجاه الحرب»:

جلبت مقالتي المنشورة بهذا العنوان في Young India في ١٣ سبتمبر ١٩٢٨ الكثير من المراسلات معي وفي الصحافة الأوروبية المهتمة بالنضال ضد الحرب. وصلتني في المراسلات الشخصية رسالة من صديق ومريد لتولستوي: ف. تشيرتكوف، وهو شخصية

(٤٢) الهيمسا: عكس الأهيمسا.

تحظى باحترام كبير بين محبي السلام، وسيحب القارئ أن أشاركها معه. هذه هي الرسالة:

«يرسل لك أصدقاؤك الروس أحر تحياتهم وأطيب التمنيات بمزيد من النجاح لخدمتكم المخلصة لله والناس. نتابع حياتك بأكبر قدر من الاهتمام وعمل عقلك ونشاطك، ونبتهج بكل نجاح لك. نحن ندرك أن كل ما تحققه في بلدك هو في نفس الوقت ما نحققه لأننا- رغم اختلاف الظروف- نخدم نفس القضية. نشعر بامتنان كبير لك لكل ما قدمته وما منحته لنا من شخصك؛ مثال حياتك وعملك الاجتماعي المثمر. نشعر بأعمق وأبهج صنوف الاتحاد الروحي بك.

لكن كلما كان الاتحاد أصدق وأعمق، شعر المرء بشكل أكثر حدة بأقل قدر من الاختلاف أو سوء التفاهم، وما استحثني على إرسال هذه الرسالة إليك هو مجرد سوء فهم بيننا.

أحزنت مقالتك «موقفي تجاه الحرب»، التي نُشرت في Young India في ١٣ سبتمبر من هذا العام، الكثير من المعجبين بك وأصدقائك، وقد شعرت بالحاجة إلى لتعبير عما أشعر به وأفكر فيه حيال هذا الموضوع. آمل أن تتقبل كلماتي بنفس الشعور بحسن النية الذي يصدر مني.

أنت تبرر مشاركتك السابقة في ثلاثة حروب شنتها الحكومة البريطانية. إذا كنت أتذكر جيدًا، لقد أشرت إلى نفس الموضوع، منذ

بضع سنوات مضت، في مقالة، عبَّرت فيها عن نفسك بروح أخرى. إذن أنت لم تبرر نفسك، لكنك أدركت عدم اتساقك السابق. أتذكر أن استعدادك هذا للتعرف على خطأك الماضي أثَّر بشكل كبير وعزاني أنا وأصدقاءك الآخرين هنا. بينما الآن -على العكس من ذلك- تبرر نفسك مشيرًا إلى الحجج المعتادة المطروحة للدفاع عن الحرب. تقول: «تحكم الحياة قوى متعددة. سيكون الإبحار سلسًا، إذا كان بإمكان المرء تحديد مسار أفعاله من خلال مبدأ عام واحد فقط، كان تطبيقه في لحظة معينة واضحًا جدًّا بحيث لا يحتاج حتى إلى التفكير للحظة». هذا صحيح تمامًا فيما يتعلق بجميع الحالات التي تقبل مناقشة الاعتبارات النفعية العملية. ولكن هناك فئة من الأفعال لا تقبل هذه الاعتبارات بسبب طبيعتها. إنها أفعال تنتهك بوضوح قانونًا أخلاقيًّا أو إلهيًّا معترفًا به بالنسبة لنا. ينتمي القتل العمد للإنسان إلى هذه الفئة من الأفعال. يجب تمييز القضية بشكل قاطع في هذه الحالة، ولا ينبغي للمرء أن يسمح لأي اعتبارات للنفعية بالتدخل.

لا يجوز للمرء أن يحل هذه المسألة وفقًا لما إذا كان المرء يتعاطف مع حكومة معينة أم لا ومع ذلك فإنك تفعل ذلك عندما تقول: «إذا كانت هناك حكومة وطنية، يمكنني أن أتصور أن هناك مناسبات يكون فيها من واجبي التصويت على التدريب العسكري لأولئك الذين يرغبون في خوضه». وبهذه الطريقة تُبرر موقف الآخرين الذين يُصوِّتون أيضًا للاستعداد للحرب لأنهم يتعاطفون مع حكومة أخرى. ويا له من شرك

يضعه في طريق الناس رجل ينكر الحرب إلى هذا الحد؛ يرفض الخدمة في الجيش ويصوت في نفس الوقت للتدريب العسكري!

علاوة على ذلك، أنت تقول: «جميع أعضائها (الحكومة) لا يؤمنون باللا عنف» وأنه «ليس من الممكن جعل شخص أو مجتمع يتحول إلى اللا عنف بالإكراه». لكن امتناع المرء عن التصويت للتدريب العسكري لا يجبر أحدًا على فعل أي شيء، تمامًا كما أنه بالامتناع عن التصويت لتدريب النشالين، لا يمارس عنفًا تجاه النشالين.

أنت تشير إلى مثال الحصاد الذي أكلته القرود، لكن نقل القضية من البشر إلى القردة يجعلها غامضة. إذا تعرض حصادك للهجوم من قِبل بشر وليس من البهائم، ألا تعتقد أنه من واجبك التضحية بالحصاد بدلًا من إبادة البشر؟

أنت تقول إنه سيكون من الجنون أن تقطع علاقتك بالمجتمع الذي تنتمي إليه، وطالما أنك عشت في ظل نظام حكم قائم على القوة وتشترك طواعية في العديد من التسهيلات والامتيازات التي اختلقوها لك، فإنك ملزم بمساعدته بقدر قوتك عندما يشترك في الحرب.

أولًا: بالامتناع عن الموافقة على الأفعال الشريرة التي ينخرط فيها البشر من حولي ، فأنا لا «أقطع علاقتي بالمجتمع الذي أنتمي إليه» فقط، بل على العكس تمامًا، إنني أنتفع من هذا الاتصال بأفضل طريقة ممكنة لخدمة هذا المجتمع.

ثانيًا: إذا كان العيش بهذه الطريقة يجبرني على مساعدة الدولة في شن الحرب، عندئذ يجب أن أتوقف بأي ثمن عن العيش بالطريقة التي أعيشها الآن، حتى لو كنت مضطرًّا إلى التضحية بحياتي وليس من الحكمة مساعدة الناس في ذبح إخوانهم. بالإضافة إلى ذلك، من الممكن تمامًا الاستفادة من بعض التسهيلات التي توفرها الدولة والتي يمكن الحصول عليها دون عنف، وفي نفس الوقت الامتناع عن دعم الأعمال الشريرة للدولة.

ربما ينشأ سوء التفاهم جزئيًّا من عدم قيامك برسم الخط الفاصل بين العنف والقتل بشكل صارم. هناك حالات يكون فيها من الصعب بالفعل، دون بحث متأنٍّ، توضيح ما إذا كان قد تم ارتكاب أعمال عنف محددة، ولكن في مسألة الحرب لا مجال للشك في أنها تقوم على قتل الإنسان. ربما نتفق في هذا.

نأمل، أيها الصديق العزيز والمحترم، أن تدرك عدالة الاعتبارات التي أعربت عنها وأن تقدم لنا شرحًا يهدئ ريبتنا. في جميع الأحوال، صدقني، لم أكن لأكتب هذه الرسالة، لولا المقاطع المشار إليها في مقالتك التي أثارت بالفعل الشكوك بين الكثير من أصدقائك المخلصين والأوفياء.

أخيرًا، لا يمكنني إلا أن أكرر التعبير عن أعمق احترامي لك وأحر تمنياتي لك ولعملك الصالح.

أريد أن أؤكد بشدة للسيد تشيرتكوف أنني لا أستاء من رسالته فحسب، بل أرحب بها لدفئها في المودة وصدقها الشفاف.

لا أنوي الانخراط في رد تفصيلي على النقاط التي أُثيرت في الرسالة. بالنسبة لي لا يسمح الأمر لي بتجاوز نقطة ما؛ إنه اعتقاد راسخ بأن الحرب هي شر محض. لن أنقاد لأي أحد في كرهي للحرب. لكن القناعة شيء، والممارسة الصحيحة شيء آخر. إن الشيء ذاته الذي قد يفعله أحد المقاومين للحرب لصالح مهمته قد يثبط مقاومة أخرى للحرب قد تفعل العكس تمامًا، ومع ذلك قد يتبنى كلاهما نفس الرأي حول الحرب. ينشأ هذا التناقض بسبب التعقيد المحير للطبيعة البشرية. لذلك لا يسعني إلا المطالبة بالتسامح المتبادل حتى بين أساتذة العقيدة نفسها.

الآن، فيما يتعلق ببعض النقاط في الرسالة. لا أذكر الكتابة أو الحديث الذي أعربت فيه عن أسفي لمشاركتي في حروب بريطانيا. ما قلته على الأرجح هو أنني لم أشعر بالأسف لأنني ساعدت بريطانيا على الرغم من أنني اكتشفت بعد ذلك أن سياستها محفوفة بالضرر للهند والخطر على البشرية. إذا شعرت بالندم لمشاركتي في الحروب الثلاثة كحروب، كان ينبغي على تذكر ذلك وتكراره ما لم أغير رأيي حول مشاركتي.

كل ما فعلته لم أفعله من منطلق النفعية كما نفهم المصطلح. أدّعي أنني قمت بكل فعل وصفته بغرض تعزيز قضية السلام. هذا لا يعني أن هذه الأعمال قد عزَّزت بالفعل قضية السلام. أنا فقط أقول حقيقة أن دافعي كان السلام.

مع ذلك من الممكن أنني كنت حينها ضعيفًا، ولا أزال ضعيفًا جدًّا كي أدرك خطئي، تمامًا كما في حالة رجل أعمى لا يستطيع رؤية ما يستطيع جيرانه رؤيته. ألاحظ يوميًّا مدى قدرتنا على القيام بأقصى خداع للذات.

لكنني غير مدرك لخداع ذاتي في الوقت الحالي. ما أشعر به هو أنني أبحث عن السلام من خلال وسيط يعيش فيه أصدقائي الأوروبيون غرباء. أنا أنتمي إلى بلد منزوع السلاح بشكل إجباري ومُحتجز في العبودية لقرون. قد تكون طريقتي في النظر إلى السلام مختلفة بالضرورة عن الآخرين.

دعوني أطرح توضيحًا: لنفترض أن كل من القطط والفئران يرغبان بصدق في السلام. الآن سيتعين على القطط نبذ الحرب ضد الفئران. لكن كيف ستعزز الفئران السلام؟ ما هو الذي سينبذونه؟ هل تصويتهم حتى ضروري؟ لنفترض أكثر من ذلك؛ أن بعض القطط لا تلتزم بالمعاهدة التي انتهت إليها مجلس القطط واستمرت في افتراس الفئران، فماذا ستفعل الفئران؟ قد يكون من بينهم بعض الحكماء وربما يقولون: "سنضحي بأنفسنا راضين حتى تشبع القطط لدرجة الإفراط ولا تجد متعة في الافتراس»، ينجح هؤلاء في نشر مبدئهم ولكن ماذا يجب أن يكون موقفهم -وهم محبو السلام- تجاه الفئران التي ستقرر تسليح نفسها وخوض المعركة مع العدو، بدلًا من الهروب من مضطهديها؟ قد يكون الجهد تافهًا، لكن الفئران الحكيمة

التي تخيلتها، كما أفهم، ستكون ملتزمة بمساعدة الفئران في رغبتها في أن تصبح جريئة وقوية حتى مع الحفاظ على موقفها من السلام. سوف يفعلون ذلك ليس من منطلق السياسة، ولكن من منطلق أسمى الدوافع. هذا هو بالضبط موقفي. ليس اللا عنف أمرًا يسهل فهمه، ولا تزال ممارسته أقل، بقدر ضعفنا. يجب أن نسلك جميعًا بورع وتواضع ونطلب من الله باستمرار أن يفتح أعين أفهامنا، وأن نكون مستعدين دائمًا للتصرف وفقًا للنور الذي نتلقاه. لذا فإن مهمتي اليوم كمحب للسلام ومُروِّج له، تتكون من تكريس ثابت للا عنف ونحن نتابع حملتنا لاستعادة حريتنا. إذا نجحت الهند في استعادتها، سيكون ذلك أعظم مساهمة في سلام العالم وبالتالي، قد يصوغ مقاومو الحرب الأوروبيون رأيًا عامًّا في أوروبا يجبر بريطانيا على الرجوع عن خطواتها ووقف الاستيلاء المستمر على الهند.

من جريدة Young India ٧-٢-١٩٢٩

السيف مقابل الروح:

أرسل أحد الأصدقاء المقتطف التالي المثير من عدد قديم لمجلة My Magazine:

«لم يربح أي من الغزاة من الحروب أكثر من نابليون، إمبراطور الفرنسيين، الذي بدأ كملازم كورسيكي[٤٣] فقير وبعد فترة وجيزة سيطر على أوروبا وغيَّر الحدود وأزعج العروش. مع ذلك، عرف

(٤٣) كورسيكا: جزيرة تقع في البحر المتوسط تابعة لفرنسا.

نابليون أنه من الحماقة الاعتماد على القوة. لقد قال العبارة الآتية ليس بعد هزيمته ونفيه، ولكن بينما بدا في ذروة نجاحه: «هناك فقط قوتان في العالم، هاتان القوتان هما الروح والسيف. سيتغلب الروح على السيف على المدى الطويل».

لكن ربما نسأل لماذا استمر نابليون في شن الحرب، مادام قد أدرك بوضوح عدم جدوى الحرب؟ لماذا استخدم السيف حتى انتُزع من يده في واترلو؟ يعود السبب جزئيًّا، إلى أن نابليون، مثله مثل بقيتنا، لم يكن قادرًا دائمًا على ممارسة ما وعظ به، ولكن جزئيًّا لأن الملوك والأباطرة الآخرين لم يتركوه وشأنه. لم يكونوا حكماءً مثله. عندما دعا إلى السلام لم يصدقوا أنه كان صادقًا. لقد وجه إلى إمبراطور النمسا بعد معركة شرسة هذا النداء الشخصي:

«قُتل الآلاف من الفرنسيين والنمساويين. إن احتمالية استمرار مثل هذه الفظائع تحزنني بشدة حتى أنني أناشدك بحرارة... إنني أناشد جلالتك وسط حزن وأنا محاط بـ ١٥٠٠٠ جثة. أشعر بأنني ملزم بتوجيه تحذير عاجل إليك. أنت بعيد عن المشهد، ولا يمكن أن يُستثار قلبك بشدة مثلي وأنا في موقع الحدث.

لنمنح جيلنا السلام والهدوء. إذا كان البشر في الأيام الأخيرة حمقى لدرجة أنهم يُقبلون على القتال، فسوف يتعلمون الحكمة بعد بضع سنوات من القتال وسيعيشون بعد ذلك في سلام مع بعضهم البعض».

ليت الهند، التي ساهمت من خلال برلمانها بسياسة اللا عنف، أن تلتزم به وتبرهن لعالم يئن تحت لعنة السيف أن الروح تنتصر عليه في الشؤون الوطنية، كما اتضح في أي وقت مضى ظاهرًا أنه انتصر في الشؤون الفردية.

من جريدة Young India ١٤-٢-١٩٢٩م

مشكلة معقدة:

لم أستطع أن أتناول المسألة التي طرحها القس بارت دي ليخت في رسالته المفتوحة إليَّ فيما يتعلق بموقفي تجاه الحرب إلا باستحياء(٤٤). البقاء صامتًا مع خطر سوء الفهم هو وسيلة سهلة للخروج من الوضع الصعب الذي أجد نفسي فيه. القول بأنني ارتكبت خطئًا في المشاركة في الحرب، عند السؤال، سيكون أسهل. لكن سيكون من غير الملائم ألا أجيب على الأسئلة المطروحة بطريقة ودية وعليَّ ألا أتظاهر بالندم عندما لا أشعر به. لا يعود قلقي من تجنب مناقشة السؤال إلى نقص الاقتناع، لكنه ينبع من الخوف من أنني قد لا أكون قادرًا على توضيح المعنى، وبالتالي قد يخلق انطباعًا لا أرغب فيه عن موقفي تجاه الحرب. غالبًا ما أجد اللغة وسيلة ضعيفة للتعبير عن بعض مشاعري الأساسية.

لذلك أود أن أحث السيد ب. دي ليجت وزملائي الآخرين المناهضين للحرب على ألا يهتموا بحجتي الخاطئة أو غير المكتملة

(٤٤) انظر مقالة «موقفي تجاه الحرب».

وألا يهتمون بمشاركتي في الحرب والتي قد تجعلهم لا يُوفقّون بينها وبين تصريحاتي عن الحرب. دعهم يفهمون أني أعارض كل الحروب بلا هوادة. إذا لم يتمكنوا من تقدير حجتي، دعهم ينسبون مشاركتي إلى ضعف غير مقصود نظرًا لأنني سأشعر بالأسف الشديد لاكتشاف أن فعلي هذا استخدمه أي شخص لتبرير الحرب في ظل ظروف معينة.

مع أنني قلت هذا كثيرًا، يجب أن ألتزم بالموقف الذي تناولته المقالة، وهو موضوع بحث رسالة السيد ب. دي ليجت. دع مناهضي الحرب الأوروبيين يقدرون قيمة فارق واحد حيوي بينهم وبيني. إنهم لا يمثلون الدول المُستغَلة. أنا أمثل الدولة الأكثر تعرضًا للاستغلال على وجه الأرض. إذا استخدمت مقارنة قاسية؛ هم يمثلون القطة وأنا أمثل الفأر. هل يمتلك الفأر حتى إمكانية الشعور باللا عنف؟ أليس احتياجًا أساسيًّا له أن يناضل لتقديم عنف ناجح قبل أن يتم تعليمه بتقدير فضيلة ونبل وسيادة قانون اللا عنف (الأهيمسا) في ميدان الحرب؟ هل من الضروري بالنسبة لي، كممثل لقبيلة الفأر، أن أشارك برغبتي الأساسية في إحداث الدمار حتى لغرض تعليمه بسمو عدم التدمير؟

هنا ينتهي التشبيه بين القط والفأر. الفأر ليست لديه القدرة بداخله على تغيير طبيعته. ربما يكون لدى الإنسان، مهما كان مذلولًا أو ساقطًا، القدرة على الارتقاء إلى أعلى ارتفاع يصل إليه أي إنسان بصرف النظر

عن العرق أو اللون. لذلك، حتى عندما أقطع مع أبناء بلدي شوطًا طويلًا في تلبية احتياجاتهم للاستعداد للحرب، يجب أن أفعل ذلك، وكلي أمل في أن أفطمهم عن الحرب وأن يروا يومًا ما عقمها المطلق. دعنا نتذكر أن أكبر تجربة عرفها التاريخ في مجال اللا عنف الجماعي تجري تجربتها من قِبلي حتى إن بدوت كأني أهب نفسي من أجل الحرب. قد تفشل التجربة بسبب الافتقار إلى المهارة. لكن يجب على المناهض للحرب في أوروبا أن يبذل كل جهده لفهم وتقدير الظاهرة التي حدثت قبله في الهند للرجل نفسه الذي يحاول إجراء تلك التجربة الجريئة في اللا عنف بينما يقيم مع أولئك الذين يستعدون للحرب.

إنه جزء من خطة اللا عنف؛ أن أشارك مشاعر أبناء بلدي إذا كنت أتوقع أن أجلبهم إلى اللا عنف. الحقيقة المذهلة هي أن الهند، بما فيها من سياسيين متعلمين، شاءت أم أبت، تُساق إلى الاعتقاد بأن اللا عنف وحده سيحرر الجماهير من عبودية القرون. صحيح أن الجميع لم يتّبعوا النتائج المنطقية للا عنف، ولكن مَن يستطيع؟ على الرغم من فخري بأنني أعرف حقيقة اللا عنف وأبذل قصارى جهدي لممارسته، إلا أنني أخفق في كثير من الأحيان في اتباع الاستنتاجات المنطقية للعقيدة. إن طبيعة العمليات المتعلقة بجوهر الأشياء في قلب الإنسان هي أمر غامضٌ ويصعب تفسيره.

أعلم أنه إذا وصلت الهند إلى مبتغاها من خلال وسائل غير عنيفة، فلن ترغب الهند أبدًا في تكوين أي جيش ضخم وقوة بحرية

كبيرة مماثلة وقوة جوية أكبر. إذا سما وعيها الذاتي إلى الذروة اللازمة لمنحها انتصارًا غير عنيف في كفاحها من أجل الحرية، ستتغير القيم العالمية وستصبح معظم مظاهر الحرب غير مجدية. قد يكون مثل هذه الهند مجرد حلم، حماقة صبيانية. لكن هذا، في رأيي، هو بلا شك المعنى الضمني لتحرر الهند من خلال اللا عنف.

عندما تأتي هذه الحرية -إذا حدث ذلك- فإنها ستكون قد جاءت من خلال وفاق مهذب مع بريطانيا العظمى. لكن بعد ذلك لن تكون بريطانيا الإمبريالية المتعجرفة المناورة من أجل السيادة العالمية، ولكن بريطانيا التي تحاول بكل تواضع خدمة الغاية المشتركة للإنسانية. لن تكون الهند بعد الآن مدفوعة بلا حول ولا قوة إلى حروب الاستغلال البريطانية، بل سيكون صوتها هو صوت أمة قوية تسعى إلى كبح جميع القوى العنيفة في العالم.

سواء تحققت كل هذه الأفكار الخيالية أم لا، فإن مسار حياتي قد تشكل. لم يعد بإمكاني، تحت أي ظرف يمكن تصوره، أن أشارك في حروب بريطانيا. سبق وأن ذكرت في هذه الصفحات أنه إذا حصلت الهند على (ما يسمى بالنسبة لي) الحرية بوسائل عنيفة، فلن تكون البلد التي أفخر بها، سيكون ذلك الوقت بالنسبة لي هو الوقت الذي أتخلى فيه عن كوني مواطنًا للهند. لذلك، لا يمكن أن يكون هناك أي سؤال حول مشاركتي، بشكل مباشر أو غير مباشر، في أي حرب استغلال من قبل الهند.

لكنني أشرت بالفعل في هذه الصفحات إلى أن زملائي من مناهضي الحرب في الغرب يشاركون في الحرب حتى في أوقات السلم بقدر ما يدفعون ثمن الاستعدادات التي يتم إجراؤها من أجل ذلك وبصورة أخرى يؤيدون الحكومات التي يتمثل عملها الرئيس في ذلك في مثل هذا التحضير. مرة أخرى، يتوجب أن يثبت كل نشاط لوقف الحرب عدم جدواه طالما أن أسباب الحرب غير مفهومة ولا يتم التعامل معها بشكل جذري. أليس السبب الرئيس للحروب الحديثة هو التسابق الوحشي لاستغلال ما يسمى بأعراق الأرض الأضعف؟

من جريدة Young India ٩-٥-١٩٢٩م

اختيارنا:

أرسل إليَّ مراسل أمريكي صفحة من عدد قديم من مجلة The World Tomorrow (أغسطس ١٩٢٨). تتضمن مقالًا رائعًا عن «السلامية والأمن القومي» بقلم جون نيفين ساير[٤٥]، وهو مقال جدير بأن يطَّلع عليه كل وطني. توضح الفقرات الافتتاحية التالية إلى أي طريق سيقودنا فيه الكاتب:

«تطلب السلامية من الناس، أولًا وقبل كل شيء، التفكير فيما إذا كان التسلح القومي يمكن أن يؤدي حقًّا إلى الأمن في حضارة تستخدم أدوات علوم القرن العشرين. بغض النظر عما قد يقال عن الدفاع بالتسلح في الماضي، نعتقد أنها طريقة قد عفا عليها الزمن

(٤٥) جون نيفين ساير هو كاهن أسقفي أمريكي (١٨٨٤ - ١٩٧٧م) وناشط للسلام وكاتب.

تمامًا وخطيرة للغاية لتحقيق الأمن الآن. في العالم الذي نعيش فيه، وفي العقود التي تتقدمنا مباشرة، سنكون معرضين للاعتراض المزدوج المتمثل في (١) التكلفة المتزايدة و(٢) تقليل فعالية الدفاع.

عبر أربعين عامًا، أي في عمر العديد من قرائي، زادت الولايات المتحدة الإنفاق السنوي لقواتها البحرية من ١٥ مليون إلى ٣١٨ مليون دولار. أقرَّت الجلسة الأخيرة للكونجرس الاعتمادات التي تعني أنه في كل مرة تمر فيها عقارب الساعة لمدة أربع وعشرين ساعة، تنفق الولايات المتحدة ٢,٠٠٠,٠٠٠ دولار لحفظ الجيش والبحرية. هناك مقال رئيس في صحيفة نيويورك تايمز، نُشر في مارس ١٩٢٧، بعنوان «الحرب؛ أعظم صناعة للإنسان». أكد الكاتب أن «الاستعداد للحرب يشكل في الواقع أعظم صناعة في العالم».

هناك أيضًا تكلفة بشرية متزايدة لا يمكن قياسها بالدولار. يجب أن يتولى البشر العناية بآلات الحرب. يجب أن يتم تصنيع ذخائر الحرب من قبل البشر، وثمة اتجاه نحو زيادة تدريجية لتجييش الصناعة وتجنيد مجموعات سكانية كاملة لصالح الخدمة الحربية. في الماضي كانت الحروب تُخاض من قِبل الجيوش المحترفة التي كانت تشكل جزءًا صغيرًا نسبيًّا من أي شعب، بينما يخطط الاستراتيجيون العسكريون اليوم في أن يجندوا نشاط القوة البشرية الكاملة للأمة. يمنح القانون الفرنسي المقترح الدولة سلطة تجنيد النساء أيضًا. إن التدريب العسكري الإجباري في وقت السلم، واجتياح المدارس والكليات من

قبل الإدارات العسكرية التي تديرها وزارة الحربية، تتطلب الاستيلاء على فترة دراسة الشباب وتميل إلى حشد تفكيرهم. إن إدارة البريد والصحف والراديو والأفلام والفنانون ورجال العلم معرضون لخطر الانجذاب إلى تقديم دعمهم لبنيان ميكنة التأهب للحرب. كل هذا يعني تكلفة متزايدة على حرية الإنسان وحرية الفكر والرأي وإمكانية التقدم الاجتماعي. يجب أن يتم التفكير فيها مليًّا عند تقدير السعر الذي يجب دفعه مقابل وضع برنامج أمان «مناسب». للاستعداد المسلح تكلفة باهظة في الوقت الحاضر وستتزايد في المستقبل.

الأسوأ من ذلك هو حقيقة أن زيادة الإنفاق على الأسلحة لا تؤدي إلى زيادة شراء الأمن في العالم الحديث. قد تفعل ذلك ربما لعدة سنوات، لكن السياسة تخضع لقانون تناقص العوائد وتقود مباشرة نحو ذروة الكارثة. لفت السيناتور بورا[٤٦] الانتباه في حديثه مؤخرًا عن «ما هو التأهب للحرب؟»، إلى الديون العامة الضخمة والزيادة المستمرة في الأعباء الضريبية التي تضعها الحكومات على شعوبها في جميع أنحاء العالم. وقال: «الأشياء التي سيتعين على الحكومات التعامل معها في المستقبل هي الضائقة الاقتصادية والاضطرابات السياسية لشعوبها». إنه يحذرنا من أن برنامج التسلح الضخم «سيؤدي إلى المشاكل». سوف يوسع الصدع بين المواطن وحكومته. سوف

(٤٦) ويليام إدغار بورا (١٨٦٥- ١٩٤٠م): كان سيناتور جمهوري في الولايات المتحدة الأمريكية، وأحد أشهر الشخصيات في ولاية ايداهو.

يثبط عزيمة ويُغضب أولئك الذين لديهم بالفعل أكثر مما يستطيعون تحمله. لن يكون ذلك تأهبًا للحرب؛ لأن ما يبرز الضائقة الاقتصادية هو عدم التأهب».

الموضة في الوقت الحاضر هي افتراض أن كل ما تفعله أمريكا وإنجلترا هو جيد تمامًا بالنسبة لنا. لكن الأرقام التي عرضها الكاتب عن تكلفة التسليح في أمريكا، رهيبة للغاية بحيث لا يمكن تصورها. لقد أصبحتْ الحرب مسألة مال ودهاء في اختراع أسلحة الدمار. لم تعد مسألة شجاعة شخصية أو قدرة على الاحتمال. لا يتطلب تدمير الرجال والنساء والأطفال سوى أن أضغط على زر وألقي بالسم عليهم في ثانية.

هل نرغب في تبني هذه الطريقة للدفاع عن أنفسنا؟ حتى لو فعلنا ذلك، هل لدينا القدرة المالية؟ إننا نشكو من الإنفاق العسكري المتزايد باستمرار. لكن إذا قمنا بمحاكاة أمريكا أو إنجلترا، سنضطر إلى زيادة العبء عشرة أضعاف.

يسأل الناقد: «لِمَ لا، إذا كان الشيء يستحق القيام به؟»، السؤال إذَنْ هو: «هل يستحق ذلك؟» يجيب السيد ساير بشكل قاطع ويقول: «لا يستحق ذلك القيام به من قِبل أي دولة». ليس لديَّ ما أقوله عما يُسمَّى ببرنامجنا البحري أو العسكري الذي تصمم عليه الحكومة. لا يمكن للأمة أن تستمر على طريق اللا عنف من خلال العنف. يجب أن ينمو ذلك من الداخل إلى الحالة المنشودة. لذلك ، فإن السؤال

الذي يجب أن نفكر فيه هو: ما هو طموحنا الحالي؟ هل نريد أولًا محاكاة الأمم الغربية ثم في المستقبل الغامض والبعيد، بعد أن مررنا بالعذاب، نتراجع عن خطواتنا؟ أم أننا نريد أن ننطلق في طريق أصيل، أو بالأحرى نحتفظ -بما هو بالنسبة لي- طريقنا الذي يغلب عليه الطابع السلمي، ومن ثم ننتصر ونؤكد حريتنا؟

الأمر هنا لا يتضمن مساومة على الجبن. إما أن ندرب ونسلح أنفسنا من أجل التدمير، سواء كان ذلك دفاعًا عن النفس أو في عملية التدرب على المعاناة أيضًا، أو نعد أنفسنا فقط للمعاناة من أجل الدفاع عن الوطن أو تحريره من الهيمنة. في كلتا الحالتين لا غنى عن الشجاعة. في الحالة الأولى، الشجاعة الشخصية ليست بهذه الأهمية كما هو الحال في الثانية. في الحالة الثانية أيضًا، ربما لن نتمكن أبدًا من القيلم بها مع الاستغناء عن العنف تمامًا. لكن بعد ذلك سيكون العنف خاضعًا للا عنف وسيظل دائمًا عاملًا متناقصًا في الحياة الوطنية.

في الوقت الحالي، على الرغم من أن العقيدة الوطنية هي عقيدة اللا عنف، في الفكر والكلام على الأقل، يبدو أننا ننجرف نحو العنف. يعم نفاد الصبر على الأجواء. نحن ممسكون عن العنف من خلال ضعفنا. المطلوب هو التخلي عمدًا عن العنف بدافع القوة. لتكون قادرًا على القيام بذلك، يتطلب الأمر خيالًا مقترنًا بدراسة ثاقبة لانجراف العالم. اليوم يعمي البريق الظاهري للغرب أبصارنا ونسيء فهم تلك الرقصة الهوجاء التي تستأثر بانتباهنا من يوم لآخر. إننا

نرفض أن نرى أن هذا يقودنا بالتأكيد إلى الموت. قبل كل شيء يجب أن ندرك أن التنافس مع الدول الغربية بشروطها هو محاولة للانتحار. بينما علينا أن ندرك أنه بالرغم من التفوق الظاهر للعنف باعتباره القوة الأخلاقية التي تحكم الكون، علينا أن نتدرب على اللا عنف بأقصى إيمان بإمكانياته اللا محدودة. يدرك الجميع أنه إذا تم الحفاظ على جو غير عنيف في عام ١٩٢٢ [٤٧]، لكان بإمكاننا تحقيق هدفنا تمامًا. على الرغم من ذلك، فقد كان لدينا إثبات مدهش على فعالية اللا عنف -رغم أنه كان فجًّا- ولم نفقد أبدًا جوهر الاستقلال الذي جنيناه. لقد ولى الخوف العاجز الذي استولى على الأمة إلى الأبد قبل ظهور الساتياجراها. لذلك أعتقد أن اللا عنف هي مسألة تدريب صبور. إذا أردنا أن نخلص ونقدم مساهمة ضرورية في تقدم العالم، يجب أن يكون إسهامنا بشكل مؤكد وسائد في طريق السلام.

من جريدة Young India ٢٢-٧-١٩٢٩م

صعوبة الممارسة:

يجب على القارئ أن يقرأ رسالة القس بارت دي ليخت المطبوعة في مكان آخر (الملحق)[٤٨]. أرحب بالرسالة بصفتي زميلًا ساعيًا في مجال الأهيمسا. يحق للرسالة النظر إليها باحترام. تؤدي مثل هذه المناقشة الودية إلى فهم أوضح لإمكانيات وقيود اللا عنف.

---

(٤٧) راجع الحاشية رقم ٢٩

(٤٨) راجع مقالة (موقفي من الحرب).

على الرغم من بذل أقصى جهد للانفصال، لا يمكن لأي إنسان أن يبطل تأثير بيئته أو تربيته تمامًا. لن يتخذ اللا عنف -من قبل شخصين يشغلان مناصب مختلفة- نفس الشكل ظاهريًّا. من ثمَّ فإن لا عنف الطفل تجاه أبيه يأخذ شكل الخضوع الواعي والطوعي لعنفه عندما يفقد أعصابه. لكن إذا فقد الطفل أعصابه، فإن خضوع الأب لعنف الطفل سيكون بلا معنى. سيأخذ الأب الطفل إلى حضنه ويطهر على الفور عنف الطفل.

في كل حالة، من المفترض بالطبع أن الفعل الخارجي هو تعبير عن النية الداخلية. مَن ينتقم في قلبه، وهو يخضع للعنف بدافع السياسة، ليس غير عنيف حقًّا، وقد يكون حتى منافقًا إذا كان يخفي نيته. يجب أيضًا أن نتذكر أن اللا عنف لا يظهر على المشهد إلا عندما يتصل مع العنف. إن الشخص الذي يمتنع عن العنف عندما لا تكون هناك مناسبة لممارسته هو ببساطة غير عنيف وليس له فخر في عدم ارتكابه للعنف.

يتوقف وضع السيادة[٤٩] على أن يكون عاملًا. إن النقاط التي أثيرت الآن من هذا الحدث التخيلي، لا تحتاج إلى مناقشة، إلا أن نقول بأن بهجة الهند ذات الوضع السيادي، يجب أن تعني «الهند»،

(٤٩) **Dominion status**: كان مصطلحًا دستوريًّا يدل على دول الكومونولث، التي شملت كندا وأستراليا ونيوزيلندا ونيوفوندلاند وجنوب أفريقيا ودولة إيرلندا الحرة. كانت الهند وباكستان وسيلان ونيجيريا وكينيا والمستعمرات السابقة الأخرى هي أيضًا مناطق سيطرة لفترات قصيرة من الزمن. اعترف وعد بلفور لعام ١٩٢٦ بالـ **Dominions** على أنها «مجتمعات مستقلة داخل الإمبراطورية البريطانية» وأكد قانون وستمنستر ١٩٣١م استقلالها التشريعي الكامل.

عندئذ تصبح شريكًا على قدم المساواة، بدلًا من أن يتم حكمها من خلاله، تهيمن عليها السياسة الأجنبية لبريطانيا العظيمة.

لا يجب أن تؤخذ موافقتي العامة والحماسية على تقرير نهرو[٥٠] على أنها تعني الموافقة على كل كلمة فيه. لا تتطلب موافقتي تعزيز البرنامج البناء للحكم المستقبلي للهند الحرة. لن يمنعني لا عنفي من محاربة أبناء بلدي حول العديد من المسائل التي يجب أن تثار عندما تصبح الهند حرة. مجرد مناقشة أكاديمية يمكنها أن تعيق التقدم الحالي للا عنف. مع ذلك أعلم أنه إذا نجوت في النضال من أجل الحرية، قد أضطر إلى منح معركة لا عنفية لرجال بلدي، والتي ربما تكون عسيرة مثل تلك التي أشارك فيها الآن. لكن المخططات العسكرية التي يتدارس فيها الآن القادة الهنود العظماء، من المرجح أن تظهر حتى بالنسبة لهم على أنها غير ضرورية على الإطلاق، على افتراض أننا نجحنا في تلك التي تخصنا بشكل واضح من خلال وسائل لا عنفية، تم اختيارها واستخدامها عن عمد.

إن تعاوني مع أبناء بلدي اليوم يقتصر على كسر أغلالنا. كيف نشعر وماذا علينا أن نفعله بعد كسرها هو أكثر مما نعرفه أو أعرفه.

من غير المجدي التكهن لو كان تولستوي في مكاني، سيتصرف بشكل مختلف عني. يكفي بالنسبة لي أن أؤكد لأصدقائي في أوروبا

(٥٠) كان تقرير نهرو الصادر في ٢٨ أغسطس ١٩٢٨م بمثابة مذكرة للمطالبة بوضع سيادة جديد وتشكيل حكومة اتحادية لدستور الهند.

أنه لم يصدر مني ولا فعل واحد أذنبت فيه عامدًا، مؤيدًا للعنف أو مساومًا لعقيدتي. حتى التأييد الظاهر للعمل العنيف من خلال مشاركتي إلى جانب بريطانيا في حرب البوير وثورة الزولو كانا بمثابة اعتراف لصالح اللا عنف في وضع لا مفر منه. مع ذلك من الممكن تمامًا أن تكون المشاركة بسبب ضعفي أو جهلي بعمل القانون العالمي للا عنف. لم يكن لديَّ فقط أي اقتناع في ذلك الوقت ولا حتى الآن، بهذا الضعف أو الجهل.

يفضل الشخص المناصر للا عنف بشكل غريزي المشاركة المباشرة على غير المباشرة، في نظام يقوم على العنف وعليه أن ينتمي إليه دون أن يترك له أي خيار آخر. إنني أنتمي إلى عالم يقوم جزئيًّا على العنف. إذا لم يكن لديَّ خيار سوى دفع أموال لجيش من الجنود لقتل جيراني أو أن أكون جنديًّا بنفسي، فسأجند، كما يجب، بما يتوافق مع عقيدتي، على أمل السيطرة على قوى العنف أو حتى تحقيق هداية رفاقي.

إن الاستقلال الوطني ليس خيالًا. إنه ضروري مثل الاستقلال الفردي. ولكن لا يمكن لأي منهما، إذا كان قائمًا على اللا عنف، أن يشكل تهديدًا للاستقلال العادل للأمة أو الفرد، كما هو الأمر في الواقع. كما هو الحال مع الاستقلال الفردي والوطني، كذلك مع الاستقلال الدولي. والمبدأ القانوني أخلاقي أيضًا: استفد بما لديك

حتى لا تؤذي الآخرين[٥١]. لقد قيل إن الكون منضغط في الذرة. لا يوجد قانون للذرة وآخر للكون.

من جريدة Young India ٣٠-١-١٩٣٠

أعظم قوة:

اللا عنف هو جذر كل نشاط من أنشطتي، لذلك هو جذر الأنشطة العامة الثلاثة التي أكثف الآن فيها كل طاقتي بشكل واضح. هذه الأنشطة الثلاثة هي النبذ وخادي[٥٢] وإحياء القرية بشكل عام. وحدة المسلمين والهندوس هي شغفي الرابع. لكن فيما يتعلق بأي مظهر مرئي، أواجه هزيمة في هذا الصدد. رغم ذلك دع العامة لا يفترضون من ذلك أنني خامل. أعلم أنه بعد موتي، إن لم يكن خلال حياتي، سيشهد كل من الهندوس والمسلمين أنني لم أتوقف أبدًا عن التوق إلى تحقيق السلام الشعبي.

إن أردنا أن يصير اللا عنف عقيدة، فعليه أن يسود. لا يمكنني أن أكون غير عنيف في نشاط واحد من أنشطتي وعنيفًا تجاه الأخرى. ستكون هذه سياسة وليست قوة حيوية. لما كان الأمر كذلك، لا يمكنني أن أكون غير مبالٍ بالحرب التي تشنها إيطاليا الآن ضد الحبشة. لكنني قاومت أكثر الدعوات إلحاحًا للتعبير عن رأيي وإعطاء الأولوية للبلد. غالبًا ما يكون قمع الذات ضروريًّا لمصلحة الحقيقة واللا عنف.

---

(٥١) كُتبت هذه الجملة باللاتينية.

(٥٢) قماش قطني خشن مصنوع في الهند.

لو كانت الهند قد استوعبت -كدولة- عقيدة اللا عنف، سواء كان بشكل جماعي أو وطني، لما ترددت في إعطاء زمام المبادرة. لكن على الرغم من أنني أحوز تأثيرًا لا ريب فيه على الملايين في هذا البلد، لكني أعلم القيود الجسيمة والواضحة للغاية لذلك التأثير. لدى الهند تقليد متواصل للا عنف منذ العصور الغابرة، لكن لم يكن لديها في أي عصر في تاريخها القديم، على حد علمي، لا عنف يعمل بشكل كامل، ينتشر في جميع أنحاء الأرض. مع ذلك، فإن إيماني الثابت هو أن قدرها هو إيصال رسالة اللا عنف للبشرية. قد يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تؤتي ثمارها. ولكن بقدر ما أستطيع الحكم، لن يسبقها أي بلد آخر في تحقيق تلك المهمة.

مهما كان الأمر، من المناسب التفكير في الآثار المترتبة على تلك القوة التي لا مثيل لها. منذ بضعة أيام طرح بعض الأصدقاء ثلاثة أسئلة محددة:

ما الذي يمكن أن تفعله الحبشة ذات التسليح الضعيف ضد إيطاليا[٥٣] المسلحة جيدًا، إذا تبنت اللا عنف؟

ما الذي يمكن أن تفعله إنجلترا، أعظم وأقوى عضو في عصبة الأمم، ضد إيطاليا العازمة على الغزو، إذا كانت (إنجلترا) غير عنيفة بالمعنى الذي تعنيه بالمصطلح؟

ما الذي يمكن للهند أن تفعله إذا أصبحت فجأة غير عنيفة بالمعنى الذي تعنيه بهذا المصطلح؟

---

(٥٣) الحرب الإيطالية الإثيوبية، حربٌ استعمارية امتدت من أكتوبر ١٩٣٥م إلى فبراير ١٩٣٧م.

قبل أن أجيب على الأسئلة، دعوني أطرح خمس مسلمات بسيطة للا عنف كما أعرفها:

(أ) يتضمن اللا عنف تنقية ذاتية كاملة بقدر الإمكان البشري.

(ب) بالنسبة للإنسان فإن قوة اللا عنف تتناسب تمامًا مع قدرة -وليس إرادة- الشخص اللا عنفي على ممارسة العنف.

(ج) يتفوق اللا عنف بلا أي استثناء على العنف، أي أن القوة التي تحت تصرف الشخص غير العنيف تكون دائمًا أكبر مما لو كانت عليه في حالة لو كان عنيفًا.

(د) لا يوجد شيء اسمه الهزيمة في اللا عنف. نهاية العنف هزيمة أكيدة.

(هـ) النهاية النهائية للا عنف هي النصر الأكيد، لو جاز لنا استخدام هذا المصطلح مع اللا عنف. في الواقع، حيث لا يوجد إحساس بالهزيمة، لا يوجد شعور بالنصر.

يمكن الإجابة على الأسئلة السابقة في ضوء هذه المسلمات.

١. لو كانت الحبشة غير عنيفة، لما امتلكت جيوشًا ولما أرادتها مطلقًا. لم تكن لتوجه أي نداء إلى عصبة الأمم أو أي قوة أخرى للتدخل المسلح. لم تكن لتقدم أي سبب للشكوى. لن تجد إيطاليا شيئًا لتقهره إذا لم يُبْدِ الأحباش مقاومة مسلحة ولم يتعاونوا بإرادتهم أو قسريًّا. يعني الاحتلال الإيطالي في هذه الحالة احتلال الأرض

من دون شعبها. على أن هذا ليس هو هدف إيطاليا بالضبط. إنها تسعى إلى إخضاع أهل تلك الأرض الجميلة.

٢- إذا أصبح الإنجليز، كأمة، غير عنيفين بقلبهم، فإنهم سيتخلون عن الامبريالية ، وسيتخلون عن استخدام السلاح. إن القوة الأخلاقية الناتجة من مثل فعل التنازل هذا، ستدفع إيطاليا إلى التنازل عن إرادتها لمخططاتها. ستكون إنجلترا عندئذٍ تجسيدًا حيًّا للمسلمات التي طرحتها. إن تأثير مثل هذا التحول يعني أعظم معجزة في كل العصور. ومع ذلك، إذا لم يكن اللا عنف حلمًا لا معنى له، ففي يوم ما سيتحقق في مكان ما. أنا أعيش هذا الإيمان.

٣- يمكنني أن أجيب على السؤال الأخير كالتالي: كما قلت، الهند كدولة ليست غير عنيفة بالمعنى الكامل للمصطلح، كما أنها لا تملك أي قدرة على تقديم العنف؛ ليس لأنها لا تملك أسلحة. إن الحيازة المادية للأسلحة هي أقل ضرورة للشجعان. هذا النوع من اللا عنف هو لا عنف الضعفاء إنها تظهر أمام العالم اليوم كأمة ضعيفة، لا أقصد هنا بالمعنى السياسي المجرد ولكن بشكل أساسي بالمعنى اللا عنفي الأخلاقي. تنقصها القدرة على إظهار المقاومة الجسدية. ليس لديها وعي بالقوة. إنها لا تدرك إلا ضعفها. لو كانت على خلاف ذلك، فلن تكون هناك مشاكل مجتمعية ولا سياسية. إذا كانت غير عنيفة وتعي قوتها في الآن ذاته، فإن

الإنجليز سيفقدون دورهم كغزاة مرتابين. قد نتحدث سياسيًّا كما نحب، وغالبًا ما نلوم الحكام البريطانيين من الناحية التشريعية. إذا كان بإمكاننا، كهنود، أن نتصور أنفسنا ولو للحظة، أناسًا أقوياء، نترفع عن الهجوم، يجب أن نتوقف عن الخوف من الإنجليز سواء كجنود أو تجار أو إداريين، وسيكون عليهم ان يرتابوا منا. لذلك إذا أصبحنا غير عنيفين حقًّا، يجب أن نسوق الإنجليز معنا في كل ما يمكننا القيام به. بعبارة أخرى، لكوننا ملايين سنكون أعظم قوة أخلاقية في العالم، وستستمع إيطاليا إلى كلمتنا الودودة.

آمل أن يكون القارئ قد أدرك الآن أن حجتي ليست سوى محاولة ضعيفة وخرقاء لإثبات أن مسلماتي هي بديهيات لا تحتاج إلى إثبات.

ظل عقلي يسبح وأنا أقرأ وأعيد قراءة المسلمات الاثنتي عشرة لإقليدس، حتى انفتحت عيني على فهم الهندسة. بعد أن حدث ذلك، بدت الهندسة لي أسهل علم يمكن تعلمه. كذلك هو الحال مع اللا عنف، بل وأكثر. إنها مسألة إيمان وخبرة، وليست مسألة برهان. طالما أن العالم يرفض التصديق، يجب أن تنتظر معجزة إذَنْ، أي برهنة عينية على اللا عنف على نطاق واسع. يقولون إن هذا مخالف للطبيعة البشرية. اللا عنف هو للفرد فقط. إذا كان الأمر كذلك، فما هو الاختلاف بين الإنسان والبهيمة؟

من جريدة هاريجان ١٢-١٠-١٩٣٥

قانون وجودنا:

خصصت صحيفة «Statesman»[٥٤] مقالًا يجادل الحجة التي قدمتها ردًّا على انتقاداتها للقس شيبارد[٥٥] في مقالة «حرب ضد حرب». قدمت تلك المقالة محاولة ذكية للغاية للطعن في الموقف الذي اتخذته بالكامل.

يقول الكاتب إنه بالرغم من أن البهاغافادجيتا تساعده، لكنها لا تساعد الإرهابي. بمجرد أن تعترف بشرعية استخدام القوة الجسدية، لأغراض أخرى غير منفعة الشخص الذي تستخدمها ضده، كما في حالة الجراح مع مريضه، لا يعود بإمكانك أن ترسم حدًّا فاصلًا. تصف الجيتا، وهي فصل صغير من المهابهاراتا[٥٦]، مذبحة ليلية للأبرياء تفاصيل مروعة والتي ستُعتبر، بالنسبة لتجاربنا الأخيرة في حربنا الحضارية، غير قابلة للتصديق في الممارسة الفعلية. الحقيقة المروعة هي أن الإرهابيين -بأمانة مطلقة وجدية وقدرة على الإقناع- استخدموا الجيتا، التي يحفظها بعضهم عن ظهر قلب، دفاعًا عن عقيدتهم وسياستهم. كل ما في الأمر هو أنهم ليست لديهم إجابة على تفسيري للجيتا، باستثناء القول بأنني مخطئ وأن تفسيرهم صحيح.

---

(٥٤) صحيفة يومية هندية تكتب باللغة الإنجليزية تأسست عام ١٨٧٥.

(٥٥) كاهن إنجليزي إنجليكاني (١٨٨٠ - ١٩٣٧م) وكان داعية للسلام.

(٥٦) المهابهاراتا: واحدة من الملحمتين الرئيستين للهند القديمة، وهي تتكون من مائة ألف بيت شعري. الملحمة الأخرى هي رامايانا.

الزمن وحده سيظهر مَن هو على حق. الجيتا ليست أطروحة نظرية. إنها دليل حي، لكنه صامت، يجب على المرء أن يفهم اتجاهاته من خلال الكفاح الصبور.

يُشبِّه كاتب «Statesman» موقف القس شيبارد بموقف أرجونا[٥٧]. من المؤكد أن ذلك تشبيه خاطئ، تم تصويره على عجل. كان أرجونا القائد الأعلى لقوات باندافا. لقد أصبح مشلولًا فجأة عندما تأمل المشهد المروع أمامه. بصفة عامة، كان يعرف بالضبط ما يجب عليه فعله. كان يعلم أنه كان عليه أن يحارب أبناء عمومته. كان شلله بسبب ضعف لحظي. لم يكن بإمكانه أن يتخلى عن المهمة التي أمامه دون أن يخلق أكبر قدر من الفوضى والاضطراب، ويجلب العار على نفسه وأصدقائه وأتباعه الذين لا حصر لهم. كان ملزمًا بإشراك نفسه وأتباعه في المذبحة الرهيبة التي درَّب نفسه ودرَّبهم عليها. من غير المجدي تخمين ما كان سيحدث إذا كان اللا عنف في الفكر والكلام والفعل قد استحوذ عليه حقًّا فجأة.

دعونا نأمل أن يكون هذا الاستحواذ الثري قد بلغ إلى ديك شيبارد ورفاقه. على أي حال فإن منصبه، على حد علمي، مختلف تمامًا عن منصب أرجونا. إنه ليس جنرالًا في أي جيش تم تشكيله في مجموعة قتالية. إنه لا يميز بين ذوي القربى والآخرين. بالنسبة له، الإنسان هو

(٥٧) أرجونا هو أحد الإخوة الخمسة الذين هم أبطال ماهابهاراتا.

الإنسان، بغض النظر عن مكان ولادته، أو لون بشرته، أو تسميته لنفسه. بعد أن بحث بتقوى في الكتاب، الذي هو بالنسبة له كتاب الحياة، توصل إلى استنتاج مفاده أنه قد لا يؤذي رفقاءَهُ من أجل الكسب، لنفسه أو لبلده، وبالتالي يجب عليه الامتناع عن المشاركة في الحرب بشكل مباشر أو غير مباشر. إنه بطبيعة الحال يتخذ الخطوة التالية في تبشير جيرانه بعقيدة السلام أو الحب والنية الحسنة تجاه الناس دون استثناء. هذا هو الموقف الذي لم يتخذه أرجونا أبدًا.

لكن كاتب «Statesman» لديه الكثير من القدرات الأخرى؛ أقواها هي إنكاره للا عنف أو الحب باعتباره قانون الجنس البشري. إذا لم يكن الحب أو اللا عنف هو قانون كياننا، فإن حجتي بأكملها تنهار ولا مفر من تكرار الحرب بشكل دوري، كل حرب تفوق السابقة في الوحشية. لا يمكنني أن أتكفل بإثبات أن الحب هو مصدر الحياة وهدفها، على الأقل من خلال مقال صحفي مكتوب خلال لحظات انتزعتها من روتيني اليومي، لكنني أجرؤ على تقديم بعض الاقتراحات ذات الصلة، والتي قد تمهد الطريق لفهم القانون. لقد بشر جميع المعلمين الذين عاشوا بهذا القانون بدرجات تختلف في قوتها. إن لم يكن الحب هو قانون الحياة، لما استمرت الحياة وسط الموت. الحياة هي انتصار دائم على القبر. إذا كان هناك تمييز جوهري عقلي بين الإنسان والحيوان والبهيمة؛ فإنه الإدراك التدريجي الأول بالقانون، وتطبيقه عمليًّا على حياته الشخصية. كل قديسي العالم،

القدامى والمحدثين، كانوا بمثابة توضيح حي لقانون كياننا الأسمى؛ كلٌّ بحسب نوره وقدرته. حقيقية أن الجانب الوحشي فينا يحقق غالبًا انتصارًا سهلًا، واضحة بما فيه الكفاية. مع ذلك، لا يدحض ذلك القانون. إنه يُظهر صعوبة الممارسة. كيف يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك مع قانون يبلغ مستوى الحقيقة نفسها؟ عندما تصبح ممارسة القانون عالمية، سيسود الله على الأرض كما في السماء. لا أحتاج إلى التذكير بأن الأرض والسماء بداخلنا. نحن نعرف الأرض، كما أننا غرباء عن السماء التي بداخلنا. إذا كان من الممكن للبعض أن يمارسوا الحب، سيكون من العناد ألا نقبل حتى باحتمالية ممارسته من قِبل الآخرين بشكل تام. لسنا بعيدين تمامًا عن أسلافنا الذين انغمسوا في أكل لحوم البشر والعديد من الممارسات الأخرى التي نصفها اليوم بأنها بغيضة. لا شك أنه في تلك الأيام أيضًا كان هناك أمثال ديك شيبارد[٥٨]، ممن تم الاستهزاء بهم وربما السخرية منهم بسبب وعظه بالعقيدة الغريبة الخاصة برفض أكل البشر. العلم الحديث مليء بالرسوم التوضيحية لما يبدو أنه من المستحيل أن يصبح ممكنًا في الذاكرة الحية. لكن انتصارات العلوم الفيزيائية لن تكون شيئًا مقابل انتصار علم الحياة الذي يتلخص في أن الحب هو قانون كياننا. أعلم أنه لا يمكن إثبات ذلك بالحجة. يجب أن يُثبت

(٥٨) هيو ريتشارد لوري شيبارد سي إتش: كاهن إنجليكاني، وعميد كانتربري، وعالم مسيحي سلمي.

ذلك من قِبل الأشخاص الذين يعيشون حياتهم، مستخفين بالعواقب المترتبة على ذلك لأنفسهم. لا يوجد ربح حقيقي من دون تضحية. وبما أن إظهار قانون الحب هو المكسب الحقيقي، فإن التضحية أيضًا يجب أن تكون على أعلى مستوى.

لا تحتاج بقية الحجة التي قدمها كاتب «Statesman» لتفنيد حجتي إلى إجابة، إذا تم إدراك القانون. إن حجته صحيحة إذا تم إنكار القانون أو كان مشكوكًا فيه.

مع ذلك، يمكن التعامل مع نقطة واحدة بشكل عابر. يبدو أن الكاتب يستخف بفكرة الشرف المستمدة من المكاسب الفردية والوطنية. يقول: "ما هو الشرف لأمة دمرت نفسها طواعية؟" لا يوجد شك في أمر الإهلاك الذاتي، طواعية أو غير ذلك. لكن هناك "أمة تسمح لنفسها بالدمار" من أجل الحفاظ على شرفها، كما هو الحال، على سبيل المثال، إذا مات الهنود كرجال شجعان، دون أي تردد في تصميمهم على عدم الاستسلام لإرادة المضيف الغازي. تدافع المرأة عن شرفها وشرف جنسها عندما ترفض دون عنف إلى حد الموت عروض الفسوق. خاطر الشاب براهلاد بحياته دون عنف للدفاع عن شرفه، والذي تمثل في إصراره على إعلان إيمانه بالله. دافع يسوع عن كرامته وكرامة الإنسان عندما فضَّل الموت كمجرم على إنكار إيمانه.

من جريدة هاريجان ٢٦-٩-١٩٣٦

تعليم الهندوسية:

بالإشارة إلى مقالاتي الأخيرة حول حركة السلام الإنجليزية بقيادة الكاهن شيبارد، كتب أحد الأصدقاء:

«لديَّ وجهة نظر، بغض النظر عن سياق الجيتا والمحادثة الافتتاحية بين أرجونا وشري كريشنا، فإن الهندوسية لا تقف بشكل حاسم مع اللا عنف فيما يتعلق بالغزو المنظم. سيكون من الصعب جدًّا تفسير أفضل كتبنا المقدسة بهذه الطريقة. لا شك أن الهندوسية تحمل روح الرحمة والحب كأعلى واجب للإنسان، لكنها لا تبشر بما تبشر به أنت أو دعاة السلام، وليس من الجيد أن نلوي عنق كل قصة رمزية لهذا الغرض».

لقد صرَّحت في افتتاحيتي للجيتا المعروفة باسم **Anasakti Yoga** [٥٩] بأنها ليست أطروحة عن اللا عنف ولم تُكتب لإدانة الحرب. إن الهندوسية، كما تُمارس اليوم، أو حتى كما عُرف عن ممارستها في أي وقت مضى، لم تُدِن بالتأكيد الحرب كما أفعل. مع ذلك فإن ما فعلته هو وضع تفسير جديد، لكن طبيعي ومنطقي على كل تعليم الجيتا وروح الهندوسية. الهندوسية- ناهيك عن الديانات الأخرى- في تطور مستمر. ليس بها كتاب مقدس واحد مثل القرآن أو الكتاب المقدس، كما أن كتبها المقدسة تتطور أيضًا وتعاني من الإضافة. الجيتا نفسها مثال

(٥٩) هي فلسفة وطريقة حياة دعا إليها غاندي والتي تشجع بشكل أساسي على عدم الارتباط بأي شيء في العالم المادي. إنها ممارسة للتخلي عن أي ارتباط بنتائج أفعال الفرد.

على ذلك. لقد أعطت معنى جديد للـ karma [٦٠] وsannyasa[٦١] وyajna [٦٢]... وما إلى ذلك. لقد بثت حياة جديدة في الهندوسية. لقد منحت قاعدة أصيلة للسلوك. لا يعني ذلك أن ما قدَّمته الجيتا لم يكن مُتضمنًا في الكتابات السابقة، لكن الجيتا وضعت هذه التضمينات في شكل متماسك. لقد سعيت- في ضوء دراسة ورعة للديانات الأخرى في العالم، والأكثر من ذلك، في ضوء تجاربي الخاصة الخاصة بمحاولة عيش تعليم الهندوسية كما هو مفسر في الجيتا- إلى إعطاء معنى موسع، وليس ملتويًا أبدًا، للهندوسية، ليس كما هو مدفون في كتبها المقدسة الوافرة، ولكن كإيمان حي يتحدث مثل الأم إلى طفلها المتألم. ما فعلته تاريخي تمامًا. لقد اتَّبعت خطى أجدادنا. في وقت من الأوقات ضحوا بالحيوانات لاسترضاء الآلهة الغاضبة. توصل نسلهم- وهم ليسوا سوى أسلافنا غير البعيدين- إلى معنى مختلف لكلمة «تضحية» وقد علموا أن التضحية كان من المفترض أن تكون بأنفسنا الدنيئة، ليس لإرضاء الآلهة الغاضبة، بل الله الحي بداخلنا. إنني أتفهم أن الناتج المنطقي لتعليم الجيتا هو السلام بلا شك على

(٦٠) الكارما "Karma": كلمة سنسكريتية تعني العمل أو الفعل، وهي مفهوم أخلاقي في المعتقدات الهندوسية والبوذية، ويشير إلى مبدأ السببية حيث تؤثر النوايا والأفعال الفردية على مستقبل الفرد.

(٦١) Sannyasa: تعني حياة التخلي وهي المرحلة الرابعة داخل النظام الهندوسي المكون من أربع مراحل للحياة وهي تعتبر شكل من أشكال الزهد، يتميز بالتخلي عن الرغبات المادية.

(٦٢) Yajna(ياجنا): تعني الكلمة حرفيًا؛ التضحية، والتفاني، والعبادة، والقربان. وهي تشير في الهندوسية إلى أي شعائر يتم القيام بها أمام النار المقدسة.

حساب الحياة نفسها. إنه أعلى طموح للجنس البشري.

إن الماهابهاراتا والرامايانا، الكتابين اللذين يعرفهما ملايين الهندوس ويعتبرونهما مرشدين لهم- هما بلا شك حكايات رمزية، كما تُظهر الأدلة الداخلية. ولن يؤثر على افتراضي حقيقة تاريخية شخصياتهما من عدمها. تصف كل ملحمة النزاع الأبدي الذي يجري بين قوى الظلام والنور. على أي حال، يجب أن أنكر أي نية لي عنق معنى الهندوسية أو الجيتا لتناسب أي مفاهيم مسبقة لدي. كانت مفاهيمي نتيجة لدراسة الجيتا ورامايانا وماهابهاراتا والأوبانيشاد[٦٣].. إلخ.

من جريدة Harijan ٣-١٠-١٩٣٦

ألغاز الأهيمسا:

يكتب أستاذ جامعي وممثلان عن دفعة من خمسين طالبًا ما يلي:

«كما تعلم قطعًا، فإن كتاب Pearce and Aryatna's Models of Comparative Prose, المستخدم في معظم الكليات المتوسطة في الهند هذا العام، يحتوي مجموعة مختارة من حوالي خمس صفحات من كتابك «قصة تجاربي مع الحقيقة». سُمِّيت هذه المجموعة المختارة باسم «الأهيمسا»، وهي تتضمن مناقشتك لذلك المبدأ الأكثر تحديًا، وتطبيقه في حياتنا.

(٦٣) الأوبانيشاد: نصوص سنسكريتية قديمة للتعليم الروحي وأفكار الهندوسية. إنها من أقدم النصوص الهندوسية التي تعالج التأمل والمعرفة الروحية.

لقد قضينا- نحن الخمسين طالبًا في صف النثر الذي لديَّ وأنا، كمدرسهم- عدة فترات دراسية لدرس ومناقشة الموضوع ذلك الموضوع. كان موضوعًا مثمرًا ومحفزًا، بطبيعة الحال، لا سيما للطلاب الهنود المهتمين بصدق برفاهية بلادهم وتقدمها المستقبلي. لقد اتفقنا تمامًا مع عرضك للأهيمسا، وشعرنا بأننا مدفوعون إلى إدراج هذا المبدأ الصعب، والرائع في الآن ذاته، في حياتنا.

لكن، في مرحلة ما، لم نتمكن؛ أنا- كمدرس للطلاب- وهم، من فهم الطبيعة الدقيقة لآرائك بوضوح. أشير إلى تصريحك حول سلوك مُريد الأهيمسا في حالة الحرب، ولا سيما المقطع التالي: «عندما تتحارب دولتان، فإن واجب مريد الأهيمسا هو إيقاف الحرب. مَن هو يجد نفسه غير قادر على الالتزام بهذا الواجب، من ليست لديه قوة لمقاومة الحرب، مَن ليس كفؤًا لمقاومة الحرب، قد يشارك في الحرب ومع ذلك يحاول بكل إخلاص أن يُحرِّر نفسه وأمته والعالم من الحرب». بعد ذلك بقليل (تناقش ثلاث حلول ترى أنه القيام بها في حالة الحرب الأوروبية): «... أو يمكنني المشاركة في الحرب إلى جانب الإمبراطورية، وبالتالي أكتسب القدرة واللياقة البدنية لمقاومة عنف الحرب. كنت أفتقر إلى هذه القدرة واللياقة البدنية. لذلك اعتقدت أنه لا يوجد أمامي سوى المشاركة في الحرب».

سنكون ممتنين بشدة وتواضع، إذا تحدثت بالتفصيل عن ذلك وأوضحت هذا الموضوع وآرائك السابقة والحالية بشأنه؛ لأن طلاب

دفعتي يشعرون أنهم قد يضطرون قريبًا إلى تحديد الموقف الصحيح تجاه الصراع، وما إذا كان بإمكانهم تبني الأهيمسا والمشاركة في الحرب في الآن ذاته، لأي سبب من الأسباب، بما يتوافق مع ضميرهم، أم لا.

إنني على ثقة أنك ستجد أنه من المناسب أن تجيب عن ذلك، وتهدئ قلوب خمسين طالبًا متحمسًا ومعلمهم المهتم بالقدر ذاته».

لا أعلم ما إذا كنت بحاجة إلى إخفاء اسم الكلية أو أسماء الموقعين أم لا. أرسل إليَّ الأستاذ المثقف مظروفًا مختومًا لأجل الإجابة. يفترض ذلك أن يكون الرد شخصيًّا. لكن ليس لديَّ من الوقت سوى القليل، خاصة مع تولي رعاية مريضين عزيزين. لن أفوِّت حديثي الأسبوعي مع قراء هاريجان. لذلك، مع اعتذاري لمراسلي، سأجمع بين الهدفين لتوفير وقتي.

للسؤال المطروح في الرسالة أهمية كبيرة للغاية، وقد تسبب لي دائمًا في مواجهة أكبر صعوبة، ليس في اتخاذ قرار بشأن الإجراء الذي يجب اتخاذه في لحظة معينة، ولكن في تبرير تصرفي من حيث توافقه مع الأهيمسا؛ وذلك لأن نفس الفعل من الممكن اتخاذه ظاهريًّا من قِبل المؤمن وغير المؤمن بالأهيمسا. في مثل هذه الأوقات، الدافع وحده هو الذي يُقرِّر جودته.

في وقت الكتابة، لم يكن لديَّ الكتاب المذكور ولا النسخة الأصلية بالجوجراتية التي تُرجم منها النص. لكني أتذكر ما كتبته.

علاوة على ذلك، على حد علمي، فإن آرائي التي آمنت بها حول الأهيمسا، لا تزال كما هي إلى اليوم.

إن الافتراض العام الذي أشرت إليه في الاستشهاد، مستمد من سلوكي أثناء الحرب الأوروبية. لقد ألقيت بنفسي بحماسة في ذلك الأمر، مخاطرًا بحياتي، ليس بسبب المخاطر المصاحبة للاشتراك في الحرب في مثل هذه الأوقات، ولكن لأنني عانيت من داء الجَنب[٦٤] ومن ضعف عام في الوقت الذي كنت أحضر فيه التدريبات العسكرية والمعسكرات، ولم أكن قد استعدت بصورة كافية القوة التي فقدتها خلال صوم الأربعة عشر يومًا المرهق، الذي صمته قبل شهرين أو ثلاثة أشهر من الحرب. اعتقدت حينها أن الإمبراطورية البريطانية ستكون بشكل عام نظامًا مفيدًا للبشرية. كنت أحلم يومًا ما بتحويلها إلى طرق السلام بدلًا من الحرب ، وذلك حتى من أجل وجودها، وإن كان بشكل آخر. لكني كنت على وعي تام بمحدوديتي. كنت بمثابة مثقال ذرة ضئيلة غير فعَّالة لمقاومة سياستها العامة. سواء انضممت إلى الحرب أم لا، كنت طرفًا عاجزًا في الأمر، وحتى طعامي الذي كنت أتناوله كان الأسطول البريطاني هو الذي يحميه. كنت أستمتع أيضًا بالحرية الشخصية تحت حمايتها. لذلك، إذا كنت قد ساعدت الحرب بطريقة أو بأخرى، فقد شعرت أنه بالنسبة لي، بصفتي مريدًا للأهيمسا، كان من الأفضل أن أشارك بشكل مباشر فيها حتى أتمكن

(٦٤) داء الجَنب أو التهاب الجنبة. الجنبة هي البطانة المحيطة بالرئتين.

من إنهاء الحرب في أقرب وقت. من المحتمل أن كل ذلك بمثابة حجة للضعفاء، وأنه إذا شعرت أن الحرب كانت شرًّا، كان يجب أن أبتعد عنها حتى لو كان ذلك يعني الجوع أو موت المتمردين. على أي حال لم أكن أعتقد ذلك حينها، ولا الآن.

إنه أمر بعيد تمامًا عن ذلك الجدال أن أحاول أن أتصور كيف كان من الممكن أن يكون موقفي الآن تجاه الأمر، في الوقت الذي لم أعد أؤمن بالإمبراطورية كقوة خيرية بشكل عام.

لتوضيح ردي، دعني أتناول حجة أخرى من حياتي الخاصة. حتى عندما كنت ولدًا صغيرًا، تمرد قلبي وعقلي ضد النبذ[٦٥]. لكن لكوني في ذلك الوقت عضوًا غير مهم في العائلة، رضخت لسلوكهم تجاه الهاريجانس[٦٦]، وهو ما لا يجب أن أفعله الآن. غني عن القول، لم أكن في حاجة إلى أن أبرر سلوكي. لا يبدو لي أن إيماني الشخصي يتناقض مع عيشي في العائلة.

في الحقيقة تتألف الحياة من مثل هذه التسويات. غالبًا ما تتطلب الأهيمسا ببساطة مثل هذه التسويات؛ لأنها أنقى حب غير أناني.

---

(٦٥) حظر المساس أو النبذ "untouchability": ممارسة اجتماعية دينية تقوم على نبذ أقلية من الناس عن طريق عزلهم عن باقي المجتمع بحكم العادات الاجتماعية أو القوانين. قد تكون الجماعة المقصاة قد رفضت تقاليد الجماعة الممارسة للاقصاء، ومن الناحية التاريخية تضم، بشكل عام، الأجانب والخدم في المنازل والخارجين عن القانون والمجرمين ومَن يعانون من أمراض معدية. ويُعرف الشخص المنتمي للجماعة المقصية باسم المنبوذ.

(٦٦) هاريجانس (في الهند): غير الممكن لمسهم (أبناء الله). شخصيات تنتمي إلي أسفل ووسط أو إلى خارج نظام الطوائف الاجتماعية الهندوسية.

الشروط حتمية. لا ينبغي أن يكون هناك أثر للذات في أفعال الفرد ولا خوف ولا كذب، ويجب أن يكون ذلك دعمًا لقضية الأهيمسا. يجب أن تكون التسوية طبيعية بالنسبة للذات، وليست مفروضة من الخارج.

لا ينبغي أن أتساءل على الإطلاق عما إذا كانت إجابتي لم تُرْضِ الأستاذ وتلاميذه أم لا. أرجو أن تعذروني على إشاراتي المستمرة إلى أفعالي. السبب واضح: أنا لست رجلًا واسع الإطلاع بأي معنى للمصطلح. كل ما أعرفه عن الأهيمسا هو في المقام الأول مستمد من خبرتي الخاصة وتجاربي التي أجريتها في وضح النهار بروح علمية متواضعة وفي خوف الله الذي هو الحقيقة.

من جريدة هاريجان ١٧-١٠-١٩٣٦م

العسكرية في مواجهة الأخلاق:

غالبًا ما يُنسى أن الكونجرس ليس لديه ما يدعمه سوى سلطة أخلاقية. القوة الحاكمة لديها القوة العسكرية، على الرغم من أنها غالبًا ما تخفف من تمزج القُوة العسكرية بالأخلاق. ظهر هذا الاختلاف الحيوي منذ تولي الكونجرس للمنصب في سبع مقاطعات. هذا المنصب هو خطوة نحو مكانة أكبر لها أو خسارتها الكاملة. إذا لم تكن هذه خسارة كاملة، يجب على الوزراء والمشرعين أن يكونوا يقظين تجاه سلوكهم الشخصي والعام. يجب أن يكونوا مثل زوجة القيصر، فوق الشبهات في كل شيء. لا يجوز لهم تحقيق مكاسب شخصية لأنفسهم أو لأقاربهم أو لأصدقائهم. إذا حصل الأقارب أو

الأصدقاء على أي منصب، فيجب أن يكون ذلك فقط؛ لأنهم الأفضل بين المرشحين وقيمتهم السوقية أكبر بكثير مما يحصلون عليه في ظل الحكومة. يجب أن يكون الوزراء والمشرعون في الكونجرس شجعانًا في أداء واجبهم. يجب أن يكونوا دائمًا على استعداد للمخاطرة بخسارة مراكزهم أو مناصبهم. لا تتمتع المناصب والمراكز في المجالس التشريعية بأي ميزة خارج قدرتها على إبراز هيبة وسلطة الكونجرس، وبما أن كليهما يعتمد كليًّا على امتلاك الأخلاق العامة والخاصة، فإن أي زلة أخلاقية تعني ضربة للكونجرس. هذا هو المعنى الضروري المتضَمن للا عنف. إذا اقتصر اللا عنف في الكونجرس على الامتناع عن التسبب في أذى جسدي للمسؤولين البريطانيين وعائلاتهم، فإن مثل هذا اللا عنف لن يجلب لنا الاستقلال أبدًا. سيتجه بذلك إلى الهزيمة في حمى الأحداث النهائية. في الواقع، سنجد أن لا قيمة له- إن لم يكن ضارًّا بصورة لا تقبل الجدل- على الأمد الطويل قبل أن يبلغ الأمر أوجه.

هناك قوة كبيرة في حجة أولئك الذين تصوروا اللا عنف في الكونجرس في مثل هذا المسار الضيق، عندما يقولون إنه قصبة مكسورة.

من ناحية أخرى، إذا كان اللا عنف، مع كل تطبيقاته، هو سياسة الكونجرس، فلندع كل عضو في الكونجرس يفحص نفسه، ويعيد بناء نفسه وفقًا لذلك. دعه لا ينتظر التعليمات من لجنة العمل. أخيرًا،

يمكن للجنة العمل ألا تتصرف إلا بقدر ما تفسر للعقل العام. ليس اللاعنف صفة يجب تطويرها أو التعبير عنها حسب النظام، إنه نمو داخلي يعتمد في تغذيته على الجهد الفردي المكثف.

لقد تلقيت عدة رسائل تعرض أسماء الكتّاب للتسجيل كمتطوعين مستعدين للتضحية بأنفسهم في أوقات أعمال الشغب وما شابه ذلك. أود أن أقترح على هؤلاء الكتاب تجنيد زملاء العمل بأنفسهم، من السلك المحلي، والبدء في التدريب وفقًا للاقتراح الذي قدمته. دعوهم لا يقتصرون على مجرد التأهب لحالات الطوارئ، ولكن لمسيرة الحياة اليومية بجميع فروعها؛ الشخصية والمحلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. بهذه الطريقة فقط سيجدون أنفسهم أكثر من جاهزين للتعامل مع حالات الطوارئ في مناطقهم أو أماكنهم. قد لا يهدفون، إلا بشكل غير مباشر، إلى التأثير على الأحداث التي تقع على بعد مئات الأميال من مسرح نشاطهم. ستأتي هذه القدرة، إذا تم إجراء البداية الصحيحة في المقام الأول.

من جريدة هاريجان ٢٣-٤-١٩٣٨

مؤهلات لواء السلام:

لقد اقترحت منذ وقت مضى تشكيل لواء سلام يخاطر أعضاؤه بحياتهم في التعامل مع أعمال الشغب، خاصة الطائفية. كانت الفكرة هي أن يكون هذا اللواء بديلًا للشرطة وحتى الجيش. الفكرة طموحة. قد يُثبت أن إنجاز ذلك أمر مستحيل. ومع ذلك، إذا كان يجب على

الكونجرس أن ينجح في كفاحه اللا عنفي، يجب عليه تطوير القوة للتعامل السلمي مع مثل هذه المواقف. أعمال الشغب الطائفية من تصميم رجال ذوي عقلية سياسية. كثير من الذين يشاركون فيها هم تحت تأثير الأخير. بالتأكيد لا ينبغي أن يتجاوز الأمر نطاق ذكاء أعضاء الكونجرس، لابتكار طريقة أو طرق لتجنب المواقف الطائفية البغيضة بوسائل السلام. أقول ذلك بغض النظر عما إذا كان هناك اتفاق مجتمعي بشأن ذلك أم لا. لا يمكن لأي طرف أن يسعى لفرض اتفاق بوسائل عنيفة. حتى لو كانت مثل هذه الاتفاقية ممكنة، لن تستحق الورقة التي قد تُكتب عليها؛ لأنه لن يكون هناك تفاهم مشترك خلف مثل ذلك الاتفاق. الأكثر من ذلك، أنه حتى بعد التوصل إلى إتفاق، لن يكون متوقعًا أن تتوقف أعمال شغب طائفية.

لذا، دعونا نرى المؤهلات التي يجب أن يمتلكها عضو لواء السلام المزمع أن يكون:

هو أو هي يجب أن يكون لديه (أو لديها) إيمان حي باللا عنف. هذا مستحيل من دون إيمان حي بالله. لا يستطيع الإنسان اللا عنفي أن يفعل شيئًا إلا بقوة الله ونعمته. من دون ذلك لن تكون لديه الشجاعة الكافية للموت، دون غضب ودون خوف وانتقام. تأتي هذه الشجاعة من الإيمان بأن الله يجلس في قلوب الجميع، وأنه لا ينبغي أن يكون هناك خوف في حضور الله. إن معرفة وجود الله في كل مكان يعني أيضًا احترام حياة حتى أولئك الذين قد يُطلق عليهم خصوم أو

بلطجية[٦٧]. هذا التدخل المزمع هو بمثابة عملية لإسكات غضب الإنسان عندما تسود عليه الصفات البهيمية بداخله.

يجب أن يحظى رسول السلام هذا باحترام متساوٍ لجميع الديانات الرئيسة على الأرض، ولذلك إذا كان هندوسيًّا، سوف يحترم الأديان الأخرى الموجودة في الهند. لذلك يجب أن تكون لديه معرفة بالمبادئ العامة للأديان المختلفة المنتشرة في البلاد.

بشكل عام، لا يمكن لهذا العمل المتعلق بالسلام أن يتم إلا من قِبل الرجال المحليين في مناطقهم.

يمكن أن يتم العمل بشكل فردي أو في مجموعات، لذا فليس هناك داعٍ لانتظار رفقة. مع ذلك، من الطبيعي أن يبحث المرء عن رفاق في منطقته ويشكل لواءً محليًّا.

سوف يسعى رسول السلام ذلك، من خلال الخدمة الشخصية، إلى الاتصال بالناس في منطقته أو في الدائرة المختارة، فيتعامل مع مواقف قبيحة، لا ينقضّ على أعضاء التجمع المشاغب كشخص غريب قد يُنظر إليه على أنه مشتبه به أو زائر غير مُرحَّب به.

غني عن القول، يجب أن يتمتع جالب السلام بشخصية لا تشوبها شائبة، ويجب أن يكون معروفًا بحياده الصارم.

بشكل عام، هناك تحذيرات سابقة من العواصف القادمة. إذا

(٦٧) الكلمة المكتوبة في الإنجليزية هي **goondas** وهي تعني البلطجي أو الفوضوي في جنوب آسيا.

كانت هذه الأمور معروفة، فإن لواء السلام لن ينتظر حتى اندلاع الحريق، لكنه سيحاول التعامل مع الوضع مقدمًا.

إذا انتشرت الحركة، قد يكون من الجيد أن يتوفر بعض العاملين بدوام كامل. ليس من الضروري تمامًا أن يكون الأمر كذلك. الفكرة هي أن يكون لديك أكبر عدد ممكن من الرجال والنساء الصالحين والمخلصين. لا يمكن الحصول على هذه إلا إذا تم اختيار المتطوعين من أولئك الذين يشاركون في مختلف مناحي الحياة، ولكن لديهم في الآن ذاته وقت فراغ كافٍ لتنمية العلاقات الودية مع الأشخاص الذين يعيشون في دائرتهم، ولديهم بطريقة أخرى المؤهلات المطلوبة للعضوية في لواء السلام.

يجب أن يكون هناك لباس مميز يرتديه أعضاء اللواء المزمع تكوينه حتى يتم التعرف عليهم مع الوقت دون أدنى صعوبة.

ليست هذه سوى اقتراحات عامة. يمكن لكل مركز وضع دستوره الخاص على الأساس المقترح هنا.

حتى لا تُثار آمال كاذبة يجب أن أحذر العاملين من الدخول على أمل أن أتمكن من لعب أي دور نشط في تشكيل ألوية السلام. ليس لديَّ الصحة أو الطاقة أو الوقت لذلك. أجد أنه من الصعب، بما يكفي، أن أتعامل مع المهام التي لا أجرؤ على التهرب منها. يمكنني فقط توجيه وتقديم اقتراحات من خلال المراسلات أو خلال هذه الأعمدة. لذلك فلندع أولئك الذين يقدرون الفكرة ويشعرون أن

لديهم القدرة، يأخذوا زمام المبادرة بأنفسهم. أعلم أن اللواء المقترح لديه إمكانيات كبيرة وأن الفكرة الكامنة وراءه قابلة للتطبيق عمليًّا.

من جريدة هاريجان ١٨-٦- ١٩٣٨

نتيجة منطقية:

يجب أن يشعر المرء بالسعادة؛ لأننا تجنبنا خطر الحرب في الوقت الحاضر. هل من المحتمل أن يكون ثمن ذلك باهظًا للغاية؟ هل من المحتمل أن يكون الشرف قد بِيع لقاء ذلك؟ هل هو انتصار للعنف المنظم؟ هل اكتشف هر[٦٨] هتلر طريقة جديدة لتنظيم العنف تُمكِّنه من تحقيق غايته دون إراقة دماء؟ أنا لا أدعي أنني أعرف السياسة الأوروبية، لكن يبدو لي أن القوميات الصغيرة لا يمكن أن توجد في أوروبا برؤوس منتصبة. يجب أن يتم استيعابها من قبل جيرانها الأكبر. يجب أن تصبح تابعة.

لقد باعت أوروبا روحها من أجل وجودها على الأرض لمدة سبعة أيام. السلام الذي حققته أوروبا في ميونيخ هو انتصار للعنف. إنه يشكل أيضًا هزيمتها. إذا كانت إنجلترا وفرنسا متيقنتين من النصر، لكان من المؤكد أنهما قامتا بواجبهما من أجل إنقاذ تشيكوسلوفاكيا أو الموت معها، لكنهما جبنتا أمام العنف المشترك من قِبل ألمانيا وإيطاليا. لكن ما الذي ربحته ألمانيا وإيطاليا؟ هل أضافتا شيئًا إلى الثروة الأخلاقية للبشرية؟

---

(٦٨) هر Herr : لقب فخامة يوضع قبل الاسم الأخير للرجل (الألماني).

إنني لا أهتم بشأن القوى العظمى عند كتابة هذه السطور. لقد بهرني شموخ تشيكوسلوفاكيا. إنها تقدم درسًا لي ولنا في الهند. لم يكن بوسع التشيك أن يفعلوا أي شيء آخر عندما وجدوا أنفسهم مهجورين من قبل حلفائهم الأقوياء. مع ذلك، أجرؤ على القول أنهم لو كانوا يعرفون استخدام اللا عنف كسلاح للدفاع عن الشرف الوطني، لاستطاعوا مواجهة كافة قوة ألمانيا وإيطاليا. كان بإمكانهم أن يُجنِّبوا إنجلترا وفرنسا ذل التوسل من من أجل سلام لم يكن سلامًا. إن أرادوا إنقذا شرفهم كان عليهم أن يموتوا بشجاعة دون سفك دماء السارق. يجب أن أرفض التفكير في أن مثل هذه البطولة، أو فلنسمها ضبط النفس، تتجاوز الطبيعة البشرية. لن تجد الطبيعة البشرية نفسها إلا عندما تدرك تمامًا أنه لكي تكون إنسانًا يجب أن تتوقف عن أن تكون لا أخلاقي أو وحشي. على الرغم من أنه لدينا الشكل البشري، لكن دون تحقيق فضيلة اللا عنف، لا نزال نشبه سلفنا البعيد حسن السمعة؛ إنسان الغاب[٦٩].

إنني لا أكتب كلمات بلا معنى. دع التشيكيين يعرفون أن لجنة العمل تتلوي ألمًا بينما كان يُبت في مصيرهم. كان الألم أنانيًّا إلى حد ما ولكن على حساب ذلك، كان الأمر أكثر واقعية. على الرغم

(٦٩) إنسان الغابة، أو سِعلاة أو سِعلاء، أو أورانج أوتان والجمع سَعَالي. يُسمى كذلك لأن وجهه تبدو عليه بعض التعبيرات البشرية كالتفكير مثلًا، ويحرك شفتيه الرقيقتين بأشكال مختلفة يُعتقد أنها طريقة للاتصال. يعيش الأورانغوتان حياة اجتماعية متماسكة قياديًّا، ويزيد الذكر على الأنثى في الحجم بمعدل مرتين من حيث الثقل.

من أننا أمة كبيرة عددًا، بالنسبة لأوروبا، أي من حيث العنف العلمي المنظم، لكننا أصغر من تشيكوسلوفاكيا. الأمر لا يقتصر على إن حريتنا مهددة وحسب، بل إننا نكافح لاستعادتها. إن التشيكيين مسلحون بالكامل. نحن غير مسلحين بالكامل. هكذا اجتمعت اللجنة لدراسة ماذا كان عليها أن تفعل في مسألة التشيك، وما هو الدور الذي كان على الكونجرس أن يلعبه إذا انفجرت سحابة الحرب علينا. هل كنا لنتفاوض مع إنجلترا من أجل حريتنا ونُظهر أننا صادقنا تشيكوسلوفاكيا، أم كنا سنرتقي إلى مستوى عقيدة اللا عنف ونقول في ساعة المحنة للإنسانية المنكوبة إنه، وفقًا لعقيدتنا، لا يمكننا ربط أنفسنا بالحرب، على الرغم من أنها قد تكون ظاهريًّا للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا التي تم تهديد وجودها بلا خطأ من جانبها، أو لأن خطأَها الوحيد هو كونها صغيرة جدًّا لدرجة أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها بمفردها؟ توصلت اللجنة العاملة إلى ذلك تقريبا؛ أقصد أنها كانت ستحرم نفسها من فرصة عقد مساومة مع إنجلترا، لكنها كانت ستقدم مساهمتها في السلام العالمي والدفاع عن تشيكوسلوفاكيا وحرية الهند بإعلانها للعالم من خلال عملها أن الطريق إلى السلام بشرف لا يكمن من خلال الذبح المتبادل للأبرياء، لكنه يكمن فقط وبصدق من خلال ممارسة اللا عنف المنظم حتى إلى الموت.

لم تكن هذه سوى الخطوة المنطقية والطبيعية التي كان من الممكن أن تتخذها لجنة العمل، لو كان عليها أن تُثبت وفاءَها لعقيدتها. إذا تمكنت الهند من الحصول على حريتها من خلال اللا

عنف، كما يعتقد أعضاء الكونجرس أنهم يستطيعون ذلك، يمكنها أن تدافع عن حريتها بنفس الوسائل، وبالتالي يمكن لدولة أصغر مثل تشيكوسلوفاكيا بالأحرى أن تفعل ذلك.

لا أعرف ما الذي كانت ستفعله لجنة العمل لو اندلعت الحرب. لكن كل ما في الأمر هو أن الحرب تأجلت وحسب. خلال وقت الاستراحة، أقدم طريق اللا عنف عسى أن يقبلها التشيكيون. إنهم لا يعرفون بعد ما ينتظرهم. لا يمكنهم أن يخسروا شيئًا بتجربة طريق اللا عنف. مصير الجمهورية الإسبانية معلق في المنتصف. هكذا الحال مع الصين. إذا خسروا جميعًا في النهاية، فلن يحدث ذلك؛ لأن قضيتهم ليست عادلة، ولكن لأنهم أقل مهارة في علم التدمير، أو لأنهم يعانون من نقص في الأيدي العاملة. ما الذي ستربحه إسبانيا الجمهورية لو كانت لديها وسائل فرانكو[٧٠]، أو الصين إذا كانت تتمتع بمهارة اليابان في الحرب، أو التشيك إذا كانت لديهم مهارة هير هتلر؟ إنني أقترح أنه إذا كان من الشجاعة أن يموت المرء بشجاعة في قتاله لعدوه، فالأشجع من ذلك هو رفض القتال ومع ذلك رفض الاستسلام للمغتصب. إذا كان الموت مؤكدًا في كلتا الحالتين، أليس من الأشرف الموت والصدر مكشوف للعدو دون أن نُكِنَّ له حقدًا؟

من جريدة Harijan ٨-١٠-١٩٣٨م

---

(٧٠) فرانثيسكو فرانكو (١٨٩٢- ١٩٧٥م): هو جنرال وديكتاتور إسباني، أحد قادة انقلاب سنة ١٩٣٦م للإطاحة بالجمهورية الإسبانية الثانية التي أدت إلى الحرب الأهلية الإسبانية، وبعد ذلك حكم إسبانيا حكمًا ديكتاتوريًّا من عام ١٩٣٩م إلى ١٩٧٥م.

عمل اللا عنف:

«لقد كنت مهتمًّا جدًّا بقراءة الأعداد الأخيرة لجريدة هاريجان وملاحظاتك حول الأزمة الأوروبية وإقليم N.W.F.[٧١] ولكن هناك جانب واحد في مشكلة اللا عنف- والذي نادرًا ما تشير إليه، أو تغفله تمامًا- كان يجب أن أناقشه معك في سيفجرام[٧٢] لولا ضيق الوقت. أنت تقول إن اللا عنف وعدم التعاون، كما طورته أنت، هو الرد على العنف الذي يهدد العالم بأسره الآن. لا شك في التأثير الهائل الذي يمكن أن تُحدثه هذه الروح وهذا العمل. لكن ألا يجب أن تُعبِّر الروح اللا عنفية -المُحبة غير الأنانية للجميع؛ الأعداء والأصدقاء على حد سواء- عن نفسها، إذا كان لها أن تنجح، في شكل حكم ليبرالي وديموقراطي ودستوري؟ لا يمكن للمجتمع أن يوجد من دون قانون وحكومة. لا يمكن للسلام الدولي أن يوجد ما لم تقبل الأمم نظام حكم دستوري يمنحها الوحدة والقانون، وينهي الفوضى فيما بينها. لا شك أن قانون الله في يوم من الأيام سيكون هكذا «مكتوبًا في قلوب وعقول» البشر، بحيث يصبح كل فرد بمثابة تعبير حي عنه، ولن يحتاج البشر حينها إلى قانون بشري أو حكومة. لكن هذه هي النهاية. يجب أن تأخذ بداية التقدم نحو ذلك الهدف السماوي، في البداية، شكل

(٧١) مقاطعة الحدود الشمالية الغربية التي صارت باكستان فيما بعد.

(٧٢) سيفجرام (تعني «قرية الخدمة») هو اسم قرية في ولاية ماهاراشترا. كانت مكان أشرام غاندي ومقر إقامته من عام ١٩٣٦ حتى وفاته في عام ١٩٤٨.

رغبة بين الأعراق والأديان والأمم في أن تتحد في ظل دستور واحد، يتم من خلاله تأسيس وحدتهم وعضويتهم تجاه بعضهم بعضًا. يتم إعلان القوانين التي يعيشون بموجبها بعد مناقشة عامة، وبشكل ما من أشكال قرارات الأغلبية، ويتم فرضها، حين لا تُقبل طواعية، ليس عن طريق الحرب ولكن بواسطة قوة الشرطة، حين لا يكون الإقناع والقدوة كافيين. يجب أن يؤدي العمل بروح اللا عنف البناءة بين الدول ذات السيادة إلى شكل من أشكال الاتحاد الفيدرالي. لا يمكن إحراز النجاح حتى يتم فعل ذلك. الدليل على وجود اللا عنف بشكل فعال هو ظهور نظام فيدرالي. بالتالي، فإن الحل الحقيقي الوحيد للمشكلة الأوروبية هو اتحاد فيدرالي لشعوبها البالغ عددها ٢٥ في ظل دستور ديموقراطي واحد والذي سيخلق حكومة يمكنها النظر إلى مشاكل أوروبا وتشريعها، ليس كمجموعة من الدول المتنافسة والمتضاربة ولكن ككيان واحد بأجزاء مستقلة. بنفس الطريقة، فإن الحل الوحيد للمشكلة الهندية هو استبدال دستور بسيطرة بريطانيا العظمى وما هو صحيح بالنسبة لأوروبا والهند، صحيح على المدى الطويل بالنسبة للعالم بأسره، وهذه هي الطريقة الأخيرة والوحيدة لإنهاء الحرب.

قد يكون عدم التعاون اللا عنفي هو الأفضل، وربما الطريقة الوحيدة، لإحداث تغيير في العقل والقلب، مما يجعل قبول دستور ديموقراطي فيدرالي ممكنًا من قِبل الدول. لكن الوصول إلى الفيدرالية الديموقراطية هو الإنجاز الضروري لنجاحه، ومن دونه لا

يمكن أن ينجح. الأمر مثير دائمًا للاهتمام، وفي الواقع كانت مفاجأة لي أنه يبدو أنك تعتقد أن عدم التعاون اللا عنفي كافٍ في حد ذاته، وأنك لم تعلن أبدًا أن الهدف الذي يجب أن يؤدي إليه هو نظام حكم ديموقراطي يُوحِّد البشر والأجناس والأديان والأمم، على الرغم من أن هذا الإنجاز غير ممكن إلا كنتيجة لتغيير روحي للقلب، ولا يمكن الوصول إليه بالقوة أو العنف أو الخديعة.

إنني لا أكتب هذا كنوع من المجادلة غير المباشرة بشأن الدستور الهندي، على الرغم من أنه من الواضح أن له تأثير على هذه المشكلة أيضًا. من الواضح أن سلوك حكومة الهند هو تطبيق غير كامل للغاية لمبدأ الفيدرالية الديموقراطية، ويجب بالضرورة أن يتطور بسرعة إذا أُرِيد له النجاح. الحجة الرئيسة التي طالما ألححت عليها هي أنه في ظل الظروف الحالية، يمثل الحل الوسط الدستوري، الحل الوحيد الذي يوحد المقاطعات والدول والمسلمين والهندوس، ويمكن تفعيله بما يتضمنه بداخله من بذور تطور تدريجي أكثر مما قد يبدو عليه عمومًا. إذا بلغ إنجيلك الروحي إلى الناس، سوف يتطور بسرعة وسهولة. هدفي ليس استنباط أي رأي منك حول المشكلة الدستورية، ولكن الإجابة على السؤال الأكبر المبين في الجزء الأول من الرسالة».

هذا ما كتبه اللورد لوثيان. وصلتْ الرسالة في أوائل شهر يناير، لكن الأمور العاجلة حالت دون تعاملي في وقت سابق مع السؤال المهم الذي أثير فيها.

لقد امتنعت عمدًا عن التعامل مع مسألة شكل الحكومة في مجتمع يقوم عمدًا على اللا عنف. يتماسك المجتمع من خلال اللا عنف مثلما هو الحال مع الأرض بفعل الجاذبية. ولكن عندما تم اكتشاف قانون الجاذبية، أسفر الاكتشاف عن نتائج لم يكن لأسلافنا معرفة بها. مع ذلك، عندما يتم بناء المجتمع عن عمد وفقًا لقانون اللا عنف، فإن هيكله سيكون مختلفًا في خصائصه المادية عما هو عليه اليوم. لكن لا يمكنني أن أقول مقدمًا كيف سيكون شكل الحكومة المؤسَّسة بالكامل على اللا عنف.

إن ما يحدث اليوم هو تجاهل لقانون اللا عنف وتتويج للعنف كما لو كان قانونًا أبديًّا. بالتالي؛ فالديموقراطيات التي نراها تعمل في إنجلترا وأمريكا وفرنسا تسمى كذلك فقط لأنها تعتمد على العنف بشكل أقل من ألمانيا النازية أو إيطاليا الفاشية أو حتى روسيا السوفيتية. الاختلاف الوحيد هو أن عنف الدول الثلاث الأخيرة، أفضل تنظيمًا من عنف القوى الديموقراطية الثلاث. مع ذلك، فإننا نرى اليوم سباقًا مجنونًا للتغلب على بعضهم بعضًا في مسألة التسليح. وعندما يأتي الصدام؛ لأنه لا بد أن يأتي يومًا ما، ستربح الديموقراطيات. ستفعل ذلك فقط لأنهم ستنال دعم شعوبها الذين يتصورون أن لديهم أصواتًا في حكوماتهم، بينما في الثلاث حالات الأخرى قد تثور الشعوب على ديكتاتورياتها.

ولأنني متمسك بوجهة نظر مفادها أنه من دون الاعتراف باللا عنف على نطاق وطني لا يوجد شيء اسمه حكومة دستورية أو ديموقراطية، فإنني أكرس طاقتي لنشر اللا عنف باعتباره قانون حياتنا، فرديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، وطنيًّا ودوليًّا. أظن أنني رأيت النور رغم أنه خافت. أكتب بحذر لأنني لا أدعي معرفة القانون كله. إذا كنت أعرف نجاحات تجاربي، فأنا أعرف أيضًا إخفاقاتي، لكن النجاحات تكفي لتملأني بأمل لا ينتهي.

لقد قلت كثيرًا أنه إذا اهتم المرء بالوسائل، فإن الغاية ستعتني بنفسها. اللا عنف هو الوسيلة. هدف كل أمة هو الاستقلال التام. لن تكون هناك عصبة أمم دولية إلا عندما تكون جميع الأمم التي تتألف منها- كبيرة كانت أم صغيرة- مستقلة تمامًا. ستتوافق طبيعة هذا الاستقلال مع مدى اللا عنف الذي تستوعبه الدول المعنية. هناك شيء واحد مؤكد؛ في مجتمع يقوم على اللا عنف، ستشعر أصغر أمة بأنها سامية مثل أسمى الأمم. سيتم محو فكرة التفوق والدونية بالكامل.

يترتب على ذلك أن قانون حكومة الهند هو مجرد إجراء مؤقت، ويجب أن يفسح المجال لقانون تصوغه الأمة نفسها. بقدر ما يتعلق الأمر بالحكم الذاتي الإقليمي، فقد تم اكتشاف أنه من الممكن التعامل مع الأمر إلى حدٍّ ما. ليست تجربتي الخاصة في عمل ذلك مبهجة بأي حال من الأحوال. لم يكن لدى حكومات الكونجرس تلك القبضة اللا عنفية على الناس التي كنت أتوقع أن تكون لديها.

لكنني لا أستطيع أن أتصور الهيكل الفيدرالي لا يمكن تصوره بالنسبة لي؛ لأنه يعتزم إنشاء شراكة بين أطراف غير متسقة. لذلك أعتقد إن الهيكل الفيدرالي، كما يتصوره قانون حكومة الهند، مستحيل تمامًا وبالتالي فإن الاستنتاج الخطير بالنسبة لشخص مثلي، متمسك باللا عنف، هو أن الحكومة الدستورية أو الديموقراطية هي حلم بعيد المنال طالما أن اللا عنف لا يُعترف به كقوة حية أو عقيدة لا تُنتهك وليس مجرد سياسة. أثرثر عن اللا عنف العالمي، بينما تقتصر تجربتي على الهند. إذا نجحتْ، سيقبلها العالم دون جهد. مع ذلك، هناك «لكن»كبيرة. لا يقلقني التوقف. يسطع إيماني وسط ظلمة حالكة يصعب اختراقها.

سيفجرام ٦-٢-١٩٣٩م

من جريدة هاريجان ١١-٢-١٩٣٩م

ما العمل؟

هذه رسالة مهمة من مسؤول، يرغب في ألا يُذكر اسمه:

«يسعى الضمير المضطرب إلى معرفة رأي الآخرين المتعقل، ليعينه على حل السؤال الملح التالي: هل إنشاء «اتحاد تعهد السلام» (منظمة ديك شيبارد[٧٣] الراحل بمعارضة الحرب برفض اللجوء إلى العنف تحت أي ظرف مهما كان) هي خطوة على الطريق الصحيح وعملية في الظروف الحالية لعالمنا؟

(٧٣) راجع الحاشية رقم ٥٤.

هذه هي حجج الجانب المؤيد:

١. لقد علّم أعظم المعلمين الروحيين في العالم أن الشيء الشرير لا يمكن تدميره إلا من خلال وسائل خيرة، وليس أبدًا بوسائل شريرة، وضربوا مثلًا بحياتهم الخاصة على ذلك، كما قالوا إن أي نوع من العنف (خاصة عنف الحرب، حتى إن كانت حرب دفاع عن النفس فقط) هو بلا شك وسيلة شريرة مهما كان الدافع. لذلك، فإن العنف دائمًا خطأ.

٢. الأسباب الحقيقية للعنف والبؤس الحالي، لا يمكن إزالتها أبدًا بالحرب. أُثبت ذلك تمامًا بفضل «حرب لإنهاء حالة الحرب»[٧٤]، وسيظل الشيء نفسه دائمًا صحيحًا. لذلك، فإن العنف غير عملي.

٣. أولئك الذين يشعرون أنهم يجب أن يقاتلوا للدفاع عن الحرية والديموقراطية هم مخدوعون، على الرغم من أنهم يقاتلون من أجل قضية ليست تافهة. إن الحرب، في الظروف الحديثة، حتى لو انتهت بالنصر، تؤدي إلى دمار مؤكد بدرجة أكبر من دمار الحريات التي قد تبقي لنا من قِبل قوات الاحتلال؛ لأنه لا يمكن شن حرب حديثة بنجاح من دون عسكرة كاملة لشعوب بأكملها . الأفضل أن تموت مقاومًا للعنف، معتنقًا اللا عنف، عن أن تعيش رهينة لمجتمع العسكري ستتوالى فيه الحروب، بغض النظر عن الرابح فيها.

أما الجانب المعارض، فهذه هي حججه:

---

(٧٤) هكذا وصف البعض الحرب العالمية الأولى.

١. لا يمكن للمقاومة اللاعنفية أن تكون فعالة إلا في ظل مقاومة أشخاص يمكن أن تحركهم اعتبارات أخلاقية وإنسانية. لا يقتصر الأمر على أن الفاشية لا تبالي بتلك الاعتبارات فحسب، بل إنها تهزأ بها علنًا باعتبارها علامات ضعف. إنها لا تتردد في القضاء على كل مقاومة واستخدام أي درجة من الوحشية من أجل القيام بذلك. بالتالي، فإن المقاومة اللاعنفية لا تحظى بأي فرصة على الإطلاق ضد الفاشية. لذا، فإن المقاومة اللاعنفية غير عملية، ولا يُرجى منها أمل في الظروف الحالية.

٢. إن رفض التعاون في المقاومة العنيفة (أي أن ترفض الخدمة العسكرية في حالة الحرب) دفاعًا عن الحرية والديموقراطية يماثل مساعدة أولئك الذين يدمرون تلك الحرية. يشجع المرء بذلك العدوان الفاشي، بلا شك، من خلال معرفة أن الديموقراطيات تضم أعدادًا من الأشخاص غير المستعدين للقتال دفاعًا عن أنفسهم، والذين سيعارضون (وبالتالي يعرقلون) حكوماتهم إذا اندلعت الحرب أو تم فرض نوع من التجنيد الإجباري. ولما كان الأمر كذلك، فإن معارضة وسائل الدفاع العنيف على أساس الضمير لا تصبح غير فعالة وحسب في تعزيز السلام، لكنها قد تكون في الواقع مفيدة لأولئك الذين ينتهكون السلام.

٣. قد تدمر الحرب الحرية، ولكن إذا نجت الديموقراطيات، ستكون هناك على الأقل بعض الاحتمالات لاستعادة جزء منها،

بينما إذا سُمح للفاشيين بأن يحكموا العالم، فلن توجد فرصة على الإطلاق. يساعد المعارضون للحرب على أساس الضمير خصومهم من خلال إضعاف القوى الديموقراطية، وبالتالي يُبطلون أهدافهم.

من الواضح أن حل هذه المسألة مُلحٌّ للغاية- ولنقل- بالنسبة لشاب في أي بلد بها تجنيد إجباري اليوم أو حتى في بريطانيا العظمى المعرضة للخطر الآن. لكن أليس الأمر بذلك هو ضغط على أولئك الموجودين في البلدان الأخرى، على سبيل المثال، جنوب أفريقيا أو مصر أو أستراليا الذين ربما تتوجب عليهم مواجهة احتمالية الغزو، أو الهند التي قد تواجه في حالة «الاستقلال الكامل» احتمالية غزو اليابان أو تجمع الوحدة الإسلامية؟

في مواجهة مثل هذه الاحتماليات (قُل بالأحرى التوقعات)، لا ينبغي حتى لكل ضمير متحمس (سواء لشاب أو كبير السن) أن يكون متيقنًا بالضبط من الطريق الصحيح والعملي الذي عليه أن يسلكه. بطريقة ما، في يوم ما (إن لم يكن كل الأيام) ستكون هذه هي المشكلة التي يجب على كل واحد منا أن يواجهها بنفسه. هل يمكن أن تساعد قراءك باستيضاح هذه المشاكل؟ أولئك الذين ليسوا متيقنين من الإجابة التي يجب عليهم تقديمها عندما يحين الوقت سيتعين عليهم التفكير في الأمر. أولئك الذين هم على يقين من إجابتهم قد يساعدون الآخرين على أن يصبحوا متيقنين بالقدر ذاته».

يستحق المعارضون للمقاومة اللا عنفية فحصًا دقيقًا. إذا كانت

الحجة الأولى صحيحة، فإنها تقطع جذور الحركة المناهضة للحرب التي تقوم على افتراض أنه من الممكن تغيير الفاشيين والنازيين، وعلى أنهم ينتمون إلى نفس النوع الذي تنتمي إليه البلدان الديموقراطية، أو حتى المقاومون أنفسهم. يرى الفريق المناهض للحرب إن الفاشيين والنازيين يُظهرون في دوائر عائلاتهم نفس الحنان والعطاء والمراعاة والكرم التي من المحتمل أن يظهرها مقاومو الحرب حتى خارج هذه الدوائر. الاختلاف في الدرجة فقط. في الواقع، تُعتبر الدول الفاشية والنازية بمثابة نسخة منقحة لما تُسمى بالديموقراطيات، إن لم تكن بمثابة استجابة لجرائم الأخيرة. أظهر كيربي بيج[٧٥] في كتيبه عن تكلفة الحرب الأخيرة أن كلا المقاتلين أطلقا نفس الأكاذيب والمبالغات وارتبكا نفس الأعمال الوحشية. هدفت معاهدة فرساي[٧٦] إلى الانتقام من ألمانيا من قِبل المنتصرين. لقد اختلست ما يُسمَّى بالديموقراطيات، قبل الآن، أراضي الشعوب الأخرى ولجأت

(٧٥) كاهن أمريكي من طائفة «تلاميذ المسيح» البروتستانتية (١٨٩٠- ١٩٥٧م) وهو كاتب وناشط للسلام.

(٧٦) معاهدة فرساي هي اتفاقية تم توقيعها في نهاية الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا والحلفاء. نصت الاتفاقية على أشد الضوابط والقيود العسكرية على ألمانيا كي لا يتمكن الألمان من إشعال حرب عالمية ثانية، فقد نصّت على التجريد العسكري للجيش الألماني والإبقاء على ١٠٠,٠٠٠ جندي فقط وإلغاء نظام التجنيد الإلزامي الذي كان يعمل به في ألمانيا.. إلخ وقد نصت المعاهدة على تحمل ألمانيا لمسؤولية الحرب وتقديم التعويضات للأطراف المتضررة وحددت التعويضات بـ ٢٦٩ مليار مارك ألماني وخفض هذا المبلغ ليصبح ١٣٢ مليار مارك. أثقلت الديون الملقاة على عاتق ألمانيا من عجلة الاقتصاد الألماني مما سبب درجة عالية من الامتعاض الذي أدى إلى إشعال الحرب العالمية الثانية على يد هتلر.

إلى القمع الوحشي. أتساءل عما إذا كان السيد هتلر وزملاؤه قد لجأوا إلى نوع غير علمي من العنف طوره أسلافهم، لاستغلال ما يسمى بالأجناس المتخلفة لتحقيق مكاسب مادية خاصة بهم؟ وبالتالي، فإن الأمر يتعلق بقاعدة من ثلاثة لمعرفة المقدار الدقيق المطلوب من اللا عنف لإذابة القلوب الأكثر قسوة للفاشيين والنازيين، إذا افترضنا، كما هو الحال، أن ما يُسمَّى بالديموقراطيات تَرِق أمام كمية معينة من اللا عنف. لذلك، يجب أن نُزيل الحجة الأولى من اعتباراتنا، والتي ستكون حاسمة إذا ثبت أنها صحيحة بأي درجة.

الحجتان الأخريان عمليتان. صحيح أن دعاة السلام قد لا يفعلون شيئًا لإضعاف حكوماتهم أو لإرغامهم على الهزيمة، لكنهم خوفًا من القيام بذلك، قد لا يفوتون الفرصة الفعالة الوحيدة التي لديهم لإظهار إيمانهم الراسخ بعدم جدوى جميع الحروب. إذَنْ لأصاب الجنون حكوماتهم وحوَّلت تلك الحكومات مقاومي الحرب إلى شهداء، فيجب عليها (أي الحكومات) أن تتحمل تبعات الاضطراب التي خلقتها. يجب أن تحترم الديموقراطيات حرية الضمير اللا عنفي الفردي، مهما كان ذلك غير ملائم. من هذا الاعتبار سوف ينبثق الأمل للعالم. هذا يعني أنهم يضعون ضميرهم والحقيقة قبل مصلحة بلادهم المزعومة؛ لأن احترام ضمير الفرد، إذا كان الأمر كذلك بالفعل، لم يضر أبدًا بأي قضية أو مصلحة مشروعة. بناءً على ذلك، يتعلق الأمر بضرورة أن يقاوم داعي السلام عندما يشعر بقوة أن الصراع لن ينهي

الحرب أبدًا، سواء أدى ذلك إلى نجاح أو هلاك الديموقراطيات المزعومة، ولن ينتهي ذلك إلا في اللحظة الحاسمة، عندما يثبت مجموعة دعاة السلام، إيمانهم الحي، بأي ثمن من خلال المعاناة إذا لزم الأمر وحتى التعرض لأقصى عقوبة. أعرف أن النقطة التي يجب مراعاتها ليست كيفية تجنب العقوبة القصوى، ولكن كيفية التصرف لتحقيق الهدف الموجود على مرمى البصر. عندما يكون عامل الإيمان المزعج للغاية، ولكن الفعال، جزءًا من السلوك الفردي، فإن الحسابات البشرية لا تنفع. إن داعي السلام الحقيقي هو ساتياجراهي حقيقي. يتصرف الأخير بالإيمان، وبالتالي لا يهتم بالنتيجة؛ لأنه يعلم أنها مضمونة عندما يكون الفعل صحيحًا.

أخيرًا، ما هو المكسب إذا انتصر ما يُسمَّى بالديموقراطيات؟ لن تنتهي الحرب بالتأكيد. ستتبنى الديموقراطيات نهج الفاشيين والنازيين، بما في ذلك التجنيد الإجباري وجميع الأساليب القسرية الأخرى لانتزاع وفرض الطاعة بالقوة. كل ما يمكن كسبه في نهاية الانتصار هو إمكانية الحماية النسبية للحرية الفردية. لكن تلك الحماية لا تعتمد على مساعدة خارجية. إنها تأتي من العزم الداخلي على حمايتها قبالة العالم كله. بعبارة أخرى، فإن الديموقراطي الحقيقي هو الذي يدافع عن حريته بوسائل غير عنيفة على نحو محض، وبالتالي عن وطنه وفي نهاية المطاف عن البشرية جمعاء. في الاختبار القادم، يتعين على دعاة السلام أن يثبتوا فيه إيمانهم من خلال الرفض الحازم

للإقدام على أي حرب، سواء كانت حربًا دفاعية أو عدوانية. لكن واجب المقاومة يقع فقط على عاتق أولئك الذين يؤمنون باللا عنف كعقيدة، وليس على كاهل أولئك الذين سيحسبون ويفحصون مزايا كل حالة، ويقررون الموافقة على حرب معينة أو معارضتها. يترتب على ذلك أن مثل هذه المقاومة هي مسألة يقررها كل شخص بنفسه، بتوجيه من الصوت الداخلي، إذا أدرك وجودها.

راجكوت ٩-٤-١٩٣٩م

من جريدة هاريجان ١٥-٤-١٩٣٩م

الأزمة الوشيكة:

أرسلت أخت من لندن تلغرافيًّا في ٢٤ من الشهر قائلة: « أدّ دورك رجاءً. العالم في انتظار القيادة». ورد تلغراف آخر من أخت أخرى في لندن اليوم تقول: «إنني أحثك على أن تفكر في أن تكشف فورًا للحكام وكافة الشعوب عن إيمانك الذي لا يتزعزع بالعقل وليس القوة». لقد كنت مترددًا في قول أي شيء عن الأزمة العالمية الوشيكة التي تؤثر على رفاهية البشرية بأسرها وليس على قلة من الدول. لقد شعرت أن كلمتي لا يمكن أن يكون لها تأثير على أولئك الذين يعتمد عليهم القرار فيما إذا كانت هناك حرب أو سلام. أعلم أن الكثيرين في الغرب يعتقدون أن كلمتي لها وزنها. أتمنى لو كان لديَّ الإيمان ذاته. لغياب مثل ذلك الإيمان بداخلي ، كنت أصلي سرًّا ليجنبنا الله مصيبة الحرب. لكني لا أتردد في إعادة إعلان إيماني بالعقل، والعقل هو مرادف آخر للا عنف،

بدلًا من تحكيم الحرب لتسوية النزاعات أو تدارك الأخطاء. لا أستطيع أن أؤكد اعتقادي بشدة أكثر من القول بأنني شخصيًّا لن أشتري حرية بلدي بالعنف حتى لو كان هذا الأمر ممكنًا. إيماني بالقول الحكيم؛ أن ما يُكتسب بالسيف سيضيع بالسيف، لا بزول. كم أتمنى أن يستجيب هتلر لنداء رئيس الولايات المتحدة ويسمح بالتحقيق في ادعائه بواسطة مُحكِّمين يشارك خصومه بالتساوي في اختيارهم!

سيفجرام ٢٨-٨-١٩٣٩م

من جريدة هاريجان ٢-٩-١٩٣٩م

ألغاز:

هكذا يسأل عضو معروف في الكونجرس:

«١- ما هو موقفك الشخصي تجاه هذه الحرب بما يتوافق مع اللا عنف؟

٢. هل هو نفس موقفك أثناء الحرب الأخيرة أم يختلف عنه؟

٣. كيف يمكنك في ظل اللا عنف أن تشارك بنشاط وتساعد الكونجرس، الذي تقوم سياسته على العنف، في الأزمة الحالية؟

٤. ما هي خطتك المحددة القائمة على اللا عنف لمعارضة أو منع هذه الحرب؟».

تكشف هذه الأسئلة عن شكوى ودية طويلة حول التناقضات الظاهرة لديَّ أو غموضي. كلاهما شكوى قديمة، مبررة تمامًا من

وجهة نظر المشتكين، وغير مبررة تمامًا من طرفي. لذا يجب أن نقر – أنا والمشتكين – بالاختلاف. اسمحوا لي فقط أن أقول ذلك وحسب. في وقت الكتابة لم أفكر أبدًا فيما قلته من قبل. إن هدفي ليس أن أكون متسقًا مع تصريحاتي السابقة حول مسألة معينة، ولكن أن أكون متسقًا مع الحقيقة كما قد تكشف عن نفسها لي في لحظة معينة. النتيجة هي أنني نضجت من حقيقة إلى حقيقة. لقد حفظتُ ذاكرتي من إجهاد لا داعيَ له، وما هو أكثر من ذلك، كلما اضطررت إلى مقارنة كتاباتي حتى قبل خمسين عامًا بالكتابات الأحدث، لمست غياب أي تناقض بين الاثنين. لكن الأصدقاء الذين يلاحظون عدم الاتساق سيسدون لي خيرًا إذا أخذوا المعنى الذي قد تُعبر عنه كتاباتي الأخيرة، ما لم يُفضِّلوا، بالطبع، القديمة. لكن قبل اتخاذ القرار، يجب أن يحاولوا معرفة ما إذا كان ليس هناك اتساق ضمني ومتصل بين التناقضين الظاهريين.

بقدر ما يتعلق الأمر بغموضي، يجب على الأصدقاء أن يأخذوا تأكيدي على أنه لا توجد أبدًا أي محاولة من جانبي لأن أخفي أفكاري عندما تكون ذات صلة. في بعض الأحيان ينشأ ذلك عن رغبتي في أن أكون مُختصرًا وفي بعض الأحيان يجب أن يكون ذلك بسبب جهلي الشخصي بالموضوع الذي تمت دعوتي كي أقول رأيي حياله.

لإعطاء مثال نموذجي؛ يكتب صديق لا يوجد بيني وبينه أبدًا أي تحفظ فكري، بكرب أكثر منه بغضب:

«في الحدث غير المرجح المتمثل في كون الهند مسرحًا للحرب، هل غاندي على استعداد لتقديم النصح لمواطني بلده بأن يكشفوا صدورهم لسيف العدو؟ قبل فترة وجيزة، كنت لأضمن كلمتي بأنه سيفعل ذلك، لكنني لم أعد واثقًا أكثر من ذلك».

لا يمكنني إلا أن أؤكد له، أنه على الرغم من كتاباتي الأخيرة، يمكنه الاحتفاظ بثقته بأنني سأقدم النصيحة ذاتها التي كان يتوقعها من قبل، أو كما قدمت للتشيك أو الحبشة. إن اللا عنف الذي أتبناه مصنوع من مادة صلبة. إنه أكثر صلابة من أصلب معدن عرفه العلماء. مع ذلك، للأسف، أدرك بألم حقيقة أنه لم يحقق بعد صلابته الوطنية. لو كان الأمر كذلك، لكان الله قد أراني طريقة للتعامل مع الكثير من حالات العنف المحلية التي أشهدها يوميًّا وأنا عاجز. لا أقول ذلك بغطرسة، ولكن عن معرفة مؤكدة بقوة اللا عنف التامة. لن أمتلك قوة اللا عنف وأبخس قيمتها كي أغطي على محدوديتي أو ضعفي.

الآن، هذه بضعة أسطر للإجابة على الأسئلة السابقة.

رد فعلي الشخصي تجاه هذه الحرب هو الاشمئزاز العظيم أكثر من أي وقت مضى. لم أكن حزينًا من قبل كما أنا اليوم. لكن الاشمئزاز الأكبر سيمنعني اليوم من تنصيب نفسي رقيبًا، كما أصبحت خلال الحرب الأخيرة. مع ذلك، قد يبدو من الغريب أن تعاطفي الكامل هو مع قوات الحلفاء. شئنا أم أبينا، صارت هذه الحرب حربًا بين الديموقراطية التي طوَّرها الغرب وبين استبداد

مُمثل في هر هتلر. على الرغم من أن الدور الذي تلعبه روسيا مؤلم، لكن دعونا نأمل أن يؤدي هذا الدمج الغريب إلى نتيجة حسنة رغم أنه اندماج غير مقصود، لا يمكن لأحد التنبؤ بتطوره. ما لم يُعانِ الحلفاء من وقع الفوضى والذي لا يوجد أدنى مؤشر عليه، يمكن استخدام هذه الحرب لإنهاء كل الحروب ذات النوعية السامة التي نراها اليوم على أي حال. آمل أن تلعب الهند -رغم ارتباكها بسبب الشقاقات الداخلية- دورًا فعالًا في ضمان النهاية المنشودة ونشر ديموقراطية أنظف مما كان عليه الحال حتى الآن. سيعتمد هذا بلا شك على كيفية تصرف لجنة عمل الكونجرس في المأساة الحقيقية التي يتم لعبها على المسرح العالمي. نحن ؛ ممثلون ومتفرجون في الدراما على السواء. إن دوري واضح، سواء عملت كمرشد متواضع للجنة العمل أو إذا كان بإمكاني أن أستخدم نفس تعبير الحكومة من دون إساءة، سيكون توجهي صوب غرض متعمد يتمثل في اتخاذ أحدهما أو كلاهما بخطوة غير محسوسة على الإطلاق صوب طريق اللا عنف. من الواضح أنني لا أستطيع فرض تلك الخطوة على كلاهما. كل ما يمكنني فعله هو أن أستخدم هذه القوة التي قد يمنحها الله لرأسي أو قلبي في الوقت الحالي.

٢- أعتقد أن إجابة السؤال الأول قد شملت الثاني.

٣. هناك درجات من العنف مثل اللا عنف. لم تَجِد لجنة عمل الكونجرس عمدًا من سياسة اللا عنف، لكنها لا يمكنها أن تقبل

بصدق التضمينات الحقيقية للا عنف. لقد بدا أن الغالبية العظمى من أعضاء الكونجرس لم يفهموا بوضوح أنه في حالة مواجهة الخطر الخارجي يتوجب عليهم الدفاع عن البلاد بوسائل غير عنيفة. كل ما تعلموه حقًّا هو أن يدعموا نضالًا ناجحًا ضد الحكومة البريطانية. لم يتلقَّ رجال الكونجرس أي تدريب على استخدام اللا عنف في مجالات أخرى؛ فعلى سبيل المثال لم يكتشفوا بعد طريقة مؤكدة للتعامل بنجاح بطريقة غير عنيفة مع أعمال الشغب الطائفية أو أعمال البلطجة. تكون الحجة نهائية بقدر ما تقوم على التجربة الفعلية. لن أخدم قضية اللا عنف، إذا هجرت أفضل زملائي في العمل؛ لأنهم لم يتمكنوا من متابعتي في تطبيق موسع للا عنف. لذلك أبقى معهم، مؤمنًا أن خروجهم عن الطريقة اللاعنفية سوف يكون محصورًا في أضيق مجال وسيكون مؤقتًا.

٤- ليست لديَّ خطة صلبة جاهزة. هذا مجال جديد بالنسبة لي أنا أيضًا. لكن ليست لديَّ أي خيارات فيما يتعلق بالوسائل. يجب أن تكون دائمًا غير عنيف تمامًا، سواء كان تعاملي مع أعضاء لجنة العمل أو مع نائب الملك. لذلك فإن ما أفعله هو في حد ذاته جزء من الخطة الصلبة. سيتم الكشف عن المزيد من يوم لآخر، كما كانت جميع خططي كذلك دائمًا. لقد جاءني قرار عدم التعاون الشهير في غضون أقل من ٢٤ ساعة من اجتماع لجنة الكونجرس لعموم الهند،

حيث تم نقله إلى كلكتا عام ١٩٢٠، وكذلك فعلت مسيرة داندي[٧٧] ذلك بطريقة عملية. لقد تم وضع أساس العصيان المدني الأول تحت الاسم المعروف آنذاك؛ بالمقاومة السلبية، عن طريق الصدفة في اجتماع للهنود بجوهانسبرج في عام ١٩٠٦م والذي عقد بهدف إيجاد وسائل للنضال ضد إجراء معاداة الآسيويين في تلك الأيام. كنت قد ذهبت إلى الاجتماع دون قرار مسبق. لقد تولد القرار في هذا الاجتماع. لا يزال الإبداع فيه يتوسع. لكن بافتراض أن الله قد وهبني قدرات كاملة (وهو ما لم يفعله أبدًا)، سأطلب على الفور من الإنجليز أن يلقوا بأسلحتهم ويحرروا جميع أتباعهم، وأن يفتخروا بأن يُدعوا «الإنجليز الضعفاء» ويتحدوا كل ديكتاتوريات العالم أن يفعلوا أسوأ ما يمكنهم فعله. عندئذٍ سيموت الإنجليز بعد ذلك بلا مقاومة وسيُسجلون في التاريخ كأبطال في مجال اللا عنف. من ناحية أخرى أود أن أدعو الهنود إلى التعاون مع الإنجليز في هذا الاستشهاد

(٧٧) «مسيرة داندي» أو «مسيرة الملح» الشهيرة: كانت عملًا من أعمال اللا عنف الشهيرة في الهند بقيادة غاندي والتي استمرت ٢٤ يومًا من ١٢ مارس ١٩٣٠ إلى ٥ إبريل ١٩٣٠م وذلك كمقاومة غير عنيفة ضد احتكار الملح البريطاني. بدأ غاندي هذه المسيرة مع ٧٨ من المتطوعين الموثوق بهم. امتدت المسيرة إلى ٢٢٠ ميل من أشرام سابارماتي إلى داندي. انضم إليه عدد متزايد من الهنود على طول المسيرة. عندما خرق غاندي قوانين الملح البريطانية في الساعة ٦,٣٠ صباحًا في يوم ٦ أبريل ١٩٣٠م، أثار ذلك عصيانًا مدنيًا واسع النطاق ضد قوانين الملح من قبل ملايين الهنود. بعد صنع الملح عن طريق التبخر في داندي، واصل غاندي مسيرته جنوبًا على طول الساحل، وصنع الملح وقام بعمل الاجتماعات على الطريق. تم القبض على غاندي في مايو ١٩٣٠م بعدما لفتت هذه الحركة أنظار العالم كله وتم تغطيتها صحفيًا على أوسع نطاق. استمرت هذه العملية ضد ضريبة الملح لمدة عام تقريبًا وانتهت بإطلاق سراح غاندي وعمل مفاوضات مع نائب الملك.

الإلهي. ستكون شراكة لا تنفصم عراها، مُسطَّرة بأحرف من دماء أجسادهم، وليس من دماء أولئك المدعوون أعدائهم. لكن ليس لديَّ مثل هذه القوة الشاملة. اللا عنف هو زرع بطيء النمو. إنه ينمو بشكل غير محسوس ولكن بثبات وحتى عندما أواجه خطر ألا أكون مفهومًا، يجب أن أسلك بطاعة لـ «الصوت الهادئ الخفيض».

في القطار إلى سملا ٢٥-٩-١٩٣٩م

من جريدة هاسريجان ٣٠-٩-١٩٣٩

على سبيل التجربة:

في سياق محادثة مع أعضاء لجنة عمل الكونجرس، اكتشفت أن لا عنفهم لم يتخطَّ أبدًا مستوى محاربة الحكومة البريطانية بذلك السلاح. لقد تشبثت بالاعتقاد الذي مفاده أن أعضاء الكونجرس قد قدروا قيمة النتيجة المنطقية لممارسة اللا عنف على مدار العشرين عامًا الماضية في محاربة أكبر قوة إمبريالية في العالم. لكن في التجارب العظيمة مثل تلك المتعلقة باللا عنف، فإن الأسئلة الافتراضية لديها بالكاد دور. لقد اعتدت أنا شخصيًّا أن أقول، ردًّا على الأسئلة، أنه عندما نحصل على الاستقلال، فعلًا، سنعرف ما إذا كان بإمكاننا الدفاع عن أنفسنا بطريقة غير عنيفة أم لا. لكن السؤال اليوم لم يعد افتراضيًّا. سواء كان هناك إعلان مؤيد من جانب الحكومة البريطانية أم لا، يتعين على الكونجرس أن يقرر المسار الذي سيتبعه في حالة غزو الهند. لأنه على الرغم من أنه قد لا تكون هناك تسوية مع الحكومة،

إلا أن الكونجرس يجب أن يعلن سياسته وأن يقول ما إذا كان سيقاتل الغازي بعنف أو بدون عنف.

بقدر ما أستطيع قراءة أفكار لجنة العمل بعد مناقشة شاملة تمامًا، يعتقد أعضاء الكونجرس أنهم غير مستعدين للدفاع غير العنيف ضد الغزو المسلح.

هذا أمر مأساوي. من المؤكد أن الوسائل التي يتم تبنيها لطرد العدو من موطنه يجب أن تتطابق بشكل أو بآخر مع الوسائل التي سيتم تبنيها لإبقائه خارج الوطن. على كل حالٍ، يجب أن تكون العملية الأخيرة أسهل. الحقيقة، على أي حال، هي أن معركتنا لم تكن مقاومة غير عنيفة للأقوياء. لقد كانت مقاومة سلبية للضعفاء. لذلك لا توجد استجابة تلقائية في قلوبنا، في هذه اللحظة السامية، للإيمان غير المحدود بفاعلية اللا عنف. لذلك قالت لجنة العمل بحكمة إنها ليست مستعدة للخطوة المنطقية. إن مأساة الوضع هي أنه إذا كان على الكونجرس أن يقرر تقاسم مصيره مع أولئك الذين يؤمنون بضرورة الدفاع المسلح للهند، ستكون العشرون عامًا الماضية، سنوات من الإهمال الجسيم للواجب الأساسي لأعضاء الكونجرس لتعلم علم الحرب المسلحة. أخشى أن يُحمِّلني التاريخ -كجنرال للمعركة- المسؤولية عن تلك المأساة. سيقول مؤرخو المستقبل إنه كان يجب أن أدرك أن الأمة لم تكن تتعلم اللا عنف الصادر من الأقوياء ولكن مجرد سلبية الضعفاء وأنه كان ينبغي عليَّ بالتالي توفير التدريب العسكري لأعضاء الكونجرس.

لكوني مهووسًا بفكرة أن الهند بطريقة أو بأخرى ستتعلم اللا عنف الحقيقي، لن يتبادر إلى ذهني أن أدعو زملائي في العمل إلى تدريب أنفسهم على الدفاع المسلح. على العكس من ذلك، لقد اعتدت أن أعارض كل مبارزة بالسيف وإبراز اللاثي[٧٨] الضخمة ولا آسف حتى على الماضي. لديَّ إيمان لا ينضب أن الهند- من بين جميع البلدان في العالم- هي الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تتعلم فن اللا عنف، وأنه إذا تم تطبيق الاختبار الآن، ربما يكون هناك آلاف الرجال والنساء اللذين يرغبون في الموت دون أن يضمروا حقدًا ضد مضطهديهم. لقد خاطبت الحشود وقلت لهم مرارًا وتكرارًا أنهم قد يعانون كثيرًا بما في ذلك الموت بالرصاص. ألم يتحمل آلاف الرجال والنساء المشقة خلال حملة الملح مثل تلك التي يُطلب من الجنود تحملها؟ ليست هناك حاجة إلى قدرة مختلفة عما تم إثباته بالفعل، إذا كان على الهند أن تناضل ضد غازي. فقط يجب أن يكون ذلك على نطاق أوسع.

شيء واحد لا ينبغي نسيانه. لا يلزم تدمير الهند، غير المسلحة، من خلال الغاز السام أو القصف. إن خط ماجينو[٧٩] هو الذي جعل خط سيغفريد[٨٠] ضروريًّا، والعكس صحيح. لقد كان من الضروري

(٧٨) اللاثي هي عصا طويلة من الخيزران تُستخدم كسلاح من قبل الشرطة في الهند.

(٧٩) خط ماجينو هو سلسلة من التحصينات الدفاعية التي بنتها فرنسا على حدودها مع ألمانيا في الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية.

(٨٠) خط سيغفريد هو خط دفاعي مواجه لخط ماجينو.

الدفاع عن الهند بالطرق الحالية؛ لأنها تابعة لبريطانيا. لا يمكن أن يكون للهند الحرة عدو. إذا تعلم شعبها فن قول «لا» بإصرار والتصرف وفقًا لذلك، فأنا أجرؤ على القول بأنه لن يرغب أحد في غزوها. سيكون اقتصادنا مثالًا لإثبات عدم إغراء المستغل.

لكن بعض أعضاء الكونجرس سيقولون: «بصرف النظر عن البريطانيين، يوجد في الهند الكثير من الأجناس العسكرية داخل حدودها لدرجة أنهم سيرغبون في خوض معركة من أجل بلدهم بقدر ما هي بلدنا». هذا صحيح تمامًا. لذلك أنا أتحدث في الوقت الحالي عن أعضاء الكونجرس فقط. كيف سيتصرفون في حالة حدوث غزو؟ لن نُحوِّل الهند أبدًا بأكملها إلى عقيدتنا إلا إذا كنا مستعدين للموت من أجلها.

يروق لي المسار المعاكس. بالفعل، فإن معظم الجيش يشغله المسلمون في الشمال والسيخ والجوركا. إذا رغبت جماهير الجنوب والوسط في أن تُزود بوسائل الدفاع العسكرية، فإن الكونجرس، الذي يفترض أنه يمثلها، سيكون عليه الدخول في منافسة مع ما سبق. حينئذ سيكون الكونجرس طرفًا في ميزانية عسكرية هائلة. قد تحدث كل هذه الأشياء دون موافقة الكونجرس، وستُحدِث كل الفارق الممكن حدوثه في العالم سواء كان الكونجرس طرفًا فيها أم لا. يبحث العالم عن شيء جديد وفريد في الهند. سيضيع الكونجرس وسط الحشد، إذا ارتدى نفس الدرع القديم البالي الذي يرتديه العالم اليوم.

الكونجرس له اسم لأنه يمثل اللا عنف اللاذع كسلاح سياسي بامتياز. إذا ساعد الكونجرس الحلفاء كممثل عن اللا عنف، فسيمنح الحلفاء سببًا للهيبة والقوة لا تقدر بثمن في تقرير المصير النهائي للحرب. لكن أعضاء لجنة العمل لم يُصرِّحوا بأمانة وشجاعة عن مثل ذلك اللا عنف.

بالتالي، فإن موقفي يقتصر عليَّ وحدي. لا بد لي أن أكتشف ما إذا كان لديَّ أي رفيق على طول الطريق الوحيد أم لا. إذا كنت من الأقلية، يجب أن أحاول القيام بتحويل الآخرين إلى مذهبي. يجب أن أصرح بإيماني الذي مفاده أنه من الأفضل للهند نبذ العنف تمامًا حتى ولو للدفاع عن حدودها. بالنسبة للهند، الدخول في سباق التسلح هو محاولة انتحار. مع خسارة الهند للا عنف، سيتلاشى الأمل الأخير للعالم. يجب أن أحقق معيار العقيدة التي أعلنتها في نصف القرن الماضي وآمل إلى النفس الأخير أن تجعل الهند اللا عنف عقيدة لها، مُحافظة على كرامة الإنسان، مانعة إياه من العودة إلى النوع الذي يُفترض أنه ارتقى منه.

سيفجرام ١٠-١٠-١٩٣٩م

من جريدة هاريجان ١٤-١٠-١٩٣٩م

التجنيد الإجباري العام:

سؤال: تقول إن هناك ملايين غير مسلحين وغير معتادين على حمل السلاح. لكن ما هي الصعوبة، عندما تكون الهند حرة، في

تدريب الأمة كلها على استخدام السلاح بواسطة التجنيد الإجباري العام؟

ج: بالطبع لا يوجد من الناحية النظرية ما يمنع التدريب بالتجنيد الإجباري العام. كل ما في الأمر هو أنني أظن أن أهل هذه الأرض لن يحملوا السلاح بسهولة حتى لو تم اللجوء إلى التجنيد الإجباري. عمومًا، فإن تسليح الملايين أو حتى القليل منهم، هو خارج نطاق عملي. إنه أمر بغيض بالنسبة لي. لكن ما أود تجنيده هو العامل المُنتج، الماهر وغير الماهر. أعتقد أن هذه ستكون الطريقة الأسهل والأكثر فعالية لتنظيم المجتمع على أساس سلمي.

سيفجرام ٢٨-١-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ٣-٢-١٩٤٠م

سؤالان من أمريكا:

يكتب صديق من أمريكا، يطرح السؤالين التاليين:

«١. من المفترض جدلًا أن الساتياجراها قادرة على الفوز باستقلال الهند. ما هي فرص قبول الهند للساتياجراها كمبدأ لسياسة الدولة في الهند الحرة؟ بعبارة أخرى، هل ستعتمد الهند القوية والمستقلة على الساتياجراها كوسيلة للحفاظ على الذات أم أنها ستزِل عائدة إلى البحث عن ملاذ داخل نظام الحرب القديم، مهما كانت طبيعتها دفاعية؟ لإعادة طرح السؤال على أساس مشكلة نظرية بحتة: هل من المحتمل أن يتم قبول الساتياجراها فقط في معركة شاقة، عندما تكون

ظاهرة الاستشهاد فعالة تمامًا، أم أنها أيضًا أداة لسلطة ذات سيادة ليست لديها حاجة ولا مجال للتصرف وفقًا لمبدأ الاستشهاد؟

لنفترض أن الهند الحرة تتبنى الساتياجراها كأداة لسياسة الدولة، كيف ستدافع عن نفسها ضد عدوان محتمل من قِبل دولة أخرى ذات سيادة ؟ لإعادة طرح السؤال على أساس مشكلة نظرية بحتة: ما هي أنماط عمل الساتياجراها لمواجهة الجيش الغازي على الحدود؟ ما نوع المقاومة التي يمكن تقديمها للخصم قبل إنشاء منطقة عمل مشتركة، مثل تلك الموجودة الآن في الهند بين القوميين الهنود والحكومة البريطانية؟ أم هل يجب على الساتياجراهيين أن يمتنعوا عن عملهم حتى بعد سيطرة الخصم على البلاد؟».

من المسلَّم به أن الأسئلة نظرية، كما أنها سابقة لأوانها لأنني لم أبرع في أسلوب اللا عنف برمته. لا تزال التجربة في طور الإعداد. إنها ليست حتى في مرحلتها المتقدمة. تتطلب طبيعة التجربة أن يكون المرء راضيًا بخطوة واحدة في المرة. ليس له أن يرى المشهد البعيد. لذلك يمكن أن تكون إجاباتي مجرد تخمينات.

في الحقيقة، كما قلت من قبل، ليس لدينا لا عنف خالص حتى في نضالنا من أجل نيل الاستقلال.

بالنسبة للسؤال الأول، أخشى أن تكون فرص قبول اللا عنف كمبدأ من مبادئ سياسة الدولة ضئيلة للغاية، بقدر ما أرى الأمر في الوقت الحاضر. إذا لم تقبل الهند اللا عنف كسياسة لها بعد الفوز بالاستقلال، يصبح السؤال الثاني غير ضروري.

لكن يمكنني أن أصرِّح بوجهة نظري الفردية حول فاعلية اللا عنف. أعتقد أنه تمكن إدارة الدولة على أساس غير عنيف، إذا كانت الغالبية العظمى من الناس غير عنيفة. بقدر ما أعرف، فإن الهند هي البلد الوحيد الذي لديه إمكانية أن يكون كذلك. إنني أُجري تجربتي بناء على هذا الإيمان. لنفترض، بالتالي، أن الهند قد حصلت على الاستقلال من خلال اللا عنف الخالص، يمكنها الاحتفاظ به أيضًا بالوسائل ذاتها. لا يتوقع الإنسان أو المجتمع اللا عنفي حدوث هجمات من الخارج من دون سبب واضح. على العكس من ذلك، يعتقد مثل هذا الشخص أو المجتمع اعتقادًا راسخًا بأن أحدًا لن يزعجه. إذا حدث الأسوأ، فهناك طريقتان متاحتان للا عنف. يمكنك أن تمنح الملكية للمعتدي ولكن لا تتعاون معه. لنفترض أن نسخة حديثة من نيرون جاءت إلى الهند، فإن ممثلي الدولة، سوف يسمحون له بالدخول ويخبرونه بأنه لن يحصل على مساعدة من الشعب. سيفضلون الموت على الخضوع. الطريقة الثانية ستكون المقاومة اللا عنفية من قِبل الأشخاص الذين تم تدريبهم بطريقة اللا عنف. يمكنهم أن يقدموا أنفسهم غير مسلحين كعلف لمدافع المعتدي. الاعتقاد الأساسي في كلتا الحالتين هو أنه حتى نيرون، ليس مجردًا من القلب. إن المشهد غير المتوقع للصفوف التي لا نهاية لها من الرجال والنساء يموتون ببساطة بدلًا من الاستسلام لإرادة المعتدي، يجب في النهاية أن يرققه هو والجنود. إذا تحدثنا من الناحية العملية؛ على الأرجح لن تكون هناك خسارة أكبر في البشر مما لو تم عرض المقاومة القسرية. لن يكون هناك إنفاق على التسليح والتحصينات. سيضيف التدريب

غير العنيف الذي يتلقاه الناس بشكل لا يمكن تصوره إلى سموهم الأخلاقي. سيكون هؤلاء الرجال والنساء قد أظهروا شجاعة شخصية من نوع أعلى بكثير من تلك التي تظهر في الحرب المسلحة. في كل حالة تُصر الشجاعة على الموت لا القتل. أخيرًا، لا يوجد شيء اسمه الهزيمة في المقاومة اللا عنفية. أما مسألة أن ذلك لم يحدث من قبل، فلا يكفي ذلك ليجيب عن تكهناتي. لم أرسم أي صورة مستحيلة. التاريخ حافل بحالات اللا عنف الفردي من النوع الذي ذكرته. لا يوجد مبرر للقول أو التفكير في أن مجموعة من الرجال والنساء لا يمكنها أن تنال التدريب الكافي على التصرف بشكل غير عنيف كمجموعة أو أمة. في الواقع، فإن مجموع خبرة الجنس البشري هو أن البشر يعيشون بطريقة أو بأخرى طبقًا لذلك، ومن هذه الحقيقة أستنتج أن قانون الحب هو الذي يحكم البشرية. لو حُكِمنا بالعنف؛ أي الكراهية، لكنا قد انقرضنا منذ زمن بعيد. مع ذلك، فإن المأساة هي أن ما يُسمُّون البشر والأمم المتحضرة يسلكون كما لو أن العنف هو أساس المجتمع. يمنحني الأمر فرحة لا توصف بأن أُجري تجارب تثبت أن الحب هو القانون الأسمى والوحيد للحياة. لا يمكن للكثير من الأدلة المناقضة لذلك أن تهز إيماني. حتى اللا عنف المشوش للهند قد دعم ذلك. أما إذا لم يكف ذلك لإقناع من لا يؤمن به، فيكفي أن ينظر إليه ناقد لطيف باستحسان.

سيفجرام ٨-٤-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ١٣-٤-١٩٤٠م

إلى أي مدى ينفع اللا عنف؟

يكتب صديق هندي:

روت بالأمس وكالة رويترز، بعبارات مثيرة للشفقة، عن سكان النرويج، وكيف أنهم تحت انهمار القنابل ورصاص المدافع الرشاشة، كانوا ينطلقون بسرعة من مدن مدمرة تمامًا وفي حالة ذعر. إنه لأمر مروع أن يتم تحويل هؤلاء الأشخاص الطيبين فجأة إلى هذه الحالة العاجزة لمجرد أنهم ببساطة لم تكن لديهم الإرادة ولا الموارد اللازمة لتطوير تقنية التدمير إلى فن جميل. لقد تم إثبات عدم جدوى العنف وكذلك- كما أخشى القول- فعاليته المؤقتة. ما فائدة دفاع النرويج العنيف؟ ومع ذلك، في الوقت الحاضر، يبدو أن أكبر عنف لألمانيا قد نجح! دعونا نأمل أخيرًا أن يدرك الجميع عدم جدوى العنف وأنه ربما يبزغ فجر عصر جديد. ولكن هل حقًّا نقدم مساهمة لا عنفية تجاه مشكلة العالم؟ ما فائدة لا عنفنا للنرويج والسويد والدنمارك؟ ألسنا بذلك نقدم الدافع المناسب لألمانيا؟ صحيح أننا لا نفعل شيئًا سوى إرباك بريطانيا العظمى، وربما نقول إن مثل هذا الإرباك هو أمر حتمي ولا يحدث عن عمد، لكن تظل الحقيقة أن إنجلترا في محنة، ومن خلال ما نفعله، فإننا نحرج ليس فقط إنجلترا، ولكن كل الدول الطيبة الأخرى التي كانت ضحايا للعدوان. على ما يبدو فإنه ليس من المحتمل أن ننجح في تغيير قلب إنجلترا والضحايا مثل النرويج... إلخ. لا يمكنهم أبدًا تقدير موقفنا. في ضوء موقفنا الحالي، يمكن

للعالم الدولي أن يسيء تفسير ماضينا لمساعدة ضحايا العدوان مثل الصين وإسبانيا. هل كانوا يستحقون مساعدتنا أكثر من الضحايا الحاليين؟ وإذا لم يكن كذلك، فلماذا هذا التمييز؟ ببساطة لأن القوة الإمبريالية، حتى من أجل مصلحتها الخاصة، تصادف أنها قررت القيام بشيء نبيل وأخلاقي! إنك لم تندم أبدًا على عملك أثناء الحرب الأخيرة عندما قمت بتجنيد أشخاص بحماس لأغراض عسكرية. هذه المرة يبدو أن موقفك في تناقض حاد، على الرغم من أنك تقول إن كلا الموقفين صحيح».

ليس مراسلي هو الشخص الوحيد من بين معظم الأشخاص المثقفين والمسالمين مثل الدانماركيين والنرويجيين الذي يتحسر على الكثير. تُظهر هذه الحرب عدم جدوى العنف. لنفترض أن هتلر قد انتصر على الحلفاء، لن يستطيع إخضاع إنجلترا وفرنسا أبدًا. سيعني ذلك حربًا أخرى. لنفترض أن الحلفاء قد انتصروا، لن يكون العالم أفضل حالًا. سيكونون أكثر أدبًا، ولكن لن يصيروا أقل قسوة، ما لم يتعلموا درس اللا عنف أثناء الحرب، وما لم يتخلوا عن المناورات التي قاموا بها من خلال العنف. الشرط الأول للا عنف هو العدالة في كل مكان في كل مجال من مجالات الحياة. ربما يكون من الصعب توقعه من الطبيعة البشرية. أنا لا أعتقد ذلك ومع هذا لا ينبغي لأحد أن يؤكد على قدرة الطبيعة البشرية على الانحطاط أو التسامي.

لم يجلب اللا عنف الهندي أي راحة للقوى الغربية المتحضرة لأنه لا يزال فقيرًا. لماذا نذهب بعيدًا جدًّا حتى نرى عدم فعاليته؟ نحن

في الهند ممزقون إربًا على الرغم من سياسة الكونجرس اللاعنفية. الكونجرس نفسه لا يتمتع بالثقة. لن يُصاب العالم بالعدوى حتى يمثل الكونجرس أو مجموعة مماثلة من الناس لا عنف الأقوياء.

كانت مساعدة الهند لإسبانيا والصين معنوية فقط. كانت المساعدة المادية مجرد علامة ضئيلة على ذلك. لا يكاد يوجد هندي واحد لا يشعر بنفس التعاطف تجاه النرويج والدنمارك اللذين فقدا حريتهما بين عشية وضحاها. على الرغم من أن قضيتهما تختلف عن قضية إسبانيا والصين، إلا أن الخراب الذي حدث لهما ربما يكون أكثر اكتمالا من حالة إسبانيا والصين. في الواقع، هناك فرق مادي حتى بين الصين وأسبانيا، لكن لا يوجد فرق فيما يتعلق بالتعاطف. ليس لدى الهند الفقيرة ما ترسله إلى هذه البلدان باستثناء نبذها للعنف. لكن، كما قلت، هذه ليست سلعة قابلة للإرسال بعد. ستكون كذلك، عندما تنال الهند حريتها من خلال اللا عنف.

ثم تتبقى قضية بريطانيا. لم يتسبب الكونجرس في أي حرج. لقد أعلنتُ بالفعل أنني لن أفعل شيئًا لإحراج بريطانيا العظمى. سوف تشعر بريطانيا بالحرج إذا سادت الفوضى الهند. طالما أن الكونجرس يسير على خطى إرشادي، فلن يدعم بريطانيا.

ما لا يستطيع الكونجرس فعله هو إعارة تأثيره الأخلاقي لبريطانيا. لا يُمنح التأثير الأخلاقي بشكل آلي. الأمر متروك لبريطانيا لتقبل الأمر. ربما لا يعتقد رجال الدولة البريطانيون أن الكونجرس لديه

شيء كي يعيره. ربما يعتقدون أن كل ما يحتاجون إليه هو مساعدة مادية في هذا العالم المتضائل. إذا فعلوا ذلك، فلن يكونوا مخطئين كثيرًا. إن الأخلاق مُحرمَّة في الحرب. إن مراسلي قد تنازل عن مجمل قضيته لبريطانيا عندما قال: "ليس من المرجح أن ننجح في تغيير قلب إنجلترا». لا أتمنى السوء لبريطانيا. سأحزن إذا سقطت بريطانيا. لكن التأثير الأخلاقي للكونجرس لا يمكن أن ينفع بريطانيا ما لم تُبرئ ساحتها من الهند. إن بريطانيا تعمل وفقًا لوضعها غير القابل للتغيير.

لا يرى صديقي فرقًا بين خدمتي العسكرية في خيدا[٨١] وبين موقفي الآن. لم يتم إثارة القضية الأخلاقية خلال الحرب الأخيرة. لم يكن الكونجرس ملتزمًا باللا عنف. لم تكن لديه القبضة الأخلاقية على الجماهير التي يتمتع بها الآن. كنت أتصرف بمفردي في كل ما فعلته. حتى أنني حضرت مؤتمر الحرب[٨٢] ولكي أكون وفيًّا لتصريحي، كنت أجند نفسي على حساب صحتي. لقد أخبرت الناس أنهم إن أرادوا قتالًا، فإن الخدمة العسكرية هي أضمن طريقة للحصول عليه. لكن إذا كانوا لا عنفيين مثلي، فإن طلبي لم يكن لهم. لم يكن هناك رجل غير عنيف بين جمهوري على حد علمي. كان ترددهم بناء على سوء نية تجاه بريطانيا. كان هذا يفسح المجال تدريجيًّا لتصميم مستنير للتحرر من النير الأجنبي.

---

(٨١) الحديث هنا عن حملة التجنيد التي قادها غاندي في نهاية الحرب العالمية الأولى، عندما طلب من الشعب أن يتجندوا كمقاتلين، وذلك بناء على طلب الحاكم البريطاني

(٨٢) هو المؤتمر الذي عُقد في دلهي، ودعا فيه الحاكم البريطاني الكثير من الزعماء وذلك في نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م.

تغيرت الأمور منذ ذلك الحين. على الرغم من الدعم الإجماعي الذي حصلت عليه بريطانيا خلال الحرب الأخيرة من الهند، تمت ترجمة الموقف البريطاني إلى قانون رولات[٨٣] وما شابه. قَبِل الكونجرس عدم التعاون اللا عنفي لمواجهة الخطر البريطاني. هناك ذكرى مذبحة أمريتسار ولجنة سيمون[٨٤] ومؤتمرات المائدة المستديرة[٨٥] وإضعاف البنغال لأجل آثام قلة. بعد أن قبل الكونجرس اللا عنف، لا أحتاج إلى الذهاب إلى الناس لمنح مجندين. يمكنني من خلال الكونجرس أن أعطي شيئًا أفضل بلا حدود من عدد قليل من هؤلاء المجندين. من الواضح أن بريطانيا ليست في حاجة إلى ذلك. أنا مستعد، لكنني قليل الحيلة.

سيفجرام ٣٠-٤-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ٤-٥-١٩٤٠م

---

(٨٣) في عام ١٩١٩م أصدرت الحكومة البريطانية قانون رولات الذي أعطى سلطات للشرطة لاعتقال أي شخص دون أي سبب على الإطلاق. كان الغرض من هذا القانون هو كبح جماح الانتفاضة القومية المتزايدة في البلاد وقد سمي القانون على اسم القاضي البريطاني السير سيدني رولات، رئيس اللجنة التي أوصت بهذا القرار.

(٨٤) لجنة سيمون هي اللجنة التي أرسلتها بريطانيا للهند عام ١٩٢٨م برئاسة السير جون سيمون لتقديم تقرير عن التقدم الدستوري للهند.

(٨٥) كانت مؤتمرات المائدة المستديرة الثلاث في ١٩٣٠-١٩٣٢م عبارة عن سلسلة من مؤتمرات السلام نظمتها الحكومة البريطانية والشخصيات السياسية الهندية لمناقشة الإصلاحات الدستورية في الهند. بدأت في نوفمبر ١٩٣٠، وانتهت في ديسمبر ١٩٣٢.

الديموقراطية واللا عنف:

س: لماذا تقول: «لا يمكن إنقاذ الديموقراطية إلا من خلال اللا عنف؟» (السائل هو صديق أمريكي).

ج: لأن الديموقراطية، ما دامت مؤيدة بالعنف، لا يمكنها أن تدعم الضعفاء أو تحميهم. فكرتي عن الديموقراطية هي أن الأضعف في ظلها يجب أن يحصل على نفس الفرصة مثل الأقوى. لا يمكن أن يحدث هذا إلا من خلال اللا عنف. لا يوجد بلد في العالم اليوم يُظهر أي شيء قبالة الضعفاء سوى التعالي. الأضعف، كما تقولون، يُغلب على أمره. تولَّ أمرك. إن أرضك مملوكة لعدد قليل من الملاك الرأسماليين. ينطبق الشيء نفسه على جنوب أفريقيا. لا يمكن الحفاظ على هذه المقتنيات الكبيرة إلا بالعنف، وبالحجب إن لم تكن مكشوفة. إن الديموقراطية الغربية، كما تعمل اليوم، هي نوع مخفف من النازية أو الفاشية. في أحسن الأحوال، هي مجرد عباءة لإخفاء الميول النازية والفاشية للإمبريالية. لماذا الحرب اليوم، إذا لم تكن لإشباع الرغبة في تقاسم الغنائم؟ لم تغزو بريطانيا الهند من خلال الأساليب الديموقراطية. ما معنى ديموقراطية جنوب افريقيا؟ تم وضع دستورها لحماية الرجل الأبيض من الرجل الملون؛ الساكن الطبيعي. ربما لا يزال تاريخكم أكثر سوادًا، على الرغم مما فعلته الولايات الشمالية لإلغاء العبودية. تقدم الطريقة التي تعاملتم بها مع

الزنوج[٨٦] سجلًا مشكوكًا فيه. تُخاض الحرب من أجل إنقاذ مثل هذه الديموقراطيات. هناك شيء زائف حيال ذلك الأمر. أنا أفكر الآن فقط من منظور اللا عنف وأحاول أن أعرِّي العنف.

تحاول الهند أن تطوِّر ديموقراطية حقيقية؛ أي من دون عنف. إن أسلحتنا هي تلك الخاصة بالساتياجراها التي يتم التعبير عنها من خلال الشاركا[٨٧] والصناعات القروية والتعليم الأساسي من خلال الحرف اليدوية وإزالة النبذ والوئام المجتمعي وحظر الكحوليات والتنظيم اللا عنفي للعمل كما هو الحال في أحمد آباد. هذا يعني جهدًا وتعليمًا جماعيًّا. لدينا وسائل ضخمة للقيام بهذه الأنشطة. إنها وسائل طوعية بحتة ووازعها الوحيد هو خدمة الأكثر وضاعة.

هذا هو الجزء الدائم من الجهد اللا عنفي. من هذا الجهد تنشأ القدرة على تقديم مقاومة غير عنيفة تسمى عدم التعاون والعصيان المدني والتي قد تتوج برفض جماعي لدفع الإيجار والضرائب. كما تعلم، لقد حاولنا تطبيق عدم التعاون والعصيان المدني على نطاق واسع وبنجاح إلى حد ما. تتضمن التجربة وعدًا بمستقبل باهر. حتى الآن كانت مقاومتنا هي مقاومة الضعفاء. الهدف هو تطوير مقاومة الأقوياء. لن تضمن حروبكم أبدًا سلامة الديموقراطية. يمكن لتجربة الهند أن تحقق ذلك، وستفعل، إذا توصل الناس إلى الهدف، أو بعبارة

(٨٦) الكلمة الإنجليزية هنا هي: **Negro**.

(٨٧) **Charkha** (شاركا) هي عجلة غزل محلية (في جنوب آسيا) تستخدم أساسًا للقطن.

أخرى، إذا أعطاني الله الحكمة والقوة اللازمتين لجعل التجربة تؤتي ثمارها.

سيفجرام ١٣-٥-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ١٨-٥-١٩٤٠م

كيفية مقاومة الحركة الهتليرية:

أيًّا كان ما سيثبته هتلر في النهاية، نحن نعلم ما تعنيه الحركة الهتلرية. إنها تعني القوة العارية القاسية التي تم اختزالها في علم دقيق وعملت بدقة علمية. يكاد تأثيرها لا يُقاوم.

في الأيام الأولى للساتياجراها عندما كانت لا تزال تُعرف بالمقاومة السلبية نُشر بصحيفة النجمة (the star) في جوهانسبرج التي أضرمها مشهد حفنة من الهنود- غير المسلحين بالكامل، غير القادرين على العنف المنظم حتى لو رغبوا في ذلك، واضعين أنفسهم في مواجهة حكومة مسلحة على نحو ساحق- رسم كاريكاتوري، تم تصوير الحكومة فيه على أنها مدحلة بخارية[٨٨]، مُمثلِّة لقوة لا تقاوم، وقد تم تصوير المقاومة السلبية على أنها فيل هادئ يجلس بشكل مريح في مقعده. كانت هذه قوة ثابتة واضحة. كان لرسام الكاريكاتير نظرة ثاقبة حقيقية للمبارزة بين القوة التي لا تقاوم والقوة الثابتة. لقد كانت أزمة. إننا نعرف ماذا حدث بعدها. ما صوِّر بوصفه لا يُقاوم

(٨٨) المدحلة البخارية هي نوع من آلات البناء الثقيلة المستخدمة في تسوية الأسطح مثل الطرق والمطارات، يتم تشغيلها بواسطة محرك بخاري.

تمت مقاومته بنجاح من قِبل القوة الثابتة للساتياجراها، وقد أُطلق عليه معاناة دون انتقام.

ما تبينت صحته آنذاك يمكن أن يكون كذلك أيضًا الآن. لن تُهزم الحركة الهتلرية أبدًا من قِبل حركة هتلرية مضادة. لن يؤدي ذلك إلا إلى توليد حركة هتلرية أقوى، وهكذا إلى ما لا نهاية. إن ما يحدث أمام أعيننا هو دليل على عدم جدوى العنف كما هو الأمر مع الحركة الهتلرية.

اسمحوا لي أن أشرح ما أعنيه بفشل الحركة الهتلرية. لقد سلبتْ حرية الدول الصغيرة. لقد أجبرتْ فرنسا على توسل السلام. ربما في الوقت الذي تتم فيه طباعة كلماتي هذه، ستكون بريطانيا قد قرَّرت مسارها. إن سقوط فرنسا يكفي لحجتي. أعتقد أن رجال الدولة الفرنسيين قد أظهروا شجاعة نادرة في الخضوع لما لا مفر منه ورفضهم أن يكونوا طرفًا في المذابح المتبادلة الحمقاء. لن يكون هناك أي معنى لخروج فرنسا منتصرة إذا فُقد وتد الحقيقة. يصير سبب الحرية شيئًا مثير للسخرية، إذا كان الثمن الواجب دفعه هو التدمير الشامل لأولئك الذين عليهم الاستمتاع بالحرية. يصير الأمر حينئذ إرضاءً شائنًا للطموح. إن شجاعة الجندي الفرنسي معروفة عالميًّا. لكن لندع العالم يعرف أيضًا الشجاعة الأكبر لرجال الدولة الفرنسيين في المطالبة بالسلام. لقد افترضتُ أن رجال الدولة الفرنسيين قد اتخذوا الخطوة بطريقة مشرفة تمامًا كجنود حقيقيين. اسمحوا لي أن آمل ألا يفرض هر هتلر أي شروط مذلة، بل يظهر - على الرغم من أن

بإمكانه أن يقاتل من دون رحمة- أن بإمكانه أن يعقد سلامًا برحمة.

ولكن لاستئناف مسار النقاش. ماذا سيفعل هتلر بانتصاره؟ هل يمكنه استيعاب المزيد من القوة؟ هو شخصيًّا سيمضي خالي الوفاض مثل سلفه الإسكندر الذي لم يكن بعيدًا جدًّا عنه. بالنسبة للألمان، لن تُترك لهم متعة امتلاك إمبراطورية قوية، بل عبء تكبد ثقلها الساحق لأنهم لن يكونوا قادرين على السيطرة على كل الأمم المهزومة بخضوع كامل، وأنا أشك فيما إذا كان الألمان من أجيال المستقبل سيشعرون بالفخر التام بالأفعال التي ستعتبر الحركة الهتلرية مسؤولة عنها. سوف يحترمون هر هتلر باعتباره رجلا عبقريًّا وشجاعًا ومُنظِّمًا بشكل فذ وأكثر من ذلك. لكن عليَّ أن أتمنى أن يتعلم ألمان المستقبل فن التمييز حتى فيما يتعلق بأبطالهم. على أي حال، أعتقد أنه يُسمح لي أن أقول بأن كل الدماء التي أراقها هتلر لم تضف جزءًا من مليون من المكانة الأخلاقية للعالم.

في مقابل هذا، تخيل حال أوروبا اليوم إذا قال كل من التشيك والبولنديين والنرويجيين والفرنسيين والإنجليز لهتلر: «إنك لا تحتاج إلى إعداد استعدادك العلمي للتدمير. سنواجه عنفك باللا عنف. لذلك، ستكون قادرًا على تدمير جيشنا اللا عنفي من دون دبابات مصفحة ومدرعات ومناطد». قد يتم الرد على ذلك بحجة معاكسة بأن الاختلاف الوحيد هو أن هتلر كان سيفوز دون أن يقاتل ما ربحه بعد معركة دامية. كان تاريخ أوروبا سيُكتب بشكل مختلف عندئذٍ. قد يتم

الاستيلاء على الملكيات (فقط «قد») كما تم أخذها الآن بعد ارتكاب أعمال وحشية لا تعد ولا تُحصى. في ظل اللا عنف، يوجد فقط أولئك الذين كانوا سيقتلون والذين قد دربوا أنفسهم على أن يتم قتلهم- إذا كان هذا مطلوبًا- ولكن دون حمل أي ضغينة تجاه أي شخص. إنني أجرؤ على القول بأن أوروبا في هذه الحالة كانت ستضيف قليلا إلى مكانتها الأخلاقية. في النهاية أتوقع أن القيمة الأخلاقية هي التي ستحسب. كل ما عدا ذلك نفاية.

لقد كتبت هذه السطور للقوى الأوروبية، لكنها موجَّهة لنا أيضًا. إذا كانت حجتي قد عادت بنا إلى البداية، ألم يحن الوقت بالنسبة لنا لأن نعلن إيماننا الثابت بلا عنف الأقوياء ونقول إننا لا نسعى للدفاع عن حريتنا بقوة السلاح، لكننا سندافع عنها بقوة اللا عنف؟

سيفجرام ١٨-٦-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ٢٢-٦-١٩٤٠م

أفضل مجال للأهيمسا:

لقد كتبت في الأسبوع الماضي عن ثلاثة حقول لعمل الأهيمسا. أعتزم على لفت الانتباه اليوم إلى الحقل الرابع وهو أفضل حقل لعمل الأهيمسا. إنه حقل العائلة، بمعنى أوسع من المعتاد. بالتالي يجب اعتبار أعضاء مؤسسةٍ ما كعائلة. يجب أن يكون اللا عنف بين أفراد هذه العائلات سهل الممارسة. إذا فشل ذلك، فهذا يعني أننا لم نُطوِّر القدرة على اللا عنف الخالص؛ لأن الحب الذي يجب أن نمارسه

تجاه أقاربنا أو زملائنا في عائلاتنا أو مؤسساتنا، علينا أن نمارسه تجاه أعدائنا وأفراد العصابات... إلخ. إذا فشلنا في حالة واحدة، فإن النجاح في الحالة الأخرى هو وهم.

لقد افترضنا بشكل عام أنه على الرغم من أنه قد لا يكون من الممكن أن نمارس اللا عنف في الحقل المنزلي، إلا أنه من الممكن القيام بذلك في الحقل السياسي، ولقد ثبت أن ذلك مجرد وهم خالص. لقد اخترنا أن نصف الأساليب التي تبنيناها حتى الآن على أنها أساليب لا عنف، وبالتالي رسمنا اللا عنف نفسه بشكل كاريكاتوري. إذا كان اللا عنف كذلك، فقد كان إذَنْ من الأمور السيئة التي أثبتت عدم جدواها في اللحظة الحرجة. أفضل حقل لتعليم مبادئ الأهيمسا هو الحقل العائلي، ويمكنني القول من التجربة إنه إذا حققنا النجاح فيه، سنكون متيقنين من القيام بذلك في كل مكان آخر. بالنسبة للشخص غير العنيف، فإن العالم بأسره هو عائلة واحدة. بالتالي لن يخاف أحدًا، ولن يخافه الآخرون.

سيتم الرد على ذلك بأن أولئك الذين يلبون مثل هذا الاختبار الخاص باللا عنف سيكونون قليلين ومتباعدين عن بعضهم. من المحتمل جدًّا أن يكون الأمر كذلك، لكن هذا ليس ردًّا على اقتراحي. أولئك الذين يُصرِّحون بإيمانهم باللا عنف يجب أن يدركوا الآثار المترتبة على ذلك الاعتقاد. إذا أخافتهم هذه الأمور، سيرحبون بالتخلي عن الإيمان. الآن وقد أوضحتْ لجنة العمل في الكونجرس الموقف، من الضروري أن يدرك أولئك الذين يزعمون أنهم يؤمنون باللا عنف ما هو متوقع منهم.

لو نتج عن ذلك ضعف في صفوف الجيش اللا عنفي، فليس ذلك مهمًّا. لو كان هنالك جيش، مهما كان صغيرًا، من جنود غير عنيفين حقًّا، من المرجح أن يتكاثر يومًا ما. لا يمكن لجيش مكون من مؤمنين زائفين باللا عنف أن ينال أي منفعة، زادت أو قلَّت.

دعونا لا نفهم مما سبق أن الجيش اللا عنفي ليس مفتوحًا إلا لأولئك الذين يفرضون بصرامة في حياتهم جميع تداعيات اللا عنف. إنه مفتوح لجميع أولئك الذين يقبلون المعاني المُتضَمَّنة، ويبذلون جهدًا متزايدًا لإدراكها. لن يكون هناك جيش من أناس غير عنيفين بشكل كامل. سوف يتشكل من أولئك الذين سوف يسعون بصدق إلى إدراك اللا عنف. على مدى الخمسين عامًا الماضية، عملت جاهدًا لجعل حياتي غير عنيفة بشكل متزايد، ولإلهام زملائي في نفس الاتجاه، وأعتقد أنني حققت قدرًا لا بأس به من النجاح. إن الظلام المتزايد حولنا، بعيد عن أن يثبط حماستي ويُضعف إيماني. إنه يجعله أكثر سطوعًا، ويجعل مقتضيات اللا عنف أكثر وضوحًا بالنسبة لي.

من جريدة هاريجان ٢١-٧-١٩٤٠م

كيف نغرس الأهيمسا؟

س: ما فائدة صياحك: «الأهيمسا.. الأهيمسا» في كل وقت؟ هل هذا بحد ذاته يُعلِّم الناس أن يكونوا غير عنيفين؟ ألن يكون من الأفضل، بدلًا من ذلك، إخبار الناس كيفية غرس الأهيمسا الخالصة أو أهيمسا الأقوياء؟

ج: سؤال مناسب جدًّا وفي وقته. لقد حاولت قبل ذلك، في أكثر من مناسبة، أن أجيب عليه. لكني أعترف أن جهودي كانت غير ممنهجة إلى حد ما. لم أركز على ذلك أو أعطيه الأهمية التي يستحقها. كان الأمر ما يرام عندما كنت أكرس كل طاقتي لصياغة الوسائل اللازمة للدخول في صراع مع الحكومة. لكنها أدت إلى إعاقة نمو الأهيمسا الخالصة، لذلك نحن اليوم لسنا حتى ضمن نطاق أهيمسا الأقوياء. إذا أردنا الآن أن نتقدم أكثر، فيجب علينا، على الأقل لبعض الوقت، أن ننسى تمامًا فكرة تقديم المقاومة اللا عنفية للسلطة القائمة. إذا تحقق اللا عنف في الحقل المنزلي بشكل كامل، سنرى بالتأكيد عودة اللا عنف ضد السلطة في شكله الخالص، وسيكون أمرًا لا يُقاوم.

الآن وبما أنني لم أعد عضوًا في الكونجرس، فقد لا أعرض العصيان المدني حتى ولو باسمي شخصيًّا. لكنني بلا شك حر في تقديم العصيان المدني بصفتي الشخصية كلما بدا ذلك ضروريًّا. لا يحتاج أحد إلى افتراض أن كل العصيان المدني محظور بالضرورة، بينما لا تزال البلاد تتعلم أهيمسا الأقوياء. لكن أولئك الذين قد يرغبون في الانضمام إلى القوة اللا عنفية لمفهومي يجب ألا يأملوا في أي احتمال فوري للعصيان المدني. يجب أن يفهموا أنه طالما أنهم لم يدركوا الأهيمسا في شخصهم، بشكلها الخالص، فلا يمكن أن يكون هناك عصيان مدني لهم.

لا داعيَ إلى أن أذكر أن الأهيمسا الخالصة يمكنها أن ترعب أي شخص. إذا كان لدينا تصور واضح عنها وإيمان حي في فعاليتها التي

لا مثيل لها، فلن يكون من الصعب ممارستها، كما يُفترض أحيانًا أن يكون الأمر. سيكون من الجيد أن نتذكر آية ماهابهاراتا الخالدة في هذا الصدد. يعلن الشاعر الرائي هنا بصوت عالٍ للعالم كله أن دارما تضم في ذاتها كلا القانونين: أرثا[٨٩] وكاما[٩٠] ويسأل لماذا لا يتَّبع البشر الطريق الملوكي للدارما الذي يؤدي إلى النعيم الأرضي والروحي. لا تعني دارما هنا مجرد مراعاة للعوامل الخارجية. إنها تعني طريق الحقيقة واللا عنف. لقد منحتنا الكتب المقدسة قاعدتين خالدتين، إحداهما: «الأهيمسا هي القانون الأسمى أو دارما»، والأخرى هي: «لا يوجد قانون آخر أو دارما سوى الحقيقة». توفر هاتان القاعدتان لنا مفتاح كل الأرثا والكاما، فلماذا لا نسير بمقتضاهما؟ قد يبدو الأمر غريبًا، إلا أن الحقيقة تظل أن الناس يجدون أسهل الأشياء، في كثير من الأحيان، هي أكثر الأشياء صعوبة لتُتَّبع. يكمن السبب في قصورنا الذاتي، إذا جاز لنا استعارة مصطلح من علم الفيزياء. يخبرنا الفيزيائيون أن القصور الذاتي هو عنصر أساسي، ويلعب في مكانه المناسب أهم دور بالنسبة للمادة. إنه وحده ما يُثبِّت الكون ويمنعه من الانحراف. لكن القصور الذاتي يصبح عبئًا ثقيلًا ونقيصة عندما يربط العقل بقيود قديمة. هذا النوع من القصور الذاتي هو المسؤول

(٨٩) أرثا "Artha" : هو أحد الأهداف الأربعة لحياة الإنسان في في الفلسفة الهندية.

(٩٠) كاما هي كلمة بالسنسكريتية تعني «الرغبة» و«الشوق» في الأدب الهندوسي والبوذي. غالبًا ما تشير في الأدب المعاصر إلى الرغبة الجنسية والشوق، لكن المفهوم يشير على نطاق أوسع إلى أي رغبة أو شغف أو شوق أو متعة الحواس أو الرغبة في الاستمتاع الجمالي بالحياة أو المودة أو الحب أو الشوق إليه.

عن إجحافنا المتجذر الذي يجعل ممارسة الأهيمسا النقية أمرًا صعبًا. الأمر متروك لنا للتخلص من هذا العبء. تتمثل الخطوة الأولى في هذا الاتجاه في العزم الحازم على اعتبار كل الكذب و الهيمسا من المحرمات فيما بعد، مهما كانت التضحية التي قد ينطوي عليها الأمر. لأن الخير الذي قد يبدو أنها تحققه هو ظاهري وحسب، لكنه في الواقع سم قاتل. إذا كان تصميمنا حازمًا وقناعتنا واضحة، فهذا يعني أننا ربحنا نصف المعركة وستكون ممارسة هاتين الصفتين سهلة نسبيًّا بالنسبة لنا.

دعونا نُقيِّد أنفسنا بالأهيمسا. لطالما اعتبرنا العجلة الدوارة وحرف القرية... إلخ من ركائز الأهيمسا، وهي كذلك بالفعل. يجب أن تظل قائمة. لكن علينا الآن أن نخطو خطوة إلى الأمام. سوف يعتمد بالطبع مريد الأهيمسا على اللا عنف- إذا لم يكن قد فعل ذلك بالفعل- في جميع علاقاته مع والديه وأطفاله وزوجته وخدمه ومن يعولهم... إلخ. لكن الاختبار الحقيقي سيأتي عند وقت الاضطرابات السياسية أو الطائفية، أو تحت تهديد اللصوص و أفراد العصابات. مجرد العزم على التضحية بحياته في ظل هذه الظروف لا يكفي. يجب أن يكون هناك المؤهل اللازم لتقديم التضحية. إذا كنتُ هندوسيًّا، يجب أن أصادق المسلمين والآخرين. في تعاملاتي معهم قد لا أفرق بين إخواني في الدين وأولئك الذين قد ينتمون إلى ديانة مختلفة. سأبحث عن فرص لخدمتهم دون أي شعور بالخوف أو التصنع.

كلمة «الخوف» لا يمكن أن يكون لها أي مكان في قاموس الأهيمسا. بعد أن يكون قد أهّل نفسه من خلال خدمته المتفانية، سيكون مريد الأهيمسا النقية في وضع يسمح له بتقديم تضحية مناسبة من تلقاء نفسه في احتدام طائفي. وبالمثل، لمواجهة خطر اللصوص وأفراد العصابات، سيحتاج إلى الذهاب بين المجتمعات المحلية التي يخرج منها اللصوص وأفراد العصابات ويغرس معهم علاقات ودية.

هناك مثال رائع على هذا النوع من العمل الذي قدمه رافيشانكار مهراج[٩١]. لقد أثار عمله، بين القبائل الإجرامية في ولاية غوجارات، المديح حتى من سلطات ولاية بارودا. هناك مجال غير محدود تقريبًا لهذا النوع من العمل ولا يتطلب الأمر أي موهبة أخرى في الشخص باستثناء الحب الخالص. رافيشانكار مهراج غريب تمامًا عن اللغة الإنجليزية. حتى معرفته باللغة الغوجاراتية تكفي بالكاد للاستخدام اليومي، لكن الله باركه بمحبة الجوار اللا محدودة. تربح بساطته كل القلوب بسهولة، وهي موضع حسد الجميع. فلندع مثاله يقدم إشارة وإلهامًا لجميع أولئك الذين قد يشاركون مثله في مجالات أخرى من الساتياجراها.

سيفجرام ١٦-٧-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ٢١-٧-١٩٤٠م

---

(٩١) كان من أحد المقربين لغاندي في حركة الاستقلال الهندية.

عيب في الأهيمسا:

سؤال: لقد ناشدتَ البريطانيين أن يلقوا السلاح ويتبنوا اللا عنف، لكن هذا يثير صعوبة أخلاقية. بهذه الطريقة يغيظ مريد الأهيمسا مريد الهيمسا ويجعل مناشدة قلبه عصية. إذا واجه إنسان لا عنفي شيئًا غير حي، فلن يكون لا عنفه ذا تأثير. لذا، هناك عيب ما في إيمانك. من المحتمل أن تنجح الأهيمسا في مجال محدود. إذا كان الأمر كذلك، فما هي فائدتها للأهداف العامة؟ بالتالي، فإن مطالبتك باستخدامها العام تفشل على أرض الواقع.

جواب: لا يمكن صرف النظر عن الأهيمسا بسهولة كما تظن. الأهيمسا هي أقوى قوة معروفة، ولكن إذا تمكن الجميع من استخدام القوة الأقوى بنفس السهولة، سوف تفقد أهميتها. إننا لم نتمكن بعد من اكتشاف المقدار الحقيقي للخصائص التي لا حصر لها لمادة نستخدمها يوميًّا مثل الماء. تملؤنا بعض خصائصه بالدهشة. لذا دعنا لا نستهين بقوة من أبرع أنواع القوى مثل الأهيمسا، ودعنا نحاول اكتشاف قوتها الخفية مع الصبر والإيمان. في غضون فترة وجيزة من الزمن، توصلنا إلى نتيجة ناجحة إلى حد ما من خلال تجربة رائعة في استخدام هذه القوة. كما تعلم، فإنني لم أُوْلِ اهتمامًا كثيرًا بذلك. في الواقع لقد ترددت حتى في تسميتها تجربة في استخدام الأهيمسا. لكن وفقًا للأسطورة، حيث كان اسم راما كافيًا لتطفو الأحجار، حتى أن الحركة التي استمرت باسم الأهيمسا أحدثت صحوة كبيرة

في البلاد ودفعتنا إلى الأمام. من الصعب التنبؤ بالاحتمالات عندما يواصل الأشخاص، ذوو الإيمان الثابت، التقدم في هذه التجربة. إن القول بأن كل مَن يستخدم العنف غير مدرك، هو مبالغة. يبدو أن البعض يفقد صوابه، لكننا سنكون مخطئين بالتأكيد إذا حاولنا أن نبني قانونًا أخلاقيًّا بناء على تلك الاستثناءات. المسار الأكثر أمانًا هو وضع القوانين بناءً على قوة تجربتنا المعتادة، وتجربتنا المعتادة هي أنه في معظم الحالات يكون اللا عنف هو الترياق الحقيقي للعنف، ومن الآمن أن نستنتج من ذلك أنه يمكن مواجهة أعلى مستوى من العنف بأعلى درجات اللا عنف.

دعونا نفكر للحظة في الأشياء الجامدة. من المؤكد أن الذي يضرب رأسه في الحجر سيكسرها. لكن بافتراض أن حجرًا يأتي ضدنا عبر الفضاء، يمكننا الهروب منه بالتنحي جانبًا، أو إذا لم يكن هناك مكان نتنحَّى فيه، يمكننا البقاء بشجاعة حيث نحن ونتلقي الحجر. سيعني ذلك الحد الأدنى من الإصابة، وفي حالة ثبوت الوفاة، لن تكون الوفاة مؤلمة بنفس درجة الألم التي سنشعر بها لو بذلنا جهدًا لدرئها.

قم بتوسيع الأفق إلى أبعد من ذلك، وسيكون من السهل أن ترى أنه إذا تُرك رجل أخرق وحيدًا ولم يحاول أحد أن يقاومه، فمن المؤكد أنه سيُنهك نفسه. في الواقع، ليس من غير المعقول أنه من المحتمل أن تعيد تضحية الكثيرين المُحبة رجلًا مجنونًا إلى رشده. ثمة غياب

لأمثلة عن أشخاص فقدوا رشدهم تمامًا، وعاد إليهم رشدهم مرة أخرى.

سيفجرام ٢٢-٧-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ٢٨-٧-١٩٤٠م

هل اللا عنف مستحيل؟

«قد يعترف المرء بأن اللا عنف من الناحية النظرية سلاح ناجح، وأنه لا توجد قوة على الأرض يمكن أن تباري الإنسان الذي حقق اللا عنف إلى أقصى حد. ولكن هل هذا ممكن؟ قد يكون هناك يوجي نادر يمكنه ترويض الوحوش البرية مثل الأسود والنمور وجعلها وديعة مثل الحملان، ولكن يجب على الرجل العادي أن يلجأ إلى بندقية أو سلاح مشابه لحماية نفسه من هذه الوحوش. قد تقوم، بقوتك الرائعة، بتحويل الآخرين من خلال القوة المطلقة إلى تفكيرك، ولكن يجب على الرجل العادي أن يلجأ إلى العلاجات الدنيوية مثل المحكمة القانونية والمحامين وما إلى ذلك. حتى في الماضي الغامض والبعيد، نادرًا ما نسمع عن أشخاص مارسوا الأهيمسا في الشؤون اليومية. حاول السيد بوذا لفترة من الوقت أن يقود الناس على طول طريق أهيمسا، لكن ما الذي حدث بعده؟ لقد عاد المجتمع إلى طرقه القديمة، ناسيًا تعاليم بوذا. لذلك فإن الماضي لا يقدم سوى القليل من الأمل فيما يتعلق بالمستقبل، للمجتمع الذي يسير على طول خط الأهيمسا، أكثر مما حدث قبلًا، ولذلك فإن حكماءنا يجب أن يكونوا

قد تركوا العالم عن حكمة، ولجأوا إلى الغابة لممارسة الحقيقة و اللا عنف. قد تُلهِم عددًا قليلًا من الأشخاص لدراسة الأهيمسا، لكن ليس من المرجح أن يبدأ المجتمع بأكمله في ذلك. تنطبق تنطبق الحجة ذاتها على الهند كأمة. يجب أن تبحث عن وسائل أخرى غير وسائل الأهيمسا لكي تربح حريتها. إنها لمضيعة للوقت أن تتوقع طفلًا صغيرًا، لا يزال يتعلم في كتابه التمهيدي، أن يفهم كتابًا مثل الجيتا لتيلاك[٩٢]. كذلك إنها لمضيعة للوقت أن تتوقع أن ينغمس الناس في سعادة دنيوية كي يفهموا النجاح المؤكد للأهيمسا. علاوة على ذلك، الأهيمسا هي الهدف النهائي، وبلوغ مثل هذا الهدف يحتاج إلى إعداد أعظم من ذلك الذي نحتاجه لنيل درجة علمية في الطب أو الهندسة. يجب أن تكون لدينا العديد من الكليات والجامعات من أجل تدريس علم وفن الحقيقة واللا عنف. يُوجِّه المجتمع اليوم طاقاته لخلق احتياجات جديدة وإشباعها. كيف تتوقع أن يُوجِّه تلك الطاقات في اتجاه الدراسات المتعلقة بالأهيمسا؟

تخطر الشكوك والصعوبات التي أثارها هذا المراسل ببالي أيضًا، وقد حاولت في مناسبات مختلفة حلها أيضًا. ولكن عندما ساهمتْ لجنة العمل التابعة للكونجرس في جعل قضية الأهيمسا قضية حيوية، يبدا أنه من الضروري أن أتعامل مع هذه الشكوك والصعوبات بشيء من الإسهاب.

(٩٢) هو كتاب ألفه المصلح الاجتماعي الهندي بال جانجادهار تيلاك عن الجيتا، ويحوي ترجمة وشرحًا لها.

يشك المراسل بشكل أساسي في إمكانية التطبيق الشامل للأهيمسا ويؤكد أن المجتمع لم يحرز تقدمًا يُذكر في هذا المجال. لقد ظهر معلمون مثل بوذا، وبذلوا بعض الجهد مع بعض النجاح البسيط ربما في حياتهم، لكن المجتمع ظل رغمًا عنهم على الصورة ذاتها. قد تكون الأهيمسا جيدة بما يكفي لتكون واجبًا فرديًّا، لكن بالنسبة للمجتمع فهي لا تصلح لشيء، وعلى الهند أيضًا أن تتخذ أسلوب العنف من أجل حريتها.

أعتقد أن الحجة خاطئة بشكل جذري. البيان الأخير غير صحيح؛ لأن الكونجرس قد التزم باللا عنف كوسيلة لتحقيق الاستقلال. لقد ذهب بالفعل إلى أبعد من ذلك. لقد أثير السؤال حول ما إذا كان اللا عنف لا يزال سلاحًا ضد جميع الاضطرابات الداخلية. لقد أعطت منظمة العفو الدولية الجواب بوضوح بالإيجاب. لقد أكد الكونجرس على أنه من الضروري وجود جيش فقط للحماية من العدوان الخارجي وحتى فيما يتعلق بهذه المسألة، كان هناك عدد كبير من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي الذين صوتوا ضد القرار. يجب أخذ هذا الرأي المخالف في الاعتبار عندما تكون المسألة التي يتم التصويت عليها تتعلق بواحد من المبادئ. يجب أن تُقرر سياسة الكونجرس دائمًا من خلال تصويت الأغلبية، لكنها لا تلغي تصويت الأقلية. يظل رأيهم قائمًا. في حالة عدم وجود مبدأ شامل ووجود برنامج يتعين تنفيذه، يتعين على الأقلية أن تتبع الأغلبية. لكن عندما يتعلق الأمر بمبدأ،

تتوقف المعارضة، وهي ملزمة بالتعبير عن نفسها عمليًّا عندما تتهيأ المناسبة. هذا يعني أن المجتمع قد اعترف بأهيمسا لجميع الأوقات والأهداف، مهما كان مقدارها ضئيلًا، فهي كعلاج يستخدمه المجتمع قد خطت خطوات للأمام مبشرة بالنجاح. أما إذا كانت ستخطو خطوات أخرى أم لا، فهذه مسألة مختلفة. بالتالي، فإن قرار اللجنة العاملة يفشل في تقديم أي دعم لشكوك المدَّعى عليه. على العكس من ذلك، يجب أن يُزيل هذه الشكوك.

الآن بالنسبة للحجة القائلة بأنني لست سوى إنسان نادر، وأن المقدار القليل الذي فعله المجتمع في مسألة الأهيمسا يرجع إلى تأثيري، وأن من المؤكد أنه سيختفي معي؛ فهذا ليس صحيحًا. لدى الكونجرس عدد من القادة الذين يمكنهم التفكير بأنفسهم. إن مولانا هو مفكر عظيم فيما يتعلق بالفكر المتوقد والقراءة الواسعة. قلة هم الذين بإمكانهم أن يعادلوه في دراسته للعربية والفارسية. لقد علَّمته التجربة أن الأهيمسا يمكنها وحدها أن تجعل الهند حرة. هو الذي أصر على قرار قبول الأهيمسا كسلاح ضد الاضطرابات الداخلية. ليس العالم جواهرلال بالرجل الذي يخشى أحدًا. دراسته للتاريخ والأحداث المعاصرة لا يُعلى عليها. لقد قبل الأهيمسا كوسيلة لتحقيق الاستقلال بعد تفكير ناضج. صحيح أنه قال إنه لن يتردد في قبول الاستقلال إذا فشل اللا عنف وأمكن كسبه بوسائل العنف. لكن هذا لا علاقة له بالموضوع الحالي. ليست أعداد تلك الأسماء

الكبيرة الأخرى في الكونجرس، التي تؤمن أن الأهيمسا هي السلاح الوحيد على الأقل لتحقيق الاستقلال قليلة. إن الاعتقاد بأن جميعهم سيتخلون عن طريق الأهيمسا بمجرد رحيلي، هو بمثابة إهانة لهم، وإهانة للطبيعة البشرية. يجب أن نؤمن أن كل شخص يمكنه أن يفكر بنفسه. الاحترام المتبادل لهذا الحد ضروري للتقدم. من خلال إضفاء حكم مستقل على رفاقنا، فإننا نقويهم ونجعل من السهل عليهم أن يكونوا مستقلي الذهن، حتى لو أثبتوا أنهم ضعفاء.

آمل ألا يكون المراسل أو أي شخص يعتقد أن الكونجرس أو قادته الكثيرين قد ودّعوا الأهيمسا. إلى المدى المحدود الذي أشرت إليه، تم التأكيد على أن الإيمان بالأهيمسا وجعله واضحًا بما لا يدع مجالًا للشك من قبل الكونجرس. إنني أوافق على أن الحد الذي وضعه الكونجرس يُضيّق إلى حد كبير مجال الأهيمسا ويقلل من روعتها. لكن الأهيمسا المحدودة للكونجرس جيدة بما فيه الكفاية لأجل جدالنا الحالي؛ لأنني أحاول أن أبرهن أن مجال الأهيمسا آخذ في الاتساع، وأن القبول المحدود للأهيمسا من قِبل الكونجرس، يُدعِّم موقفي بشكل كافٍ.

إذا وجَّهنا أعيننا إلى الوقت بدأت تتوفر عنه سجلات تاريخية وحتى يومنا ذلك، سنجد أن الإنسان يتقدم بثبات نحو الأهيمسا. كان أسلافنا البعيدون من أكلة لحوم البشر، ثم جاء الوقت الذي سئموا فيه من أكل لحوم البشر وبدأوا يعيشون على الصيد. بعد

ذلك جاءت مرحلة كان فيها الإنسان خجلًا من أن يعيش حياة صياد متجول. لذلك لجأ إلى الزراعة واعتمد بشكل أساسي على أمنا الأرض في طعامه. هكذا استقر في حياة متحضرة مستقلة بعد أن كان بدويًّا هائمًا على وجهه، وأسَّس القرى والبلدان، وانتقل من كونه عضوًا في أسرة إلى عضو في مجتمع وأمة. تدل كل هذه العلامات على تقدم الأهيمسا وتناقص الهيمسا. لو كان الأمر غير ذلك، لكان الجنس البشري قد انقرض، حتى مع اختفاء الكثير من الأنواع الدنيا.

لقد بشَّر الأنبياء والأفاتارات[٩٣] درس الأهيمسا بدرجة تكثر أو تقل. لم يعلن أي منهم أنه يُعلِّم الهيمسا. كيف يكون الأمر غير ذلك؟ لا تحتاج الهيمسا إلى أن تُدرّس. الإنسان عنيف كالحيوان، لكنه غير عنيف كالروح. في اللحظة التي يعي فيها الروح التي بداخله لا يمكنه أن يظل عنيفًا. إما أن يتقدم نحو الأهيمسا أو يندفع نحو هلاكه. هذا هو السبب في أن الأنبياء والأفاتارات قد علموا دروس الحقيقة والتآلف والأخوة والعدالة وما إلى ذلك. إن جميعها صفات الأهيمسا.

مع ذلك يبدو أن العنف يبقى، حتى إلى الحد الذي يفكر فيه أناس مثل المراسل أنه يمكن أن يكون سلاحًا أخيرًا. لكن، كما بيَّنت، فإن التاريخ والخبرة تعارضانه.

---

(٩٣) **Avatar**: في الهندوسية هو سليل الكائن الأسمى أو سليل الإله، وغالبًا ما تترجم إلى اللغة الإنجليزية كـ "تجسد" ولكن بشكل أكثر دقة "مظهر".

إذا كنا نعتقد أن البشرية قد تقدمت بثبات صوب دوائر الأهيمسا، يترتب على ذلك أنه لا يزال عليها أن تتقدم نحوها أكثر. لا يوجد شيء ثابت في هذا العالم. كل شيء يتحرك في ديناميكية. إذا لم يكن هناك تقدم، فلا مفر من التراجع. لا أحد يستطيع أن يبقى بدون الدورة الأبدية، إلا إذا كان هو الله نفسه.

الحرب الحالية هي نقطة التشبع بالعنف. إن عقلي يتصور أنها ستكون هلاكه. لديَّ شهادة يومية على حقيقة أن الأهيمسا لم تكن أبدًا موضع تقدير من قِبَل البشرية كما هي اليوم. كل الشهادات التي تأتيني من الغرب تشير إلى أنني لا أزال أحرز انتصارات في نفس الاتجاه. لقد تعهد الكونجرس بالأهيمسا مهما كانت محدودة. أدعو المراسل والمتشككين أمثاله إلى رفع دعوى ضد شكوكهم والانغماس بثقة في النار المقدسة للأهيمسا. آنئذ سيكون لديَّ القليل من الشك في أن الكونجرس سوف يرجع القهقرى عن خطوته. حسنًا غنت شاعرتنا «بريتام» قائلة:

يا لسعادة أولئك الذين ينغمسون في النار

المتفرجون ما هم إلا الذين لفحتهم النار

سيفجرام ٥-٨-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ١١-٨-١٩٤٠م

لا عنف الشجعان:

يكتب مراسل:

«أنت تقول إن اللا عنف للشجعان وليس للجبناء. لكن، في رأيي، أنه من الواضح غياب الشجعان في الهند. حتى لو ادعينا أننا شجعان، كيف يصدقنا العالم عندما يعلم أن الهند ليست لديها أسلحة، وبالتالي فهي غير قادرة على الدفاع عن نفسها؟ إذَنْ ما الذي يجب أن نفعله لغرس لا عنف الشجعان؟».

المراسل مخطئ في الاعتقاد بأنه من الواضح أن ثمة غيابًا للشجعان في الهند. إنه أمر مخزٍ أن نقبل هذه التسمية؛ لأن الأجانب وصفونا ذات مرة بالجبناء. غالبًا ما يصبح الإنسان كما يعتقد في نفسه. إذا واصلت القول لنفسي إنني لا أستطيع أن أفعل شيئًا معينًا، فمن الممكن أن ينتهي بي الأمر بأن أصبح غير قادر حقًّا على القيام بذلك. على العكس من ذلك، إذا كان لديَّ اعتقاد بأنه يمكنني القيام بذلك، فسأكتسب بالتأكيد القدرة على القيام بذل، حتى لو لم يكن لديَّ ذلك في البداية. مرة أخرى، من الخطأ أن نقول إن العالم اليوم يعتقد أننا جبناء. لقد توقفت عن الاعتقاد بذلك منذ حملة الساتياجراها. لقد ارتفعت هيبة الكونجرس عاليًا جدًّا في الغرب خلال العشرين عامًا الماضية. يراقب العالم باهتمام مذهل حقيقة أنه على الرغم من عدم امتلاكنا لأسلحة، إلا أننا نأمل في الفوز بالاستقلال وقد اقتربنا منه بالفعل. أكثر من ذلك، فإنه يرى في حركتنا اللا عنفية أشعة أمل لأجل

السلام في العالم وخلاصه من جحيم المذبحة. أصبح يعتقد معظم البشر أنه إذا كانت روح الانتقام ستختفي وستتوقف الحروب الدموية، فإن ذلك الحدث السعيد لا يمكن أن يحدث إلا من خلال سياسة اللا عنف التي يتبناها الكونجرس. بالتالي، فإن خوف وشكوك المراسل لا أساس لهما من الصحة.

يتضح الآن حقيقة أن كون الهند غير مسلحة، لا يُشكِّل عقبة في طريق الأهيمسا. لقد كان نزع السلاح القهري من قِبل الحكومة الإنجليزية، خطئًا مميتًا وظلمًا وقحًا. لكن يمكننا حتى تحويل الظلم لفائدتنا لو كان الله معنا أو -إذا كنت تفضل ذلك- إذا كان لدينا المهارة لفعل ذلك، وقد حدث مثل هذا الشيء في الهند.

إن الأسلحة بالتأكيد غير ضرورية للتدريب على الأهيمسا. في الحقيقة إن الأسلحة يجب أن يتم التخلص منها، أيًّا كانت، مثلما فعل خان ساهيب[٩٤] في المقاطعة الحدودية. إن أولئك الذين يعتقدون أنه من الضروري أن نتعلم العنف قبل أن يمكننا أن نتعلم اللا عنف، عليهم أن يعتقدوا أن الخطاة وحدهم يمكنهم أن يكونوا قديسين.

---

(٩٤) خان ساهيب "Khan Saheb" : هو لقب مكون من اسمين: "Khan" معناها "قائد" و"Saheb" معناها "سيد". كان ذلك لقبًا رسميًّا يدل على الاحترام والشرف، ويُمنح بشكل أساسي للمسلمين، ولكن أيضًا للرعايا البارسيين والإيرانيين واليهود في الإمبراطورية الهندية البريطانية. ربما يشير غاندي هنا إلى "خان عبد الجبار خان" والذي كان يُطلق عليه "د/ خان ساهيب»، وقد كان ممثلًا عن مقاطعة الحدود الشمالية الغربية في المجلس التشريعي في نيودلهي في عام ١٩٣٥م وقد عارض بشدة تقسيم الهند وفضل دولة موحدة.

مثلما يتوجب على المرء أن يتعلم فن القتال في التدريب على العنف، عليه أن يتعلم فن الموت في التدريب على اللا عنف. لا يعني العنف التحرر من الخوف، ولكن اكتشاف وسائل لمحاربة سبب الخوف. على الجانب الآخر فإن اللا عنف ليس لديه سبب للخوف. على المريد للا عنف أن يزرع القدرة على التضحية لأعلى مستوى كي يكون حرًّا من الخوف. إنه لا يبالي بما إذا كان عليه أن يفقد أرضه وثروته وحياته أم لا. إن ذلك الذي لم يتغلب على كل الخوف لا يمكنه أن يمارس الأهيمسا في كل التفاصيل. لدى مريد الأهيمسا خوف واحد؛ خوف الله. إن ذاك الذي يسعى للالتجاء إلى الله عليه أن يتسم بنظرة أتمان[٩٥] الذي يتجاوز الجسد، وفي اللحظة التي يكون فيها لدى المرء نظرة الأتمان الخالد، يسكب المرء حب الجسم الفاني. بالتالي فإن التدريب على اللا عنف يناقض بكل معنى الكلمة التدريب على العنف. في الحقيقة يهدف العنف إلى حماية الأشياء الخارجية، بينما يهدف اللا عنف إلى حماية الأتمان؛ حماية شرف المرء.

لا يمكن تعلم ذلك النوع من اللا عنف من خلال المكوث في المنزل. إنه يحتاج إلى مبادرة. كي نختبر أنفسنا علينا أن نتعلم أن نتحدى الخطر والموت، ونميت الجسد، ونكتسب القدرة على تحمل كل ظروف المعاناة. إن ذاك الذي يرتجف أو يجري على أعقابه في

(٩٥) أتمان "Atman": كلمة سنسكريتية تعني "النسمة" أو "النفس" وهي مفهوم أساسي في الفلسفة الهندوسية، يصف ذلك الجوهر الأبدي للشخصية التي تنجو من الموت وتنتقل إلى حياة جديدة.

اللحظة التي يرى فيها شخصين يتشاجران ليس لا عنفيًّا. سيُلقي الشخص اللا عنفي بحياته كي يمنع مثل هذه المشاجرات. إن شجاعة اللا عنف أسمى بكثير من تلك التي للعنف. السلاح هو العلامة المميزة للعنف؛ الرمح أو السيف أو البندقية. الله هو درع اللا عنف.

هذه ليست حلقة دراسية للتدريب، لذلك الذي ينوي تعلم اللا عنف. لكن من السهل تطوير واحد من المبادئ التي تعلمتها.

سيتضح من المذكور أعلاه أنه لا توجد مقارنة بين نوعي الشجاعة. الأول محدود والآخر غير محدود. لا يوجد شيء خارج نطاق جرأة اللا عنف أو خارج نطاق نضاله. اللا عنف لا يُقهر. لا داعيَ للشك في إمكانية تحقيق ذلك اللا عنف. يجب أن يكون تاريخ السنوات العشرين الماضية كافيًا لطمأنتنا.

سيفجرام ٢٧-٨-١٩٤٠م

من جريدة هاريجان ١-٩-١٩٤٠م

اللا عنف خلال أعمال الشغب:

يكتب صديق:

«كيف يمكن أن يكون اللا عنف فعالًا أثناء أعمال الشغب؟ لا يمكننا من خلال التضحية بالنفس أن نؤثر إلا على أولئك الذين أقمنا بالفعل اتصالات حيوية معهم. لكن الهمجيين الذين يرتكبون عنف أثناء أعمال الشغب هم -كقاعدة عامة- مأجورون من الخارج. كيف

يمكن أن يساورهم أي تردد بخصوص إيذاء أولئك الذين لم يعرفوهم أبدًا من قبل والذين لا يُكِنُّون لهم أي تقدير أو اعتبار؟».

يستحق السؤال دراسة متأنية. إن الصديق الذي صاغ الأمر هو عامل شجاع كان على وشك فقدان حياته وهو يحاول أداء واجبه أثناء الشغب. لقد كتبت كثيرًا عن هذه المسألة من قبل. مما يؤسف له أن أعضاء الكونجرس لم يفكروا بجدية أبدًا في مسألة إيجاد طريقة غير عنيفة لقمع أعمال الشغب. كان نبذهم للعنف مقصورًا على الغرض الوحيد المتمثل في تقديم العصيان المدني للسلطات. في رأيي، إن اللا عنف الذي يستمر إلى ذلك الحد ولا يتجاوزه، يستحق بصعوبة أن نصفه بالأهيمسا. ربما نطلق عليه- إذا أحببت- مقاومة غير مسلحة. بقدر ما هي أداة لإرباك الحكومة، فهي نوع من الأهيمسا. لقمع أعمال الشغب بطريقة لا عنفية، يتوجب أن تكون هناك أهيمسا حقيقية في قلب المرء؛ الأهيمسا التي تضم الهمجيين الآثمين إلى أحضانها الدافئة. لا يمكن غرس مثل هذا الموقف. لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا نتيجة لجهد طويل وصبور، يتوجب القيام به في أوقات السلم. يجب أن يكون العضو المحتمل في لواء السلام على اتصال وثيق بمَن يُدعون العناصر البلطجية[٩٦] في المنطقة المجاورة له، وأن يغرس جذور التعرف بهم. يجب أن يعرف الجميع، وأن يكون معروفًا للجميع، وأن يفوز بقلوبهم من خلال خدمته الحياتية الإيثارية. لا

(٩٦) الكلمة بالإنجليزية تعني بلطجي أو فوضوي، في جنوب آسيا.

ينبغي أن يعتبر أي فئة وضيعة أو حقيرة بحيث لا يختلط معها. لا يسقط البلطجيون من السماء، ولا ينبثقون من الأرض مثل الأرواح الشريرة. إنهم نتاج عدم التنظيم الاجتماعي، وبالتالي فإن المجتمع مسؤول عن وجودهم. بعبارة أخرى، ينبغي النظر إليهم بوصفهم أحد أعراض الفساد في كياننا السياسي. إن أردنا أن نزيل المرض، علينا أولًا اكتشاف السبب الكامن. عندئذٍ سيصير العثور على العلاج مهمة سهلة نسبيًّا. حتى الآن لم نحاول حتى أن نبدأ بشكل صحيح. لكن الأوان لم يفت على إصلاح ذلك. يكفي أننا في النهاية أدركنا ضرورة تحقيق ذلك. علينا الآن أن نتابع ذلك بفعل فوري. فليبدأ كل شخص، مهتم بالأمر، عاجلًا، في محيطه. إذا واصلنا جهودنا بالروح الصحيحة، ستُحسم الصعوبة التي ذكرها مراسلنا تلقائيًّا.

من جريدة هاريجان ١٥-٩- ١٩٤٠م

منظمة السلام:

إذا كان الكونجرس منظمة ذات نزعة عسكرية، فلا شك أنها كانت لتصير اليوم وحدة عسكرية ذات مكانة عالية، حيث يتم تدريب كل عضو ليكون جنديًّا كفؤًا. لحسن حظ الهند والإنسانية، فإن الكونجرس ليس هو تلك المنظمة. لا توجد ولا يمكن أن توجد منظمة وطنية على نحو محض في الهند اليوم. لحسن حظ الهند والإنسانية مرة أخرى، فقد تعهد الكونجرس منذ عام ١٩٢٠ أن يربح حرية الهند من خلال وسائل غير عنيفة. لكن الأمر حتى الآن يثير جدالًا

مجتمعًيا كبيرًا، حيث يُعرض العصيان المدني على فترات وباستمرار يؤدي دورًا هامًّا في برنامجه البناء[٩٧]. في وقت من الأوقات، كان من المتوقع أن يُحقق كل عضو في الكونجرس شيئًا للأمة. كان عليه/ عليها أن يغزل[٩٨] من أجل الأمة. لم يستجب أعضاء الكونجرس وتم إسقاط بند الغزل. كانت هناك مواد أخرى أيضًا كان على كل عضو في الكونجرس العمل بها، لكنه لم يفعل ذلك بالقدر المتوقع. حان الوقت الآن لكي يتخذ خيارًا محددًا. البرنامج الوحيد الماثل أمامه هو أن يصبح خادمًا أو جنديًّا للسلام. على جندي السلام، بخلاف السيف، أن يُخصِّص كل وقت فراغه لتعزيز السلام في أوقات الحرب كما في أوقات السلم على حد سواء. إن عمله في أوقات السلم مزدوج؛ مقياس للوقاية وكذلك تحضير لوقت الحرب.

إذا كنتُ عضوًا في الكونجرس، وكان لي حق التصويت، كنت سأصوت -كإجراء طارئ- لمطالبة كل عضو مسجل الآن في سجل الكونجرس أو سيأتي فيما بعد، بالحصول على الحد الأدنى من المؤهلات للعمل في البرنامج البناء. سيكون من الخطأ تذكيري بضرورة أن يحتفظ الكونجرس بطابعه الديموقراطي. لن يفقد ذلك؛ لأنه يصبح بفعل بسبب حركته الذاتية بمثابة هيئة عاملة فعالة يمكن لأي شخص يود الانخراط فيها أن يأخذ على عاتقه الامتثال لقواعد

---

(٩٧) البرنامج البناء "Constructive program": هو مصطلح صاغه غاندي لوصف أحد فرعي الساتياجراها الخاصة به. الفرع الآخر هو المقاومة اللا عنفية.

(٩٨) يشير غاندي إلى ما لجأ إليه الهنود من غزل ثيابهم بانفسهم.

وشروط العضوية. سيتوقف الكونجرس عن كونه شعبيًّا، إذا لم يكن يستحق الشعبية في أوقات التوتر. إذا لم يستطع توفير العمل للعاطلين والجياع. إذا لم يستطع حماية الناس من النهب أو تعليمهم كيفية مواجهته. إذا لم يستطع مساعدتهم في مواجهة الخطر، سيفقد هيبته وشعبيته. يجب أن تنتشر الشعبية وتضاعف نفسها.

لقد حظي الكونجرس بشعبية؛ لأنه أخذ زمام المبادرة في محاربة الإمبريالية. لا جدوى اليوم من الطريقة القديمة. لا أحد يفكر في عصيان جماهيري في اللحظة الحالية. الطريقة الأفضل والأسرع والأكثر فاعلية هي أن تبني من الأساس. لقد حانت تلك اللحظة النفسية. «العودة إلى القرى!» أصبحت أمرًا ضروريًّا من كافة وجهات نظر. حان الوقت الآن لتطبيق اللامركزية في الإنتاج والتوزيع. يجب أن تصبح كل قرية جمهورية مكتفية ذاتيًّا. لا يتطلب هذا اتخاذ قرارات شجاعة. إنها تتطلب عملًا شجاعًا ومشتركًا وذكيًّا. بقدر ما أعرف في الوقت الحاضر هذه أرضية مشتركة بين الحكام والشعب.

فلندعْ كل عضو في الكونجرس يجيب بنفسه عن أيهما سيكون: جنديًّا أم خادمًا للسلام أو ما إذا كان سيصبح غير راغب في القيام بدوره في بناء الاستقلال.

من جريدة هاريجان ١٨-١-١٩٤٢م

جهود الحرب الحقيقية:

إن أعظم احتياج في الوقت الحاضر هو إطعام الجائع وكسوة العراة. هناك بالفعل ندرة في كل من المأكل والملبس في الأرض. تزداد هذه الندرة مع تقدم الحرب. لا توجد واردات من الخارج، سواء من المواد الغذائية أو الثياب. قد لا يشعر الميسورون بالضيق كما هو الآن، وقد لا يشعرون به على الإطلاق، لكنّ الفقراء يشعرون بذلك الآن. يعيش الأثرياء على حساب الفقراء. لا توجد وسيلة أخرى. ما هو واجبهم إذَنْ؟ مَن يدَّخر يربح بالقدر ذاته؛ أي أنه ينتج نفس القدر. من ثم يجب على أولئك الذين يشعرون بالفقراء، أولئك الذين سيكونون واحدًا معهم أن يقلصوا من رغباتهم. هناك طرق كثيرة. سأذكر بعضها هنا وحسب. هناك الكثير... الكثير جدًّا من الطعام الذي يأكله الأثرياء ويضيِّعونه.

استخدم نوعًا واحدًا من الحبوب في كل مرة. يتم استخدام الشاباتي والأرز والبقول والحليب والسمن والسكر الداكن والزيت في المنازل العادية إلى جانب الخضار والفاكهة. أنا أعتبر هذا مزيجًا غير صحي. أولئك الذين يحصلون على بروتين حيواني عن طريق الحليب والجبن والبيض أو اللحوم، لا يحتاجون إلى استخدام البقول على الإطلاق. يحصل الفقراء على البروتين النباتي فقط. إذا تخلى الأثرياء عن البقول والزيوت، فإنهم يحررون هذين العنصرين الأساسيين لأجل الفقراء الذين لا يحصلون على البروتين الحيواني ولا الدهون الحيوانية. لا ينبغي أن تكون الحبوب التي يتم تناولها قذرة. تكفي

نصف الكمية عندما تؤكل جافة ولا تُغمس في أي مرق. من الجيد تناولها مع السلطات النيئة مثل البصل والجزر والفجل وأوراق الخس والطماطم. إن أوقية أو اثنتين من السَّلَطات تؤدي نفس غرض ثماني أوقيات من الخضار المطبوخ. لا ينبغي أن يؤكل الشاباتي أو الخبز مع الحليب. في البداية، قد تكون إحدى الوجبات خضراوات نيئة مع شاباتي أو خبز والأخرى خضروات مطبوخة بالحليب أو الخثارة[٩٩].

يجب التخلص من الأطباق الحلوة تمامًا وبدلًا من ذلك، يمكن تناول السكر الداكن أو السكر بكميات صغيرة، ربما تؤخذ مع الحليب أو الخبز أو بمفردها.

الفاكهة الطازجة جيدة للأكل، لكن القليل منها فقط ضروري لإعطاء التناغم للنظام. إنها سلعة غالية الثمن والإفراط في تدليل الأثرياء حرم الفقراء والمرضى من سلعة يحتاجون إليها أكثر من الأثرياء بكثير.

أي طبيب درس نظام الأغذية، سيشهد على أن ما اقترحته لا يمكن أن يُلحق الضرر بالجسم، بل على العكس يجب أن يؤدي إلى صحة أفضل.

هذه هي الطريقة الوحيدة فقط للحفاظ المواد الغذائية. إنها واضحة. لكنها في حد ذاتها لا يمكن أن تنتج الكثير من التأثير المرئي.

---

(٩٩) الخثارة: هي ما يُبقى من غليظ اللبن.

يتعين على تجار الحبوب التخلص من جشعهم وعادة جني أكبر قدر ممكن من الأرباح. يجب أن يرضوا بأقل قدر ممكن. إنهم يتعرضون لخطر النهب، إذا لم يكتسبوا سمعة الحفاظ على الحبوب من أجل الفقراء. يجب أن يكونوا على اتصال مع الناس في منطقتهم. يتعين على أعضاء الكونجرس زيارة تجار الحبوب في أماكنهم وتسليمهم الرسالة الضرورية للوقت الحالي.

يتألف أهم جزء في العمل -إلى حدٍّ بعيد- من تعليم القرويين الحفاظ على ما لديهم، والحث على زراعة المحاصيل الطازجة حيثما توفرت المياه. يتطلب هذا دعاية واسعة النطاق وذكية. ليس من المعروف عمومًا أن الموز والبطاطا والشمندر والبطاطا واليام[١٠٠] والقرع -إلى حدٍّ ما- من المحاصيل التي تنمو بسهولة. يمكنهم أن يحلوا محل الخبز في وقت الحاجة.

هناك ندرة كبيرة في المال. قد تكون هناك حبوب متاحة، ولكن لا يوجد نقود لشرائها. لا يوجد مال؛ لأنه لا يوجد عمل. يجب إدراك ذلك. الغزل هو الأكثر سهولة وإمكانية، لكن الاحتياجات المحلية قد توفر مصادر أخرى للعمالة. يجب استغلال كل مصدر متاح حتى لا تكون هناك حاجة للعمل. الكسالى فقط هم مَن سيحتاجون وسيجوعون حتمًا. سيحث التعامل الصبور، حتى مع هذه الفئة، على التخلص من كسلهم.

---

(١٠٠) اليام: نوع من البطاطا.

إن مشكلة الملابس أسهل بكثير من الغذاء، إذا تم التعامل معها بشكل جيد في الوقت المناسب. قد لا يتم الاعتماد على الطواحين في هذه الأوقات. يوجد قطن وافر في الهند. يواجه مزارعو القطن مشكلة في كيفية التخلص من مخزونهم. السوق الخارجي مغلق أمامهم. لا يمكن لطواحيننا استيعاب المحصول بأكمله. يمكن الاستفادة منه، إذا بدأت الدولة أن تغزل ليس من أجل أجر بل من أجل إلباس العراة. بالطبع أولئك الذين يحتاجون إلى عمل سوف يغزلون من أجل الربح. يجب اختصار هذا العدد. إنهم بحاجة إلى التنظيم. ستكون هناك حاجة إلى الكثير من المال لأجل هذا الغرض. لكن الغزل الوطني لا يحتاج إلى الكثير من التنظيم. يتم القضاء على دافع الربح وافتراض الرغبة فيه. يتم تقليل التنظيم إلى أبسط المصطلحات.

ليس هذا وقت مضاعفة العجلات. يستغرق تصنيعها وقتًا. أصبحت المواد الخام أكثر غلاءً يوميًّا. لا يمكن تصنيع العجلات في كل مكان. يمكن عد الأماكن التي توجد فيها على أصابع اليد الواحدة.

لذلك أقترح استخدام (الدهانوش تاكلي)، أو حتى التاكلي[١٠١] ببساطة. يجب تصنيع الأول محليًّا. في الواقع من الصعب تصنيع

(١٠١) الأولى آلة يدوية بسيطة للغزل كان غاندي يستخدمها في غزل ثيابه، والثانية أبسط تشبه إبرة ضخمة مصممة بطريقة معينة.

مئات الآلاف التاكلي البسيطة دفعة واحدة. أما الدهانوش تاكلي فهو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يكون الأسهل في التصنيع. لا يمكن توفير الشرائح اللازمة للغزالين. على كل شخص أن يحصل على بعض القطن لنفسه أو لنفسها، ويمشطه بأي طريقة كانت؛ باليد أو بقوس صغير محلي الصنع مثل الأطفال في مدارس بيهار الأساسية. يمكن القيام بكل هذا؛ لأنه ليس من المتوقع من أحد أن ينتج كمية كبيرة من الخيط. إذا مشَّط كل واحد من الملايين المتوفرة لدينا لمدة ساعة واحدة يوميًّا، سيكون هناك ما يكفي من الخيوط للحفاظ على استمرارية عمل النول اليدوي. يجب أن يعرف القارئ أن لدينا مئات الآلاف من نول النسج الذي يتم تشغيله يدويًّا. يواجه أولئك الناس خطر الموت جوعًا بسبب نقص الخيط.

ها هي مهمة عظيمة يجب على كل عضو في الكونجرس أن يحملها على عاتقه. عليه أن يصبح غزالًا وممشطًا جيدًا وأن يعرف كيف يصنع الدهانوش تاكلي. دع كل عضو في الكونجرس يبدأ بنفسه وبعائلته وجيرانه ، وسيجد أن عدوى وهب الحياة تنتشر كالنار في الهشيم التي تحيط بك قبل أن تعرف بالكاد ما تشاهده.

أي منظمة تعالج هاتين المشكلتين بنجاح ستحوز حب الناس وثقتهم. آمل أن ينضم الجميع إلى جهود الحرب الحقيقية. إنها ليست أقل فعالية؛ لأنها سلمية وبناءة.

هل سيسمح الأمراء لشعبهم بالقيام بهذا العمل دون عقبة أو إعاقة؟ هل سيسمح محمد علي جناح[١٠٢] لأعضاء الرابطة الإسلامية بالتعاون مع العاملين في الكونجرس في هذا العمل الوطني حقًّا ولكن غير السياسي والذي يعتبر أيضًا إنسانيًّا؟

من جريدة هاريجان ٢٥-١-١٩٤٢م

* * *

(١٠٢) محام وسياسي ومؤسس دولة باكستان. تزعم جناح عصبة مسلمي عموم الهند من ١٩١٣ إلى استقلال باكستان في ١٤ أغسطس ١٩٤٧، ليصير بعدها أول حاكم عام لباكستان من استقلالها وحتى وفاته.

الفهرس

عقيدة السيف	٩
خطوة واحدة كافية لي	١٣
طريقي	١٦
ماذا عن الغرب؟	١٨
من أوروبا	٢٢
الحضارة الأوروبية	٣٢
سؤال	٣٩
عن تخفيف حدة التوتر	٤٠
حرب أم سلام	٤٤
هل توجد حدود للا عنف	٤٨
عدم المقاومة .. بين الصواب والخطأ	٥٣
الدفاع عن اللا عنف	٥٨
حرب ضد حرب	٦١

لا نزال في القضية ذاتها	٦٤
موقفي تجاه الحرب	٦٩
ماذا علينا أن نفعل؟	٧٣
«موقفي تجاه الحرب»	٧٧
السيف مقابل الروح	٨٤
مشكلة معقدة	٨٦
اختيارنا	٩٠
صعوبة الممارسة	٩٥
أعظم قوة	٩٩
قانون وجودنا	١٠٤
تعليم الهندوسية	١٠٩
ألغاز الأهيمسا	١١١
العسكرية في مواجهة الأخلاق	١١٦
مؤهلات لواء السلام	١١٨
نتيجة منطقية	١٢٢
عمل اللا عنف	١٢٦
ما العمل؟	١٣١
الأزمة الوشيكة	١٣٨

ألغاز	١٣٩
على سبيل التجربة	١٤٥
التجنيد الإجباري العام	١٤٩
سؤالان من أمريكا	١٥٠
إلى أي مدى ينفع اللا عنف؟	١٥٤
الديموقراطية واللا عنف	١٥٩
كيفية مقاومة الحركة الهتليرية	١٦١
أفضل مجال للأهيمسا	١٦٤
كيف نغرس الأهيمسا؟	١٦٦
عيب في الأهيمسا	١٧١
هل اللا عنف مستحيل؟	١٧٣
لا عنف الشجعان	١٨٠
اللا عنف خلال أعمال الشغب	١٨٣
منظمة السلام	١٨٥
جهود الحرب الحقيقية	١٨٨